

العقيدة الإسلامية

وربطها بشعب الإيمان (السلوك والعمل)

د. الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مآذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري



عالم الأدب
العلمية والثقافية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

العقيدة الإسلامية
وربطها بشعب الإيمان

Title: Islamic faith
Editor: Dr. Sadeg Elgariani

Pages: 256
Year: 2018
Printed in: Beirut, Lebanon
Edition: 1

Exclusive rights by ©

مفوضية الكتاب للنشر - إدارة الشؤون الفنية / دار الكتب المصرية
القرياتي، صادق
العقيدة الإسلامية وربها بضمب الإيمان / تأليف: صادق القرياتي
الطبعة: عالم الأدب للترجمات والنشر والتوزيع، ٢٠١٧ م
٢٥٦ ص، ٢٥٣/٢٥٠/٢٤٧
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٥٠/٢٤٧

ISBN: 978-977-6539-51-8

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مآذون ببيعها للاستخدام الشخصي أو التجاري



عالم الأدب
للترجمة والنشر

الكاتب: العقيدة الإسلامية وربها بضمب الإيمان
لؤلؤ: د. صادق بن عبد الرحمن القرياتي

عدد الصفحات: ٢٥٦ صفحة

سنة الطباعة: ٢٠١٨ م

بلد الطباعة: بيروت / لبنان

الطبعة: الأولى

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة

عالم الأدب للترجمات والنشر والتوزيع

مؤسسة عربية تعنى بنشر النصوص المترجمة والعربية
في مجالات الثقافة العامة والأدب والعلوم الإنسانية



عالم الأدب
للترجمة والنشر

الهاتف: 00201099938159

البريد الإلكتروني: info@aalamaladab.com

الموقع: www.aalamaladab.com

القاهرة - جمهورية مصر العربية

مخفوق الطبع محفوظة

يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة نشر أو توزيع أو أي
جزء منه أو تسجيله على أي شكل أو بوسيلة أو بحالة أو بحسب
أو نسخة على أي أساليب أو بوسيلة أو بحالة أو بحسب من الناشر

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الباب الأول: في التوحيد وما يجب الإيمان به	١٥
الاعتقاد	١٧
معنى العقيدة والاعتقاد	١٧
تسمية كتب الأقدمين في علم العقيدة	١٧
حاجة الإنسان إلى العقيدة	١٨
إن الدين عند الله الإسلام	٢٠
الإيمان والإسلام	٢٢
أول ما يجب على المكلف	٢٢
الاكتفاء بالإيمان الإجمالي	٢٢
تعريف الإيمان والإسلام	٢٣
ما يجب الإيمان به	٢٥
الإيمان والإسلام ميناها التسليم	٢٦
الإيمان يزيد وينقص	٢٧
الإيمان قول وعمل	٢٨
توجيه حديث البطاقة	٣٠
القائلون بأن الإيمان الإقرار دون العمل	٣١
المعرفة وحدها دون إذعان لا تكفي	٣٣
حسن النية وحده لا يكفي	٣٤
قول الإنسان: أنا مؤمن - إن شاء الله -	٣٥
مرتكب المعصية ليس كافراً	٣٦

الموضوع	الصفحة
سلب الإيمان	٣٨
أمثلة لما يسلب الإيمان	٣٩
شروط تكفير المعين	٤٠
ما يترتب على الردّة	٤٢
العلز بالجهل	٤٣
مصير المؤمنين ومصير الكافرين	٤٥
وجود الله	٤٨
وجود الشيء لا يتوقف على إدراكه	٤٨
الدليل على وجود الله -تعالى-	٤٩
١- نداء الفطرة	٥٠
٢- نداء العقل	٥١
المصنوعات تدل على صانعها	٥٢
الصدفة في خلق الكون لا يقبلها العقل	٥٢
التوحيد	٥٥
وحدة النظام تدل على وحدانية الخالق	٥٥
معنى توحيد الله	٥٥
معنى لا إله إلا الله	٥٦
توحيد الألوهية	٥٧
توحيد الربوبية	٥٨
وحدة الذات ووحدة الصفات	٦٠
أ- صفة الذات	٦١
الصفات الخيرية	٦١
ب- صفات الفعل	٦٣
الكف عن الخوض في الصفات	٦٦
دفع شبهة المؤولين	٦٧
ما ورد فيه من الصفات تأويل عن السلف	٦٨
صفة الكلام	٦٩
الكلمات التشريعية والكلمات الكونية	٧١
القرآن كلام الله	٧١
التفصيل في مقام التعليم	٧٣

٧٤	رؤية الباري ﷻ
٧٥	الأسماء الحسنی وإحساؤها
٧٩	أسماء الله توفيقية وليست محصورة في هذا العدد
٨٠	أسماء الله لا تعرف إلا عن طريق الشرع
٨١	اسم الله الأعظم
٨٣	الإيمان بالملائكة
٨٣	صفات الملائكة
٨٥	وظيفة الملائكة
٨٧	ما يجب الإيمان به من الملائكة إجمالاً وتفصيلاً
٨٨	تفضيل المطيع من بني آدم على الملائكة
٩٠	الإيمان بالأنبياء والرسل
٩٠	وظيفة الرسل
٩٠	وجوب طاعتهم والإيمان بهم
٩١	الإسلام دين الأنبياء جميعاً
٩٢	الرسول والنبی
٩٢	عدد الرسل وما يجب الإيمان به إجمالاً وتفصيلاً
٩٣	أولو العزم
٩٣	الصفات الواجبة للرسل
٩٤	فضل نبينا محمد ﷺ
٩٥	صوم رساله ﷺ وأنه خاتم النبيين
٩٦	وجوب محبة وتلقيها على النفس والأهل
٩٨	المقياس الذي تعرف به محبة رسول الله ﷺ
٩٩	الإيمان بالكتب
٩٩	الكتب التي يجب الإيمان بها تفصيلاً
١٠٠	القرآن الكريم مهيم على ما قبله من الكتب
١٠١	الإيمان بالقضاء والقدر
١٠١	معنى القضاء والقدر
١٠١	الدليل على وجوب الإيمان بالقدر
١٠٢	معنى الإيمان بالقدر
١٠٢	ثمرة الإيمان بالقدر

الموضوع	الصفحة
الرضا بالقدر لا يتنافى بالأسياب	١٠٤
الإيمان بالقضاء لا يتنافى الدعاء برفع البلاء	١٠٦
الاحتجاج بالقدر	١٠٦
أفعال العباد والأخذ بالأسباب	١٠٨
من طلب الهداية هداه الله	١٠٩
الشر لا يُنسب إلى الله -تعالى-	١١٠
كراهية الخوض في القدر	١١١
علامات الساعة	١١٣
الساعة لا يعلم وقتها إلا الله	١١٣
العلامات الصغرى	١١٤
العلامات الكبرى	١١٥
١- خروج الدجال	١١٥
٢- نزول عيسى عليه السلام	١١٧
٣- خروج يأجوج ومأجوج	١١٨
٤- طلوع الشمس من مغربها	١١٩
٥- خروج الدابة	١١٩
٦- الريح التي تقبض أرواح المؤمنين	١٢٠
العالم الآخر	١٢٢
أحوال العالم الآخر لا تخضع للقياس	١٢٢
أحوال الموت والبرزخ	١٢٣
الموت	١٢٣
سؤال الملكين وعذاب القبر	١٢٥
ضغطة القبر	١٢٩
مستقر الأرواح بعد الموت	١٢٩
النفخ في الصور	١٣٢
الحياة الآخرة	١٣٥
١ - البعث	١٣٥
معنى البعث	١٣٥
الحكمة من البعث	١٣٥
إقامة الحجة على منكري البعث	١٣٦

الموضوع	الصفحة
٢ - الحشر	١٣٨
معنى الحشر	١٣٨
٣ - الشفاعة	١٤٠
الشفاعة	١٤٠
الشفاعة أنواع كما ذكرها العلماء ودلت عليها الأحاديث	١٤١
٤ - العرض والحساب	١٤٣
الفرق بين العرض والحساب	١٤٣
حساب الكافر	١٤٣
تمييز المؤمن من المنافق في المحشر	١٤٤
كيفية الحساب وإحصاء الأعمال	١٤٥
تفاوت المؤمنين عند الحساب	١٤٦
٥ - الميزان	١٤٨
٦ - الحوض	١٥٠
صفة الحوض	١٥١
٧ - الصراط	١٥٢
الإيمان به وصفته	١٥٢
القصص من المظالم	١٥٣
الجنة والنار	١٥٥
٨ - النار	١٥٥
جهنم - أحاطنا الله منها -	١٥٥
النار لا تفتن ولا يتقطع عذابها	١٥٦
صفة أهل الجنة وأهل النار	١٥٧
٩ - الجنة	١٥٩
الجنة لا تفتن ولا يتقطع نعيمها	١٦٠
أولاد المسلمين وأولاد المشركين	١٦٢
أهل الفترة	١٦٣
الباب الثاني: في السلوك	١٦٥
الإيمان والمفاهيم الخاطئة	١٦٧
عزل الإيمان عن السلوك	١٦٧

الموضوع	الصفحة
التجارة والمكاسب	١٦٨
المال والتعامل	١٦٩
عدم الانضباط	١٧٠
١- الاستهتار بالوقت	١٧١
٢- المغالبة على الحقوق	١٧٣
استحلال المال العام	١٧٥
السفر والسياحة	١٧٧
الطب والمستشفيات	١٧٨
من هذه الممارسات	١٨٢
المصحات الخاصة	١٨٤
تسويق السلعة للمريض دون أن يستشار	١٨٤
الجامعات والمعاهد	١٨٧
الجامعات الخاصة	١٨٨
الموظفون والإداريون	١٨٨
فمن كقطع الليل	١٩٢
فترة الاعتقاد	١٩٢
الافتتان بالأضرحة	١٩٣
فترة اللسان	١٩٤
فترة الانتقاد للشهوات	١٩٥
غربة الحق	١٩٧
التقليد الأعمى (زي الناس)!!	١٩٨
من شعب الإيمان	١٩٩
فرائض وسنن مضتعة	١٩٩
لا يجوز الإقدام على عمل حتى يعلم حكم الله فيه	١٩٩
النصح في الدين من الإيمان	٢٠٠
النصح لله	٢٠٠
النصح لرسول الله ﷺ	٢٠١
النصح لكتاب الله	٢٠١
التصحية الملقاة على كاهل العلماء	٢٠٢
تحري الفتوى بصحيح الأقوال	٢٠٤

٢٠٥	التصبيحة المطلوبة من عامة المسلمين
٢٠٥	الحب في الله والبعض في الله
٢٠٧	هجران أهل البدع
٢٠٨	لهجر المبتدع شرطان
٢٠٩	بمطة الأدي عن الطريق
٢١١	الإيفاق في السعة والبحل في التواجات
٢١١	الصبر من الإيمان
٢١٢	الصبر على العمل ابتداء ودواما
٢١٣	الصبر على المصيبة
٢١٤	الصبر ثلاثة أنواع
٢١٤	الابتلاء بالنعم أشد من الابتلاء بالنقم
٢١٦	جهدية التوحيد
٢١٦	سد درائع الانحراف في العقيدة
٢١٦	إخلاص العمل لله ومراته
٢١٨	التحذير من العلو
٢١٩	التحذير من العلو في رسول الله ﷺ
٢٢٠	العلو في الأولياء وتعارضه مع التوحيد
٢٢٤	تحريف الناس بالكرامات وإفساد العقائد
٢٢٥	الحلف بغير الله
٢٢٧	نسبة الاختراع والإبداع لغير الله
٢٢٨	تسمية المخلوق بالرب والمولى والسيد
٢٢٩	سب الدهر
٢٣٠	التألي على الله
٢٣١	التشريك في المشيئة والقدرة
٢٣٢	التوسل الجائر
٢٣٣	التوسل المختلف فيه
٢٣٤	التوسل المحظور
٢٣٦	الاستعانة بالمخلوق
٢٣٧	تشديد الأصححة وبراء القصور
٢٣٧	اتحاد القبور مساجد

٢٣٨	التدر للأصرحة والديج عندها
٢٤٠	من مظاهر ضعف الإيمان
٢٤٠	التطير والتماؤل
٢٤٣	العدوى
٢٤٤	استطلاع العيب بالكهانة والأبراج وتزيل الحاتم
٢٤٨	(لو) تفتح عمل الشيطان
٢٤٩	لا يُقال هلك الناس
٢٥٠	تعليق الدعاء على المشيئة
٢٥١	دعاة الشيطان تتعبد ما يوسوس به
٢٥٢	أنوع الوسواس
٢٥٢	لوسوسة في العقيدة
٢٥٤	لوسوسة في المعادات
٢٥٤	الوقاية من الوسوسة
٢٥٥	علاج الوسواس بعد وقوعه

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مآذون ببطاعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله علم بالعلم، علم الإنسان ما لم يعلم، حملاً كثيراً طيباً مبارك فيه،
لا نحصي ثناء عليه، كما أثنى على نفسه، والصلاة والسلام على سيد الأولين
والآخرين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه، وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين،
وبعد

فهذه كتاب في العقيدة، توجت به الوضوح والشمول، والتوثيق العلمي والتدليل،
فصدت فيه ربط العقيدة بالسلوك، وفهمها على طريقة الأئمة المقتدى بهم من أئمة
الدين، المتمثل في أمرين أساسيين هما:

الأول: ما أثبتته الوحي من القرآن أو السنة في أمر العقيدة أثبتوه، وما نقاه نفوه،
وما سكب عنه سكتوا عنه، ولم يحوصوا فيه، فطلبوا السلامة لأنفسهم، ولم يتكلفوا
عناء ثم يكفهم الله ﷻ به، فكان طربعهم أسلم وأمنع، وأعلم وأحكم، فحراهم به
عن الأمة خير الجراء.

كان أسماً؛ لأنه طريق العروة الساجية التي عليها رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان
أمنع؛ لأن مفهوم العقيدة عندهم كان منتهج حياة للمسلم، بما في هذه الكلمة من
معنى

وكان أحكم وأعلم، لأنه ليس على وجه الأرض أحد أعلم بالله ﷻ وما يجب له من رسول له ﷺ، فيه أعلم الناس بربه، وأتقاهم وأخشاهم لله، بإجماع أهل الإسلام، وليس كما شاع عند المتأخرين ممن كتبوا في علم الكلام، من أن طريقة الحنف في تأويل الصفات، أعلم وأحكم، فإن هذا القول مؤداه أن المشتعين بعمم الكلام ولأويل في القرون المتأخرة أعلم بالله ﷻ من رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا يصح ذلك في اعتقاد مسلم

الثاني ربط العقيدة بعمل المسلم وسلوكه، فلم تكن مسائل العقيدة عنى عندهم مجرد نطق واعتقاد، بل جمعت مع الطق والاعتقاد السلوك والأعمال العقيدة بمفهومها عندهم ليس كلمة ترقددها الشفاء وتناقضها النيات والأقوال والأفعال العقيدة عندهم انصاف لسلوك الفرد المؤمن الموحد القائم بحق ربه وحق عباده، هذا هو مفهوم العقيدة عندهم، الذي صار غريباً بيننا هذا ما قصدت إليه، والعون من الله وحده لا شريك له، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وما توفيقي إلا بالله

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

تاجوراء ليبيا

الباب الأول

في التوحيد وما يجب الإيمان به

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

الاعتقاد

معنى العقيدة والاعتقاد:

الاعتقاد هو الحكم الذي لا يقل الشك لدى معتقده، وهو ما انطوى عليه قلب الإنسان من تصديقات يعيه تشأ معه، لحاحته إليها، مما يتعلق بأمور الدين، سواء كانت هذه التصديقات فطرة اضطرابية، كاعتقاد السوع الإنساني بأسره في وجود الحائق لمكون قبل معرفه البراهين الداله عليه، أو كانت المعرفه نتيجة عن إقامة الأدلة والبراهين.

لذا سُمي العلم لمتكلم بما يجب الإيمان به علم العقائد، وصار علم العقيدة غلماً على العلم الذي يتناول ما يجب الإيمان به في حق الله تعالى من صفات الكمال والأسماء الحسنی، وما يستحيل، وما يجور، وفي حق رسله، وما يتعلق باليوم الآخر، وما يجب الإيمان به من أمور العيب والاعتقاد ينقسم إلى صحيح وفاسد، فمن اعتقد الشيء على ما هو عليه مطابقاً للواقع، فاعتقاده صحيح، ومن اعتقد الشيء على غير ما هو عليه، مخالفاً لواقع الحال، فاعتقاده فاسد، ويسمونه جهلاً^(١).

تسمية كتب الأقدمين في علم العقيدة.

تسمية العلم الذي يتناول ما ذكر باسم العقيدة تسمية متأخرة، اشتهرت مع بداية القرن الخامس، وهلم جرّاً.

ومن الكتب التي وصلت إلينا مسماه بالعقيدة، كتاب (شرح أصول الاعتقاد) لئالكني (ت ٤١٨هـ)، و(الاعتقاد) لليهي (ت ٤٥٨هـ)، وكانت الكتب التي تتكلم

(١) الحدود للبجي ص ٢٨

على هذا العلم قبل ذلك تسمى بمسميات أخرى، منها

١ (لفقه لأكرم)، وأول من استعمل هذا الاسم الإمام أبو حنيفة،
(ت ١٥٠هـ)

٢ (السنة)، وسبب ذلك لأنها جمعت الأحاديث والنسب الواردة في الاعتقاد،
وممن نسب إليه كتاب بهذا الاسم أبو بكر بن أبي شيبة صاحب كتابي (المسند)
(والمصنف) (ت ٢٣٥هـ)، والإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤٠هـ)، وأبو داود
التحسني صاحب السنن (ت ٢٧٥هـ)، وابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، والطبراني
(ت ٣٦٠هـ)، ومحمد بن نصر المروزي (ت ٤٣٤هـ)

٣ (الإيمان)، كالإيمان لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، وابن مده (ت ٣٩٥هـ)
وأبي يعلى (ت ٤٥٨هـ)

٤ (التوحيد)، ككتاب التوحيد من صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن
إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، و(التوحيد) لاس خزيمة (ت ٣١١هـ)

٥ (الشريعة)، ككتاب الشريعة للأجري (ت ٣٦٠هـ)

٦ (أصول الدين)، ككتاب (الإمارة عن أصول الديانة) لأبي الحسن الأشعري
(ت ٣٢٤هـ)، و(لوصول إلى معرفة الأصول) لأبي عمر الطنمكي (ت ٤٢٩هـ)
وغيرهما^{١١}

والاعتقاد ينقسم إلى صحيح وفاسد، فمن اعتقد الشيء على ما هو عليه مطابقاً
لواقع، واعتقاده صحيح، ومن اعتقد الشيء على غير ما هو عليه، مخالف واقع
الحال فاعتقاده فاسد، ويسمونه جهلاً^(٢).

حاجة الإنسان إلى العقيدة

الإنسان مخلوق ضعيف في هذا الكون الكبير، والحياة حضم واسع من الصراع
بين الخير والشر، والآلام والأمال، والضر والنعم، وقد يطعن الشر ويستصر الطم،
وقد تحيط بالإنسان الشدائد بأنواعها، فيصيه الضر والفقر، والجوع والمرص،

١١ نظر محله بحكمة العدد أربع عشر من ٣٥ مقال (عود من درج)، ودائرة معارف نفرد لعدد ١ ٤٨٣.

والموسوعة العربية المصرة ١٢٢٢/٢

(٢) الحدود للباجي ٣٨

ويُصاب بفقد الأحباب وأنواع الابتلاءات، في النفس والأهل والمال، إلى غير ذلك من المكروهات التي لا يد للإسان على دفعها

لذلك كان الإنسان دائماً في حاجة إلى الاحتماء بقوة عظمى تُصهه إذا طُم، وتحصيه إذا أُرده أحد سوء، وتمّته بالنصر إذا قل بصره، وتدفع عنه الشدائد إذا حنت به مصاح إلى قوة تُعوّضه عما فقد، ويستعيت بها إذا مسه الضر، تُطعمه إذا جاع، وتشفيه إذا مرض، وتصرف عنه سوء إذا حافه، وتحيطه بالنظامية واستقرار النفس إن تطوّرت به الطموحات، وتكالت عليه مطالب الحياة

هذه القوة مصدرها الدين والعقيدة، لم يختلف على ذلك الناس قديماً ولا حديثاً، لا في المجتمعات البدائية، ولا في العالم المتقدم، فالاحتماء بالعقيدة شيء معرور في فطرة الناس لا بد لهم منه، شاء من شاء وكره من كره، حتى المنحد ومدعي الألوهية، إذ أحاط به الهلاك وشاهد مصرعه قال يا رب، قد يقول ذلك دون أن يفكر، اسحابة للنداء المعرور في فطرته، وقد يقوله اعترافاً بالحق بعد أن يرى برهانه، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَلْهَىٰ مِنَ الْإِنسَانِ صُورًا دَعَا رَبَّهُ مِثْلَ نِسَاءٍ وَإِذَا حُوِّلَ يُعْمَلُ بِهِ سَبِيحًا مَا كَانَ يَدْعُو إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُبْلِغُ عَنْ حَبِيلِهِ قَوْلَ تَسْبِيحٍ كَثِيرًا قِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْآلَارِ﴾ [الزمر: ٨٠]

هذه حاجة الإنسان إلى العقيدة الصحيحة على الجانب المادي في الحياة الدنيا، أما على الجانب الآخر في الحياة الآخرة، فإن حاجة الإنسان إليها أشد إلحاحاً وضرورة، لأن الحياة الآخرة هي الحياة الناقية التي لا تفسى، والإنسان فيها يُوقى حراء أعماله، فيما يعيم مقيم لا ينقطع، إن آمن وكان معتقده صحيحاً، وإما عذاب أليم لا يطاق، إن أشرك وضل الطريق

وما يموت الإنسان في الدنيا من آمال، وما يصيبه فيها من حادثة أو حرمان، لا يؤلمه ففقه كثيراً بالمقارنة إلى ما يرحوه في يوم الدين والنجاء من حير عظيم، فإن في ذلك اليوم تعويضاً رايحاً عما فات، وفي وعده بذلك تسلية نفسه، تحفف عنه وقع المصائب وقت برولها، فهو بالاعتقاد الصحيح رايح في الحالين، في السراء والضراء، قال ﷺ «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا

للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له»^(١)

نظرًا لهذه الحاجة إلى الاحتواء بالعقيدة سواء في ما يتعلق بالجانب المادي المعامل في الحياة الدنيا، أو فيما يتعلق بالجانب الأخروي الآجل في الحياة الباقية كان الدين ولعقيدة على مر العصور في الماضي السحيق ولا يزال كذلك في الحاضر المعاصر جزءًا من كيان الناس لا ينفكون عنه، ولا بدّ لهم منه، حتى إهم إذ لم يهتدوا بهداية الله إلى الإيمان بالإله الحق، التجهتوا إلى أديان أخرى باطلة، يعدون فيها الكواكب والأوثان، يعدون الإنسان والأنوار، ويجعلونها أندادًا لله، وهي لا تفي شيئًا، ولا تدفع صرا، ولكن حاجتهم إلى العقيدة جعلهم يعتقدون بأي معتقد

وهنا تبرز الحاجة الحقيقية إلى العقيدة الصحيحة والدين الحق، الذي يلبي حاجة الإنسان، ويعطيه الحماية الحقيقية، والسعادة التي يشدها في الدارين

إن الدين عند الله الإسلام

لا شك أن الإسلام هو الدين الحق، لأنه الدين الذي رصيه الله تعالى لهذه الأمة، وسح به جميع الشرائع السماوية، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة ٣]، وهو الدين الذي يقوم على عبادة إله الكون الذي لا شريك له، المهيمن على كل شيء، الذي وسع علمه كل شيء، وأحاطت قدرته بكل الكائنات، فكل موحود بأمره، وكل نعمة على الناس هي من عنده، فكان لذلك مسجعًا لعبادة لداته، وهي حقه على عباده، يعدونه لا يشركون به شيئًا

ولما كان الدين الإسلامي حاتم الأديان السماوية وأحرها، وكان دينًا ليس كدفع على محض أحاسيسهم وألوانهم وعصورهم، أحكم الله تعالى شريعته على لسان نبيه محمد ﷺ فجعلها صالحة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، فمستورها كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهدى نبيه محمد ﷺ

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٩٩

المؤيد بالوحي، فكان في هذا الدستور شفاء الصدور، فيه العقيدة الصحيحة، والعادة المثلى، والسلوك القويم

كان شريعة في حاسها الاعتقادي تقوم على الإيمان بالله، الذي يملأ النفس البشرية ثقة وقوة واعتزاز بالله تعالى وحده ويحررها التحرر الكامل من التبعية لغيره، فلا عبودية إلا لله وحده، وبذلك تتوجه التوجيه النافع في الحياة الذي يحمد على التضحية لتحقيق أسمى الأهداف وأبل العايات

وفي حاسها التعدي تمثل هذه الشريعة مبع الإخلاص الذي تعكس أثره على الإنسان شعوراً بالمسئولية واستقامة وصلاح نفس

وفي حاسها السلوكي تعطي المثل الرائع في حسن التعامل والإنصاف والوفاء بالدمم، والعدل بين الناس

وهذه الحصائل التي هي حوامع الإيمان، ما اجتمعت في أمة إلا جمعت الخير من أطرافه، وكان لأهلها شأن عند الله وعند الناس، وكان لهم السمكين والفلاح، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْلُبَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ حَكَمًا مُّنتَظَفًا لَّا يَمَسُّ مِنْهُمْ فِيهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهِمْ الْقَرْبُ الرَّصَنَ لَهُمْ وَلَيَكُونَنَّ مِنْ تَحْتِ حُجُوبِهِمْ مَنْ تَعْدُوْنِي لَا شَرِيكَ لِي فِي شَيْءٍ﴾ [الثورة ٥٥]

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

الإيمان والإسلام

أول ما يجب على المكلف:

أول ما يجب على المكلف هو التوحيد، تطلقاً واعتقاداً وعملاً، وليس النظر ولا التفكير، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك لخصم المراهين وإقامة الأدلة، كما هو مذكور في كثير من كتب علم الكلام، وهي مائة ذكر أبو الوليد السجستاني عن بعض شيوخه أنها من مسائل المعتزلة التي بقيت في كتب الأشاعرة، وكذلك قال أبو جعفر السبكي وهو من رؤوس الأشاعرة^(١)

الاكتفاء بالإيمان الإجمالي

يكفي عامة المسلمين الإيمان الحارم والتصديق المحمل بكل ما جاء به النبي ﷺ أما معرفة تفصيل مسائل الإيمان والحلافيات، والاستدلال ورد الشبهات، فهذا من فروض الكفاية، لا يجب إلا على من أعطاه الله تعالى قدرة عليه من أهل العلم، ولا يجب على عامة المسلمين

قال القرطبي في المفهم «الذي عليه أئمة الفتوى وبهم يقتدى، كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد، وغيرهم من أئمة السلف، أن أول الواجبات على المكلف الإيمان بالتصديقي الحرمي، الذي لا ريب معه في الله تعالى ورسوله وكنهه، وما جاءت به الرسل، كيف حصل ذلك الإيمان، وبأي طريق إليه بوصول^(٢)» وهذا الذي قاله القرطبي هو الذي دل عليه حديث جبريل في تعريف الإيمان «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله

(١) نظر الشهيد ١٥٢/٧، ومع الساري ١، ٧٧، ١١٦/١٧

(٢) المفهم ١٨٢/١

وملائكته وكُتبه ورُسُله واليُوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)

ويدل له أيضًا أحاديث إسلام أصحاب رسول الله ﷺ كحديث إسلام الأعرابي، وإسلام أبي ذر، وحالد بن الوليد، وحديث بهر بن حكيم، وغيرهم من الصحابة، فقد روى بهر بن حكيم عن أبيه عن حده أنه قال: «قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حِفْضْتُ أَكْثَرَ مِنْ عِدْهِمْ لِأَصَاحِبِ يَدِيهِ أَنْ لَا أَتِيكَ وَلَا أَتِي دَيْكَ، وَإِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لَا أَغْفُلُ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ﷻ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَحْيِ اللَّهِ، بِمَا نَعَيْتُكَ رُبُّكَ الْبُذَى؟ قَالَ: بِالْإِسْلَامِ، قُلْتُ: وَمَا آيَاتُ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: أَنْ تَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ، وَتَحْيِيَّتُ، وَتَقِيْمُ الصَّلَاةِ، وَتُؤْتِي الرِّكَاعَةَ»^(٢)

فمن يكرر اليبى ﷺ بطلب ممن يأتيه راعيًا في الإسلام إقامة السرايين والدلائل العقلية على إثبات ما يجب لله تعالى، وما يستحيل، وما يجوز، من يكتفي به بالتصديق والتسليم الإجمالي بما يجب الإيمان به، والنظري بالشهادتين، وتعيينه أركان الإسلام ليعمل بها.

قال ابن عبد البر: «إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعبي وطبيعة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دحبوا في دين الله أفواخًا، علم أن الله ﷻ لم يعرفه واحد منهم إلا تصديق النبيين بأعلام السورة، ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة، ولا من باب الكل والنقص، ولا من باب كذب ويكون، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبًا، وفي الجسم وفي بنيه، والنشيه وفيه لادمانًا، ما أصاعوه، ولو أصاعوا الواجب ما نطق القرون سركيتهم وتقديهم، ولا أطب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهورًا أو من أخلاقهم معروفًا، لاستفاض عنهم، ولشهروا به، كما شهروا بالقران والروايات»^(٣)

تعريف الإيمان والإسلام

الإيمان في اللغة التصديق والإدعان، قال تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَاحِبِينَ﴾ (يوسف ١٧)، أي بمصدق والإسلام معناه الاستسلام والانقياد،

(١) مسلم حديث رقم ٨

(٢) سنن السائي حديث رقم ٢٤٣٦

(٣) التمهيد ١٥٢/٧

فهو إسلام الروح لله، وإيمانه بالنيات، والأعمال، والطاعات

والإيمان والإسلام المُتجيان عند الله تعالى يوم القيامة يردان في الشرع على شيء واحد، وهو الاستسلام لله تعالى، والخصوع له، والطاعة لأمره، وإن كان أحدهما وهو الإيمان أدخل في عمل القلب، والآخر، وهو الإسلام أدخل في السلق والعمل بالجوارح، فليس هناك إيمان منح لصاحبه في الآخرة من غير إسلام، ولا إسلام منح من غير إيمان، فهما متلازمان، هما كشجرة الإيمان، في القلب جذورها، والإسلام في الخارج فروعها، والجذور والقروء كلاهما جزءان لشيء واحد، لا يبغي واحد منهما عن غيره.

قد اسعد الله أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد^(١)، وهو قول جمهور أصحابنا وغيرهم من المالكيين والشافعيين، وهو قول داود وأصحابه، وأكثر أهل السنة والظهر، المتبعين للسلف والأثر، قال الله تعالى ﴿وَيَذَنَّا فِيهَا عِزِّيَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات ٣٦]، أي غير بيت مسلم من المؤمنين، فسوى بين الإيمان والإسلام، وقال تعالى ﴿إِنَّ الْبَيْتَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران ١٩] وقد ثبت بات القرآن أن الإسلام دين الأشياء جميعاً، قال تعالى محاطة إبراهيم عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْمَعِينِينَ﴾ [البقرة ١٣١]، وس دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا مَبْنِيَّيْكَ لَكَ وَمِنْ دُرَيْتَا أَنَّهُ مُبْنِيَّ لَكَ وَأَرَاكَ مَكِينًا وَبِ عَتَا إِنَّكَ أَمَّا الْتَوَكُّبُ الرَّحِيمُ﴾ وقال يوسف عليه السلام ﴿تَوَكَّلْ عَلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف ١٠١]، ولا شك أن الإسلام الذي عليه الأشياء وأحر القرآن بأنه الدين الحق، لا يكون مدلوله إلا شاملاً للإقرار بالوحيد باللسان، والإدعان لله والخصوع له بالقلب والجسد، والعمل بالطاعات بالجوارح والأركان

ويجب على أن الإيمان والإسلام سواء، مجيء التعبير بأحدهما عن الآخر، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم «أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟» قَالَ «الْإِيمَانُ»^(٢)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدُّهُ؟» قَالُوا «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ، قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تَطُوعًا

(١) سمعته ٢٤٧/٧ ٢٥٠

(٢) مسند أحمد حديث رقم ١٦٥٧٩

مِنَ الْمُفْتَنِّ الْعُمَى»^(١) وجاء التعبير بهذه الأركان في حديث جبريل عن الإسلام، فقد «أَنَّ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»^(٢)

وأما ما جاء من مثل قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ: إِنَّا عَلَىَّ قَوْلٍ تَمَّ تَوَسُّتُوا وَلَكُمْ قَوْلٌ لَّسْنَا بِكُفَّارٍ﴾ [الحجرات ١٤]، مما يقتضى المعايير بين الإيمان والإسلام، فليس المراد به الحقيقة الشرعية للإسلام، وإنما المراد الحقيقة الملغوية، وهي الاستسلام ظاهراً، خوفاً من القتل؛ لأن من أظهر الاستسلام عصم دمه، لكنه لا يكون مؤمناً على دين الإسلام، الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ديناً في قوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣)

ما يجب الإيمان به

يكفي المسم في الإيمان أن يؤمن بالله وحده لا شريك له، وملائكته، وكتبه، ورسوله، وما جاء به الرسل، وباليوم الآخر، وبالقدر خير وشره، وبالبعث بعد الموت، وأن الله تعالى ليس كمثله شيء إيماناً عاماً مجملًا، عني ما جاء في حديث جبريل ﷺ وهو قوله ﷺ في الجواب عن حقيقة الإسلام «أَنَّ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، وقوله عن الإيمان «أَنْ تُؤْمِنَ بِهِ».

(١) سنن أبي داود، رقم ٥٣

(٢) مسلم، حديث رقم ٨. ومثل ما ذهب إلى أن الإيمان أخضر من الإسلام، فكل مؤمن مسلم ولا يمكن أن يكون غير مسلم، وهو ما ذهب إليه في الحديث يا رسول الله أعط فلاناً دينه مؤمناً، فقال سي ﷺ «أَوْ مُسْلِمًا، أَوْ مُلْكًا ثَلَاثًا، وَبِرَدِّهَا عَلَى ثَلَاثًا «أَوْ مُسْلِمًا»، ثُمَّ قَالَ «إِنِّي لأُعْطِي الرَّحْلَ، وَغَيْرَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، مُحَافَةً أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي الثَّأْرِ» صحيح مسلم رقم ١٥٠، فقد فرغ سي ﷺ منها بما يفيد أن الإيمان أخضر من الإسلام وهناك من المصنفين من يجعل الإيمان غير الإسلام فجعل الإيمان هو تصديق والإيمان الحق بالقلب لله تعالى ولو كان صاحبه غير مقاد ولا مقر في ظاهره، وهذا يكون عند الله حجة ولا يمان في الدنيا معاملة نصيب، والإسلام هو الاعتقاد في ظاهره أن يكون صاحبه صادقاً في باطنه ويكون صادقاً وهذا لا يكون ناجزاً عند الله لكن في الظاهر يعمل معاملة نصيب لقول سي ﷺ = في حقه أو أمر أن ألقى عن فوق الناس ولا أشق بطوبهته صحيح البخاري رقم ٤٣٥١

(٣) البخاري مع فتح الباري ١/٨٦

وملائكته، وكُتبه، ورُسُله، والْيَوْم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرَه وشَره ١١

والإيمان بالله معناه توحيدُه في ذاته وصفاته، وأنه متَّصف بكل كمال، ومُسَرَّه عن كل نقص، وأنه ليس كمثله شيء، وتصديقُ ذلك بالقلب واللسان، مع الخضوع لأمره والإيمان بالملائكة معناه التصديق بما سمى الله تعالى لنا منهم في القرآن عني العيس والتصديقُ بآياتهم إجمالاً، وذلك باعتقاد أن لله تعالى ملائكة غير المذكورين، لا يعلم أعدادهم وأسماءهم إلا هو

والإيمان بالكتب يعني الإيمان بما سماه الله لنا من الكتب، وهو القرآن، والنبوة، والإنجيل، والفرقان، وصُحف إبراهيم وموسى، وكذلك الإيمان بأن لله كتباً أخرى أرسلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا هو

والإيمان بالرسول يعني التصديق بما سماه الله لنا منهم في القرآن، والإيمان كذلك بأن له رسلاً آخرين لا يعلم أعدادهم وأسماءهم إلا هو، كما قال الله تعالى ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر ٧٨]

والإيمان باليوم الآخر معناه الإيمان بالبعث بعد الموت، وبكل ما في ذلك اليوم من الحساب، والعزاء، والجزاء، والبار، والميران، والضرار
والإيمان بالقدر هو التسليم لقضاء الله تعالى وقدره، وأن نعم أن ما أصاب لم يكن ليخطئ، وما أخطأ ما لم يكن ليصيب، وأن برضى بذلك

الإيمان والإسلام مبنيان على التسليم

لا يصح للمؤمن إيمان ولا إسلام إلا بالتسليم المطلق، والإدعاء الكامل بالقبول واللسان لكل ما أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ دون اعتراض أو انقاص فليس لمسلم أن يقول لم أمر الله تعالى بكذا؟ أو لم يهي عن كذا؟ أو لم قدر كذا؟ أو لم فعل كذا؟ ولم حكم بكذا؟ فإن ذلك مناقض للإيمان، صاف لتسليم، قال الله تعالى ﴿ لَا تَسْتَلْ عَمَّا يُعَلِّ وَهُمْ يَشْتُلُونَ ﴾ [الأنبياء ٢٣]، وقال تعالى لرسوله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى يُحْكِمَكَ بِمَا شَعَرَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء ٦٥]

(١) مسلم حديث رقم ٨

والله ﷻ لا يُسأل عما يفعل، وذلك لكمال حكمته وعدله، لا لمجرد فهمه وسخطه. فالمسلم إذا سأل يقول: سم أمر ربنا؟ ولا يقول: لم أمر ربنا؟ ولا ضير من سؤال المستعلم، الرابع في العلم، الناحية عن حكمة ترتفع بها عن المس الشبهة، أو يرتاح القلب عند الوقوف عليها في أمر من أمور الدين، فإنما شفاء الغي السؤال

والسؤال المذموم هو سؤال المتعنت المسكر، الذي لا يريد المعرفة، وإنما يريد العدد، ومعرضة الحق والوحي برأيه^(١)

والصفة التي تميز السائل المعتز، عن السائل المستعلم المتعنت، أن الأول إذا لم يعرف الحكمة والعباية من الأمر، رفض الإيمان، وتشكك في صحة الأحكام أما المستعلم تعلمًا وتعقُّلاً، فهو على إيمانه وبقائه وتسليمه، عرف الحكمة أم لم يعرفها، فعدم معرفة الحكمة لا تسلب الإيمان، ولا تشككه فيما عده من يقين، ومعرفة تردده طمأنينة

الإيمان يزيد وينقص

الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، فهو مراتب بعضها فوق بعض فليس إيمان الأنبياء كإيمان غيرهم، وليس إيمان أبي بكر الصديق كإيمان سائر الناس، وليس إيمان المطيع كإيمان العاصي، قال تعالى: ﴿إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِئَتْ قُلُوبُهُمْ وَدُتْ بِتِ عَنْهُمْ أَسْتَمِرَّ دِينَهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأحقاف ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِإِنشَاء﴾ [المائدة ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ دِينَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف ١٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّسَالَاتِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْتَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح ٤]، والآيات صر في الدلالة على زيادة الإيمان، والزيادة تستلزم النقص لا محالة وقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ خَيْرُهُمْ لِنِسَائِهِمْ»^(٢)، ولا يكون من أنصف بهذه الصفة أكمل إلا إذا كان المتصف بصددها أنقص وقال ﷺ: «أوثق عرى الإيمان

(١) انظر تفسير القرطبي ٣٠٩/٦ وشرح المفهدة المضاوية ص ٢٩٠

(٢) سنن الترمذي حديث ١١١٢

الحب في الله والبغض في الله»^(١)، فإنه يدل على أن عرى الإيمان بعضها أوثق من بعض وأكمل. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ تَرَعَّ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سَقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَمْلُؤَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» ﴿كَلَّا مَنْ كَانَ عَلَى قُلُوبِهِ مَاءٌ كَاوًا نَكَسًا﴾»^(٢)

وقد ﷺ «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣)، وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه «هدموا برداء إيمانكم، فتذكرون الله ﷻ»^(٤)، وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»^(٥)

الإيمان قول وعمل

قال الشافعي رحمه الله تعالى «كان الإجماع من الصحابة والسابعين من بعدهم ومن أدركناهم بقولون. الإيمان قول وعمل ونية، ولا يعزى واحد من الثلاثة إلا بالآخر»^(٦) وقال الأوزاعي «كان من مصنى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل»^(٧) وقال ابن عبد البر: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، وذكر منهم مالك، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، وابن عينة، والأوزاعي، ومغمر بن راشد، وإسحاق بن عمار، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، فإنهم ومن سلك مسلكهم يقولون «الإيمان قول وعمل»^(٨) قول باللسان وهو الإقرار لله بالوحدانية، ونسبه ﷺ بالرسالة، واعتقاد بالقلب، بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ، مع التسليم والقول، وعمل

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦ - ١٧٠

(٢) من الترمذي حديث ٣٣٢٤ و٥٠ - حرر صحيح

(٣) البحاري حديث رقم ٢٤٧٥

(٤) الشريعة ص ١١٢

(٥) الشريعة ص ١١٨

(٦) مجموع الفتاوى ٣٠٨/٧

(٧) المنهيد ٢٣٨/٩ و٢٥٣، والاستذكار ١٣٤/٢٦

بالحوارج، نكل ما بطاع الله ﷻ من الفرائض والنوافل واجتناب النواهي وهذا هو تعريف الإيمان الواجب، الجامع لشعب الإيمان كلها الذي وعد الله تعالى أهله دخول الجنة دون عذاب، وهو معنى الإيمان عند الإطلاق فالتعمل لأمر من لوازم الإيمان المسيحي في الآخرة، لا يتحقق بدونه

ومن فرط في شيء من الفرائض مع إدعائه وإقراره بالتوحيد، لا يكون بمجرد ذلك كافرًا عند جماعة المسلمين، ولكن لا يكون مؤمنًا بالإيمان الذي أوجبه الله تعالى على المؤمنين، ووعدهم عليه الجنة دون عذاب

والدليل على أن العمل من الإيمان قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ بِمُصِغِرِ بِمَنَكُمُ﴾ [البقرة ١٤٣]. فإن أهل التفسير لم يختلفوا في أن المراد بالإيمان الصلاة إلى بيت المقدس^(١)، فسمى القرآن الصلاة إيمانًا، وقال تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْحَبِيبَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي كُرْبٍ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَبَيْنَ أَيْدِي أَوْلِيائِكَ الَّذِينَ سَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٧٧]

فجعل الله ﷻ في الآية إتياء المال، وإقامة الصلاة، والوفاء بالوعد، والصبر، كل ذلك من وصف الإيمان وقال ﷻ لوفد بني عبد القيس «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخِدَّتُهُ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَهْلَمَ، قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَنَاسِمِ الْخَمْسِ»^(٢)

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْيَهُ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣) وقال ﷺ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا

(١) سميد ٩ ٢٤٥

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٥٣، المشكاة ١٧١/١

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٢٤٧٥

إِمَاعَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ^(١)، وقال ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(٢) فجعل النبي ﷺ كفَّ الأذى عن المسميين من الإيمان، وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّبْتُمْ، أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٣) وقال لمن طلب منه قولاً في الإسلام لا يسأل عنه غيره: «قُلْ أَمِنْتُ بِاللَّهِ وَاسْتَقَمْتُ»^(٤)، فأمره بالتوحيد مع الاستقامة، والطاعات بأنواعها مدرجة تحت الاستقامة. وذكر ﷺ: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ جُزْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، من ذلك الحث في الله والحرص في الله، وإكرام الضيف، والصلاة، والصيام، والركعة، واتباع الحدائق، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وغير ذلك كثير، وكله ثابت في الصحيح عن النبي ﷺ في البخاري وغيره.

قال الأحراري في كتاب (الشرعية) إن الله ﷻ ذكر في ستة وحسين موضعاً في كنهه أنه لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده حتى ضُمَّ إليه العمل الصالح الذي قد وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصداقاً بقله، وناطقاً بلسانه، وعدملاً بحوارجه، وهذا من القوان ردُّ عليٍّ من قال: الإيمان المعرفة، وعليٍّ من قال المعرفة والقول، وإن لم يعمل^(٥)

توجيه حديث البطاقة

وهذا لا يعارض مع ما ورد في صحيح الحديث من نصوص ظاهرها الاعتماد على كلمة التوحيد وحدها في دخول الجنة، من مثل حديث أبي درر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»^(٦)

(١) مسلم حديث رقم ٣٥

(٢) البخاري حديث رقم ١٠

(٣) سنن الترمذي حديث رقم ٢٦٨٨ و٥٧ - حس صحيح

(٤) مسلم حديث رقم ٣٨

(٥) الشريعة ص ١٢٢

(٦) البخاري حديث رقم ٧٤٨٧

ومثل حديث الطاقة وهو ما رواه عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَسْرُ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ وَتَسْمِينُ سِجِلًا كُلُّ سِجِلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمْتُكَ كُتِبَنِي الْخَاطِطُونَ؟ يَقُولُ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ أَفَلَاكَ هَذَا؟ يَقُولُ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَقُولُ احْضُرْ وَرَتِّكْ، يَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السُّجَّلَاتِ، فَقَالَ إِنَّكَ لَا تَظَلَمُ، قَالَ: «تَوَضَّعُ السُّجَّلَاتُ فِي كَفِّهِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفِّهِ، فَطَاشَتِ السُّجَّلَاتُ وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْئًا»

مثل هذه المصوص فحواها التوحيه بما لتوحيد الله تعالى من مزية عظيمة، وما لمحاتمة على الإيمان من مكانة رفيعة عند الله تعالى، ولا تفهم على أن من قصر فيما كفه الله تعالى به من الطاعات، واحتجاب المحرمات، ولقى الله ﷻ بكلمة التوحيد مجردة من كل عمل صالح لا يعذبه الله

فإن هذا الفهم يتناقض مع سب وحمسين آية في كتاب الله، رتب كنهها دحوال الجنة على لإيمان لمقرون بالعمل الصالح، والله ﷻ يفعل ما يشاء ويختار، لا معقب لحكمه، فلو أدخل أحدنا الجنة دون أن يعذبه مع تقصيره على ما جاء في حديث الطاقة، لكان ذلك من سانخ فصله، وهو أهل العفو وأهل المعصرة، لكن من الذي بضمن لنفسه أن يكون ذلك السعيد؟ من ترك العمل واتكل وخاطر بنفسه على هذا السجو، لا شك أنه عامر بالمصير، وهل يعنيه حيث يتدبر إن حتى عليه العذاب أن يقول يا ويلنا على ما فرطت في جنب الله! قال تعالى ﴿عَلَى مَا قَرَأْتَ مِنْ حَسْبِ اللَّهِ﴾ [الرمر ٥٦]

القائلون بأن الإيمان الإقرار دون العمل

حالف قوم فقلوا: الإيمان الإقرار والتصديق، وأما الطاعات فلا تستحق إيماناً، كما أن المعاصي لا تسمى كفراً، واحتجوا بما يأتي

١- إن من مات من الصحابة قبل مرور الفرائض كان مؤمناً لا محالة، فدل على أن

(١) من الترمذي حديث رقم ٢٦٣٩

الطاعات ليست من حقيقة الإيمان وأجيب بأنها من حقيقة الإيمان، وأن تركها نقص، لكن لا لوم عليهم فيه؛ لأنه لم يكن منهم باختيار، فإن اليوم سوجه بعد التكليف، لا قبله^(١)

٢ أحصوا حديث عثمان بن مالك في قصة مالك بن الدحشم، وقد تعيب عن الصلاة مع رسول الله ﷺ، حيث وصفه من حصر بالنفاق، فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(٢)، وأجيب عنه بأن ذلك كان قبل نزول الفرائض

قال الرهري أدركنا الفقهاء وهم يرون أن ذلك كان قبل أن تنزل موحبات الفرائض، فإن لم يقد أوجب على أهل هذه الكلمة التي ذكرها رسول الله ﷺ، وذكر المحادة بها فرائض في كتابه، فمن محشئ أن يكون الأمر قد صار إليها، فمن استطاع أن لا يعير فلا يعير ومثله مروي عن سفيان بن عيينة وأبي عبيد في كتابه الإيمان له^(٣)

وقد تحوف عمر رضي الله عنه لما أعطاه الله تعالى من العظمة وحضور الدهر، عني الأمة من هذا التطبيق القاصر للإيمان جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة «اذْهَبْ بِتَعْلِيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وِدَاءِ هَذَا الْحَاظِ بِشَهِدٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ»، فكان أوَّل من لَقِيتُ عُمرُ، فقال ما هاتان التعللان يا أبا هريرة؟ فقلتُ هاتان تعللان رسول الله ﷺ بعثنى بهما من لَقِيتُ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فصر عُمر يده بين يدي، فحررت لاسي، فقال دُحج يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بكاء، وركبني عُمر فبدأ هو على أترفي، فقال لي رسول الله ﷺ: «يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي، أَبْنَيْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِتَعْلِيكَ مَنْ لَقِيتُ بِشَهِدٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ فَلَا تَقْمَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى

(١) فتح الباري ١/ ١١١

(٢) البخاري حديث رقم ٥٤٠١

(٣) التمهيد ٧/ ٢٤٠، وفتح الباري ١/ ١١١

أَنْ يَتَكَلَّ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلَّاهُمْ يَتَعَمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَخَلَّاهُمْ»^(١)، فكان هذا من عمر ﷺ تذكيراً، لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بما جاء عنه ﷺ في حديث معاذ أنه قال «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُجِيبُ بِهِ النَّاسَ فَيَنْتَبِهُوا، قَالَ إِذَا يَتَكَلَّمُوا»^٢

المعرفة وحدها دون إدعان لا تكفي

لا يكفي في صحة الإيمان مجرد العلم والمعرفة بالقرآن وأركان الإسلام، والعلم بوجوب الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأن الله هو الرازق الحالق، وأن من دونه لا يملكون صراً ولا نقراً، إذا لم يصحب ذلك استسلام لله تعالى وحضور وإقرار واعتقاد، فبن فرعون وحنوده، واليهود، والمشركيين القدامى كانوا يعرفون الله كذلك، قال تعالى عن قوم فرعون ﴿وَمَعَهُدُوا بِهَا وَانْبَغَتْهُمْ نَفْسُهُمْ طَمَأً وَعَثْرًا﴾ [السل ١٤]، وقال تعالى عن اليهود: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [الأنعام ٢٠]، فقد كان اليهود يعرفون أن النبي ﷺ مرسل من عند الله، ومع ذلك لم تمنعهم هذه المعرفة الحالية من السديم والقبول والإدعان، قال عبد الله بن سلام لقد عرفت محمداً ﷺ حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أشد^(٣) فمجرد المعرفة لا تغني شيئاً في باب الإيمان، فهي كمعرفة إبليس، ومعرفة فرعون وحنوده، كان إبليس يعرف ربه، وكان فرعون يعرف ربه كما قال له تعالى على لسان موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَصَائِرُ﴾ [الإسراء ١٠٢]، ولكن معرفتهما كانت مصحوبة بالعلوي والتكبر، وعدم الإدعان والقبول، فكانا من الهالكين

وقال تعالى في محاجة المشركين: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَبِّحُوا اللَّهَ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس ٣١]، فلم يصيروا مؤمنين مع أنهم أجابوا صراحة بأن الرزق في السماء والأرض، والمالك للأمر الله

وهل يُستفاد منه أن من يتجه إلى غير الله بطلب شيء لا يملكه إلا الله، كتفريح

(١) مسلم حديث رقم ٣١

(٢) البخاري حديث رقم ١٢٨

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ١٤٠/١

كُزُب، أو كُشِف صر، أو إعطاء ولد أو ورق، أو بتقرب إليه بعبادة لا تكون لغير الله، كبد ودعاء لا يعنى عنه بعد ذلك أن يقول لا يكشف الصر إلا الله، ولا يعطي المحابب إلا الله، فقد كان المشركون يقولون ذلك، ولم يفهم قولهم المحابب لعدمهم واعتقادهم، قال تعالى في محاببتهم ﴿أَمْ يَحْسَبُ الْمُضْطَرِّدُ دَعَاً وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَغْنُطُكُمْ حُلُكَةُ الْأَرْضِ﴾ [المل ٦٢]

ويحد في العصر الحاضر كثيراً من اليهود والنصارى تخصصوا لبحث في دين الإسلام، ودرسوا القرآن والحديث والعلوم الشرعية، وربما منهم من إذا دافسته اعترف بصدق القرآن وصحة الحديث وصدق النبي ﷺ ولكنه يجعل ذلك في نطاق البحث العلمي المجرد، بمعنى أن البحث العلمي يثبت له صحة القرآن، وأنه وحي من عند الله، دون أن يقبل الباحث ذلك، ويسلم به، ويحضع له، فلم يخرج عن دائرة مجرد العلم بصحة الإسلام، وذلك لا يستلزم الإيمان به، والإدعاء إليه، ومن لم يدعى له بما يجب الإيمان به لا يكون مسلماً، ولا ينفعه مجرد العلم

حسن النية وحده لا يكفي

عبادة الله تعالى هي العاية من خلق العباد، كما قال تعالى ﴿وَبِأَنزِلِنا هَذِهِ آيَاتِنَا وَلِتَذَكِّرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ وَهُمْ لَا يَعْتَدُونَ﴾ [الذاريات ٥٦]، والتقيّد فيها بما شرعه الله منها على الصورة التي شرعها، ضرورة لارمة لصحتها وقبولها عند الله تعالى، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُتْرَكْ يَسَادَةً رَبِّهِ أُحْذَرُ﴾ [الكهف ١١٠]، قال الفصيح من عباد الله العمل الصالح لا يقبل، حتى يكون أحلص العمل وأصونه، قيل له فما أحلص العمل؟ قال: أن يكون لله، قيل: فما أصونه؟ قال: أن يكون عن السنة، أي على وفق ما شرعه الله تعالى^(١)

وكان من دعاء عمر رضي الله عنه «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً»، وتحليص الأعمال مما يفسدها أشق من الاجتهاد في العادة

فلا بد لقبول العمل من تصحيح صورة العمل، بحيث يكون مشروعاً، مع إخلاص البوثة به إلى الله تعالى، فلا يكفي حسن النية وإخلاص القصد إذا لم يصب إليه

(١) إعلام المومنين ١٢٤/٢

حسن العمل فلو كان حسن النية وحده كافياً لما كانت هناك حاجة إلى إرسال الرسل، وإبراز الشرائع والكتب، حتى المشركون يرفعون أن عبادتهم لله حادثة، وأنهم ما يعبدون غير الله إلا ليقرّبوهم إلى الله زلمى

ولا يكفي في مشروعية العمل أن يكون صاحبه يريد به الخير، فقد قال عبد الله بن مسعود للذي قال له: ما أردنا إلا الخير «وكم من مُريدٍ نُحْيِرُ لَنْ يُصِيَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِرُ تَرَاقِيَهُمْ»^(١)

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه «كُلُّ عَادَةٍ لَمْ يَتَعَدَّهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَعُدُّوْهَا، بَيْنَ الْأَوَّلِ لَمْ يَدْعِ لِأَخْرَ مَقَالًا»^(٢)

ومن المُجمَع عليه بين أهل العلم أن العمل لا يكون مقبولاً إلا بشرطين موافقته للشرع، وإحلاص النية فيه لله وحده، فما كان على خلاف الشرع من الأعمال فهو باطل، مهما كان القلب به طيباً، والقصد إليه صالحاً، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ حَقَّقْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّعَمَّا وَلَا تُنْجِعُ أهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الحاثية ١٨]، ﴿قُلْ هَلْ يُنْفِكُ بِالْأَخْسَرِ أَعْمَلًا ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ سَلَّ سَعْيِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ شُعْثًا﴾ [الكهف ١٠٣، ١٠٤]، وقال ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ زِدٌّ»^(٣)

وما كان من الأعمال مقصود به غير الله، متوجّه به إلى من سواه، رياءً وظهوراً، فهو باطل مردود، ولو كان على وفق المشروع، لقول النبي ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ»^(٤)

قول الإنسان أنا مؤمن - إن شاء الله -

إذا قال الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله، في جواب من سأله هل أنت مؤمن؟ فلا صرر في ذلك، وكان السلف الصالح يكرهون مثل هذا السؤال، فكان طائوس إذا سُئل يقول: أصب بالله وكنته ورسله، وكان سفيان بن عيينة إذا سُئل هذا السؤال

(١) مسند بدير ٢٠٤ وانظر الاعتصام ١/ ١٨١

(٢) حدود وندع ٢٩٧

(٣) مسند حديث رقم ١٧١٨

(٤) المعاري حديث رقم ١

لا يجيب، ويقول للسائل: سؤالك إياي بدعة، ولا أشك في إيمانك، وقد الأوراعي للسائل: «إن المسألة عن ذلك بدعة، والشهادة عليه تعمق لم تُكَلِّفه في دينه، ولم بشره بيب، لقول فيه حدل والمارة فيه حدث»^(١)

وتعيق الإيمان على المشيئة لا بصر، ولا يقدح في الجرم بالإيمان، إذا كانت المشيئة متجهة إلى واحد من الأمور الآتية

١ اتجه المشيئة إلى الخاتمة على الإيمان، لا للإيمان نفسه، فإن الإنسان لا يستطيع أن يجره بما يكون عليه حاله عند الخاتمة، وبذلك يكون قوله: إن شاء الله في محله

٢ اتجه المشيئة إلى العمل الذي هو فعل الطاعات وترك المحرمات، فإن الإيمان لا يتم إلا بالعمل، والإنسان لا يستطيع أن يجزم بأنه أكمل العمل الذي يطلبه الإيمان، فهو شاك في ذلك، ولو قال أنا مؤمن قطعاً، دون تعيق على المشيئة في هذه الحالة، فكأنه قال: أنا في غاية الطاعة التي يطلها الإيمان الكامل، وهذا من تركية النص المهي عنها، قال ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْسَنَكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»^(٢)، هكذا جاء الحديث في بعض الروايات على غير صيغة الجرم توأصاً منه ﷺ، وجاء في بعضها بلفظ: «أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسَنُكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ»^(٣)، على الجزم ورسول الله ﷺ أهل لذلك.

٣ اتجه المشيئة إلى رجاء قبول الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَتَزَيْنَ مَوْثِقَ مَا تَرَىٰ وَقُلُوبُهُمْ رِجْلَهُ نَسَمَ إِلَىٰ رِيَّةٍ رَجْعُونَ﴾ [المؤمنون ٦٠]

مرتكب المعصية ليس كافراً

ارتكب المعاصي لا يُسلب المؤمن إيمانه، ولو كانت المعاصي من الكاثر، ما دام فعل المعصية يعتقد أنها معصية، فإن استحلها واعتقد أنها حلال وغير حكم الله، حرج عن الإيمان فالرأي واكل الربا لا يرتد عن الإسلام إذا ربي أو أكل الربا، وهو يعتقد حرمة ما ذكر، فإن فعل شيئاً من ذلك معتقداً أنه حلال، راداً على الله حكمه في

(١) سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٨

(٢) مسند حديث رقم ١١١٠، والشرعة للأجري ص ١٣٨، ومجموع الفتاوى ٤٤٩/٧

(٣) المحاري حديث رقم ٥٠٦٣

الحريم، كان مرتدًا جاء في الصحيح عن أبي در رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «أُنْأَتِي جَبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُفْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟» قَالَ «وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»^(١)

قال النووي في شرح صحيح مسلم «... ما عليه أهل الحق من السب واللعن، أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، وإن كان سارقًا من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والثائب توبة صحيحة من الشرك، أو غيره من المعاصي، إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يُنْتَلِ بمعصية أصلًا، فكل هؤلاء يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلًا، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورد، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وأما من كات له معصية كبيرة ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أو لا، كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريد ﷻ، ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل»^(٢)

وما ورد من المصوص في القرآن والسنة الدالة بظاهاها على الحكم على صاحب المعصية بالكفر، فمؤول عند جمهور العلماء على غير ظاهاها، من ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤]، وقوله ﷻ «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَغْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣)، وقوله ﷻ «سَيِّبِ السُّلَيْمِ فُوقَ وَقَالَهُ كُفْرًا»^(٤)، وقوله «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٥)

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٧٤٨٧

(٢) النووي على مسلم ١: ٢١٧

(٣) مسلم حديث رقم ٥٧

(٤) مسلم حديث رقم ٦٤

(٥) مسلم حديث رقم ٦٥

وقوله ﷺ «اثنان في الناس هما بهم كفر. الظن في السب، والبإحاة على الميت»^(١)، وقوله ﷺ «أيما عبد أبى من مواله فقد كفر حتى يرجع إليهم»^(٢)، وقوله ﷺ «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى قوماً ليس له بهم فليتبوا مقعده من النار»^(٣)، وقوله ﷺ «أيما امرئ قال لأخيه يا كافراً، فقد بآء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»^(٤)

فقد روي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه في حديث «يباب المسلم قُوفُ وقتلته كُفْرًا»، أنه قال: ليس بالكفر الذي يقبل عن العلة، ثم تلا قول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَ بَيْتِ آلِ أَبِي لَهَبٍ يَكُنْ مِثْلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٤٤]

وأظهر الأقوال في تأويل هذه النصوص لشتى مع باقي نصوص الشريعة، التي تقضى بعدم تكفير صاحب المعصية القول بأن من رنى، أو قتل، أو حكم بغير ما أمر الله، أو ادعى إلى غير أبيه، أو أبى من مواله، أو طعن في السب، أو رمى غيره بالكفر فقد فعل فعل الكفار، تعليلًا وتشديدًا عليه، وتفسيرًا من فعله، ولا يكون أحد كافرًا بمجرد ذلك، إلا إذا استحلّه وأباحه لنفسه، وكذلك من حكم بغير ما أنزل الله يكون كافرًا، إن استحل ذلك، أو لم يستحل، ولكن اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله وأصلح للعباد، فأما من حكم بغير ما أمر الله، وهو يعتقد أنه يرتكب حرامًا، ويمعل معصية، وأن حكم غير الله ليس مثل حكم الله في إحقاق الحق، وتحقيق العدل، وإصلاح العباد، فهو فاسق، وأمره إلى الله، إن شاء عدله وإن شاء عفا عنه، كما ذكر ذلك القرطبي في التفسير^(٥)

سلب الإيمان

تبين مما تقدم في حقيقة الإيمان والإسلام، أن الداحل إلى الإسلام لا يحتاج إلى أكثر من الاعتراف بالشهادتين بلسانه، وتصديق ذلك بقلبه، ولا يحتاج إلى معرفة

(١) مسلم حديث رقم ٩٣٤

(٢) مسلم حديث رقم ٦٨

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٣٥٠٨

(٤) مسلم حديث رقم ٦٠

(٥) بصر حقهيم ١ ٢٥٣ والجامع لأحكام الفراء ١٨٠/٦

البراهين والدلائل والحجج على قضايا العقيدة فالدخول في الإسلام أمر سهل يسير
لن شرح لله تعالى صدره إليه، ولكن قد يسلب الإنسان إيمانه ويُعدّ مرتدًا في
عدد الكافرين مع إقراره بالشهادتين، وذلك إذا صدر منه فعل أو قول ناقص مضمون
الشهادتين، أو يثبت على عدم رضاء بالإسلام، بعد إقامة الحجة عليه، ولذا طُنق
بالشهادتين لا يكون مؤمنًا إلا إذا لم يصدر عنه ما يعارضهما

ولا يكفر المسلم إلا بنكار أمر مجمع عليه في الشريعة، معنوم شوته من الدين
بالضرورة، يعلمه الخاص والعام، والصغير والكبير

أمثلة لما يسلب الإيمان

الأمر التي تسلب الإيمان كثيرة، منها إنكار صفة من الصفات الواجبة لله تعالى ،
كالحق ولقدم والرحمة إلخ، وكأن يسند الإنسان إيجاد العالم إلى الطبيعة
أو إلى المصادفة، أو يقول الله تعالى غير رحيم، أو غير عليم، أو أنه لا نعم
الجزئيات وتفصيلات الأمور

ويسبب الإيمان كذلك إثبات صفة له تعالى لا تليق بكماله، كمن يصفه
تعالى بالظلم أو الاستبداد، أو بمشابهة الحوادث في علمه أو قدرته، أو في صفة
من الصفات الأخرى، كوصفه بالعجز وعدم القدرة على الثورة، تصريحًا أو صمتًا،
كمن يقول لخصمه (حلّ ريك ينفك، أو يسمعك مني)، أو: (لو كان ريك هـ
لأصده ما أصابك)، أو يسبب لفظ الجلالة ويشتمه، تعالى الله عن ذلك

ويسبب الإيمان إنكار القرآن أو شيء منه، ولو كلمة واحدة اتفق المسلمون على
أنها من القرآن، أو تحقيره وعدم احترامه، أو إلقاء شيء مكتوب منه في مكان يُسهى،
كوطئه بالأقدام، أو في محل الأوساخ والنجاسات

ويسبب الإيمان الطعن في رسول الله محمد ﷺ، أو في نبي آخر من أنبياء الله
جميعًا، صلبوات الله وسلامه عليهم ، كالسخرية والاستهزاء بواحد منهم أو تكديسه،
أو عدم الإدعاء بالتسليم لما حكم به، وثبت عنه، قال تعالى ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُعَذِّبَهُمْ بِمَا شَاءَ﴾ ثُمَّ لَا يَخْجِدُوا فِي أَفْسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَصَّيْتُ
وَلَيْسِيَمُوا تَسِيَمًا﴾ [النساء ٦٥]، أو يسببه إلى الظلم أو الجهل تصريحًا أو تعريضًا، كمن

يسمع الحديث عن النبي ﷺ فيقول هذا الكلام ظلم حتى لو كان من قول السي ﷺ،
أو هذا كلام جاهل إلح

ويسلب الإيمان الطعن في الشريعة الإسلامية، أو الاستحفاف شيء مسوب إليها، أو رد حكم من أحكامها التي أجمعت عليها الأمة، وعدم بالنسبة أنها من دين الله تعالى، كإنكار الصلاة، أو أنها ليست على الكيفية المعهودة بين المسلمين، كمن يجعل الصلاة كلها ركعتين ركعتين، أو أنه لا بشرط أن تكون بالكيفية الخاصة، بل تكفي الصلاة ولو من غير ركوع أو سجود، أو لا تشترط إقامة الصوت الخمس، بل يكفي منها ما تيسر ولو ركعتين في اليوم، أو أنها تصح من غير وضوء، أو يكر الصوم أو الحج، أو فرضية الركاة أو العسل من الجدة، أو تحريم الرب، أو تحريم الحمر والربا، أو يكر حلية البيع والشراء، إلى غير ذلك من كل حكم معلوم بالنسبة أنه من دين الله تعالى، يعرفه الكبير والصغير والعالم والجاهل، إلا أن يعتبر منكر ذلك بجهل، كأن يكون حديث عهد بالإسلام لا يعرف أحكامه وحدوده، فلا يعد إنكاره كفرًا^(١)

شروط تكفير المعين

لا يحكم على إنسان بغيره بالكفر إذا بدا منه ما يستوجب الكفر إلا بعد تحقق الشروط الآتية

١ - القصد إلى القول أو الفعل المكفر، فإن كان القائل ناسيًا، أو محطًا أو عاقلًا سبق لسان، فهو معذور، قال تعالى ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ مِمَّا أَعْطَاكُمْ بِهِ﴾ [الأحراب ٥]، وقال ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ»^(٢)، وفي حديث مروح الرب تنويع العبد «لَلَّهِ أَشَدُّ قَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ جِيحَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلِهِ بِأَرْضٍ قَلَاةٍ، فَانْفَلَتَ مِنْهُ وَعَلَيْهَا ظَنَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلِهِ، فَيَسَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ حِنَّةً، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ

(١) نظر شرح سوي على سنة ٢٠٥١ هـ والروايج ٢٩/١، ٣٠

(٢) سنن مسند حديث رقم ٢٠٤٣

عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١)، يقول العد ذلك حين يعمره الفرح براحمته بعد أن ينس منها

٢ عدم الإكراه لقول الله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَسَمُ مَطْمَئِينَ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [التحل ١٠٦]

٣ كون المتكلم عالمًا بمقتضى كلامه ولوازمه، غير معذور بالجهل، فهو لم يكن عالمًا بذلك لا بحكم عليه بالكفر، كما هو الحال في تلفظ العامة بالتلفظ شركية، كهو يهودي أو نصراني، أو خارج من دين الإسلام إن فعل كذا وبمعنه، وكذلك غير الله والمصلحة في الحواف من ذلك أكثر من الخوف من التحلف بالله العظيم وبدل عليه قول الله تعالى حكاية عن قوم موسى لموسى عليه السلام ﴿أَحْصَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف ١٣٨]

ومنه قول النبي ﷺ لأصحابه عندما طلبوا منه أن يجعل لهم داب أنواط، كما كان أهل الجاهلية لهم داب أنواط، فقال ﷺ «مُبَحَّانَ اللَّهُ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ ثَنَةً مِنْ كَانِ قَبْلَكُمْ»^(٢)

فمن يحررهم قولهم عن العلة، وعذرهم النبي ﷺ لأنهم كانوا جاهلين، غير عالمين بمقتضى كلامهم ولوازمه، وكذلك كان أهل الجاهلية يحرمون بأدائهم ويحرمون باللات والعزى، وحرى ذلك على ألسنة بعضهم بعد الإسلام، فيها هم النبي ﷺ عنه، وقد «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، ولم يكفرهم

فمن أكر شيئًا من دين الإسلام مدعيًا الجهل به، لا يسارع إلى تكفيره، حتى يبين له ذلك ويعرف به، وترون عنه الشهادة، فإن تعادى بعد ذلك على إكباره، حكم بكفره^(٤)

(١) مسلم حديث رقم ٢٧٤٧

(٢) الترمذي حديث رقم ٢١٨٠ وقال حسن صحيح

(٣) البخاري حديث رقم ٤٨٦٠

(٤) انظر المصنف ١٣٢/٨

٤ عدم التأويل، فلو كان القائل لما يستوجب الكفر متأولاً طائفة لدخول مجتهداً في الوصول إلى الصواب، غير متع للهوى، فلا يحكم على قوله بالكفر، لقول النبي ﷺ «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١)، وقد روي أن قدامة بن مظعون، ومعه جماعة شربوا الخمر مسحجين لها، متأولين قول الله تعالى ﴿يَسْ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حُجٌّ يَمَّا طَمَعُوا بِهَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَلِلَّهِ يَحِثُّ الْكُفْرُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فأقيم عليهم الحد، وعُرفوا بتحريمها، فدبوا ولم يكفروا بدلت.

٥ ألا يكون معلوماً على عقله، لقول النبي ﷺ «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ النَّاسِمِ حَتَّى يَسْتَقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشُبَّ»^(٢)

٦ قيام الحجة عليه، فلا يحكم على أحد بكفر إلا بعد قيام الحجة عليه واستدسته، لقول الله تعالى ﴿سَيُفْتَنُ فَمَا يَهْتَدِي لِقِيَّةٍ وَسَّ صَلَٰءًا بِمُؤَلِّعَةٍ وَلَا تَرْزُ وَرِيَّةً وَرِيَّةً أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٠]، وقيام الحجة أن يبين لمسككم أن قوله بسوحت الكفر من جهة كذا وكذا، ويطلب منه التوبة والرجوع عن قوله، فبعضه يرجع عنه، فبأن دفع عنه فلا يحكم بكفره، لأن رجوعه بعد توبة، أو لعنه يكون متأولاً فيبين مستدسه، والمتأول أيضاً لا يحكم عليه بكفر، لأنه مجتهد، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب

ما يترتب على الرقة

ومن وقع منه شيء من الأمور المتقدمة، التي تسلب الإيمان، وتسوحت الرقة، فإنه يهرى بيه وبين روحه، ويطلبه القاصي للتوبة، فإن لم يتب أقام عليه حد الردة وهو القتل، لما جاء في الصحيح، قال ﷺ «لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُّسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَخْذِي ثَلَاثَ ثِيَابٍ الرَّائِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٣)

(١) سنن أبي حنيفة رقم ٧٣٥٢

(٢) سنن أبي حنيفة رقم ١٤٢٣

(٣) مسلم حديث رقم ١٦٦٦

وفي الصحيح قال ﷺ «مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١)، ولا يُدْرِك في مقدر المسمين، ولا تورث يمينه وبين قرانته المسلمين، كذلك لا يرثه قرانته من الكفار، وماله فيء لبيت المقدس، لأنه برده صار كالحربي، دمه وماله حلال^(٢)

والردة تحبط الأعمال، وصاحبها كافر، يُخَلَّد في النار، قال تعالى ﴿يَنْ أَسْرَكَتَ لِيَحْطَرَّ عَنْكَ﴾ [الزمر ٦٥]، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء ٤٨]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَزِيدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ رَبِّهِ، فَيَكُنْ لَهُمْ كُافِرًا قَاوِلًا يَكْذِبُ حَقِيقَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [النقرة ٢١٧]

العذر بالجهل

يرى القرافي أن الجاهل يُعذر بجهله في الفروع والأحكام العممية، ولا يعذر بجهله في الاعتقاد والمسائل العلمية^(٣)

وما قاله القرافي من عدم العذر في الاعتقاد والمسائل العممية غير مستقيم على إطلاقه عند العلماء، لأنه من التكليف بما لا يطاق، ومن التكليف بالحرص الذي رفعه الله عن هذه الأمة، ويدل على رده ما جاء في الصحيحين في الرجل الذي قال لسيده «إِذَا أُنْشِئْتُ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْقُونِي ثُمَّ اكْرُؤُوا لِي الرِّيحَ فِي الشَّجَرِ، فَوَاللَّهِ لَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ عَمِّي لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَ بِهِ أَحَدًا، قَالَ ففعلوا ذلك به، فقال للأرض أَدْبِي مَا أَحْبَبْتُ، فَبَدَأَتْ تَقُومُ، فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ خَشِيتُكَ يَا رَبِّ، أَوْ قَدْ حَدَّثْتُكَ، فَعَمِرَ لَهُ بِذَلِكَ»^(٤)

والرجل شئت في قدرة الله، واعتقد أن الله تعالى لا يقدر على إعادته إذا دُرِّي، وشئت في المعاد، وهذا كفر لا شك فيه، لكنه كان جاهلاً باعتقاده المصحوب بالخوف من الله، فعذر له

وقد قالت الجارية بين يدي رسول الله ﷺ «وَقِينَا نَبِيَّيْ يَغْلُمُ مَا فِي عَدِي فَقَالَ

(١) صحدي مع فتح ساري حديث رقم ٣٠١٧

(٢) نظر شرح كسر ٥٠٥ ٤

(٣) بروق ٢/ ١٥٠

(٤) صحدي حديث رقم ٣٢١٩ ومسلم حديث رقم ٤٩٥٠، والمفرد لمسلم

النَّبِيِّ ﷺ لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتَ تَقُولِينَ^(١)، فنهاها عن قولها وعتمها، ولم يكفرها، وعذرها بالجهل وذكر رجل للمسي ﷺ ما اعتاده الناس من قولهم ما شاء الله وشاء محمد، فما كفره بل عذره بالجهل، وعلمه أن يقول ما شاء الله ثم ما شاء محمد^(٢)

وفي الصحيح «أَنَّ رَجُلًا أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاوِيَةً خَمِيرًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟ قَالَ لَا، فَسَارَّ إِنْشَادًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَ سَارَرْتَهُ؟ فَقَالَ أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا، قَالَ فَصَحَّ الْمَرَادُ حَتَّى دَهَبَ مَا فِيهَا»^(٣)

قال ابن عبد البر في الحديث دليل على أن الإثم مرفوع عما لم يعلم، ومن أمكنه العلم ولم يتعلم أثم^(٤)

وقال يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول «لله تعالى أسماء وصعد لا يسع أحدا قامت عليه الحجة رثها، فإن حالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعدوم بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والمكر»^(٥) وفي مجموع الفتاوى «فمن شرط الإيمان وجود العلم بالسم، ولهذا كان الصواب أن الجهل بعصر أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافرا، إذا كان موقفا بما جاء به الرسول ﷺ»^(٦) وفي موضع آخر يقول عمر أنكر عدم الله بكل شيء، وقدرته على كل شيء «إن هذا القول كفر، ولكن تكفير قائله لا يحكم به حتى يكون قائله قد بلغه من العلم ما تقوم عليه به الحجة التي يكفر تاركها» ثم يقول «على ذلك اتفاق سلف الأمة وأئمتها ومشايخها»^(٧) ويقول «وإني أقرر أن الله قد عفر لهذه الأمة خطأها وذلك بعدم الخطأ في المسائل الحسرية القولية، والمسائل

(١) البخاري حديث رقم ٢٧٠٠

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٢١١٨

(٣) مسلم حديث رقم ١٥٧٩

(٤) التمهيد ١٥٤/٤

(٥) مختصر المتن لديني ص ١٧٧

(٦) مجموع الفتاوى ٥٣٨/٧

(٧) مجموع الفتاوى ٤١٣/١١

العملية»^(١)، وذكر الذهبي قول ابن حزيمة: «من لم يُقر بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سموات، فهو كافر حلال الدم، وكان ماله فينا» ثم علق عليه بقوله «من أقر بذلك تصديقاً لكتاب الله، ولأحاديث رسول الله ﷺ، ومن به موقوف معه إلى الله ورسوله، ولم يخص في التأويل، ولا علق فهو المسلم المتبع، ومن أنكر ذلك، فم يدر بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصر، إذ لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ما ورد في ذلك، ومن أنكر ذلك بعد العلم وفقاً غير سبيل السلف الصالح، وتمقل على النص، فأمره إلى الله، ويعود بالله من الضلال والهوى» ثم قال «وقد تأول من حرمة حديث الصورة، فليقدر من تأول بعض الصفات»^(٢)

مصير المؤمنين ومصير الكافرين

قال تعالى ﴿مَنْ حَيٍّ ۖ وَكَانَ لِقَاؤُهُ رَبَّهُ ۖ وَإِنْ لَتَبْءُ إِلَىٰ رَبِّهِ ۖ وَأَنْ مَنْ حَيٍّ مَقَامُهُ رَبِّهِ ۖ وَنَبِيِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَوْتِ﴾ [التارعات ٣٧-٤٠]، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء ٤٨]، وقد أجمع المفسرون على دخول المشركين النار وعلى حلولهم فيها، لا يخرجون منها أبداً ولا يموتون فقد حكى الله عنهم أنهم يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المومنون ١٠٧]، ويرد الله عليهم بقوله ﷻ ﴿قَالَ لَعَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ [المومنون ١٠٨]، وقال تعالى ﴿لَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [التخرف ٧٥]، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) مجموع بخاري ٣/ ٢٣٩

(٢) وهو ما حرجه بخاري وغيره (حين الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً) وخرج مسلم من حديث أبي هريرة (د فأتى أحدكم أخاه فسلمت الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)، رقم ٢٦١٢، قال في حريمه بعد أن أورد لأحاديث توهبه بعض من لم يحرر الله أو قوله (عنى صورته يريد صورة برحمن، عز ربنا وحل على أن يكون هذا معنى النحر. بل معنى قوله خلق آدم على صورته، لهذا في هذا الموضع كتابه عز سمع المصنوع والمشتبه أراد ﷻ أن الله خلق آدم على صورة هذا المصنوع الذي أمر صارت بحسب وجهه فإن الحافظ في الصحيح «واختلف إلى ما يعود نصيبه»، فصل إلى آدم أي حقه على صورته شيء سمع عنها إلى أن أخطأ وإلى أن مات. وفي نصيبه وتمثل فأنزل ذلك ما ورد في بعض حقه (عنى صورة النحر) والفراد بالصورة الصفة، والنقص أن له حقه على صفته من نعمه وحده وشمع وصبر وغير ذلك، وإذ كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء، نظر فتح لنا في شرح حديث رقم ٦٢٢٧، وسير أعلام النبلاء مع حاشية المحقق ١٤/ ٣٧٥

لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا تَقْصِرُ عَنْهُمْ فَيَسْتَوْثُوا وَلَا تَجْمَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ صَافٍ ﴿٣٦﴾ [فاطر ٣٦]، ﴿فَالَّذِينَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُنْقَصُونَ﴾ [الحاقة ٣٥]

وهذا عام في كل كافر، لا فرق بين اليهودي والنصراني، والنوشي والمذابي في العقيدة الربديين والمجوسى والملحد والشيوعى والهندوسى، ولا فرق بين الكافر عداً وغيروه، ولا بين الكافر أصلاً، والمرئد عن الإسلام، بأن حُكِمَ بكفره بعد اعتناقه الإسلام، لارتكابه ما يوجب الردة والإشراك بالله تعالى، فإن مصير جميع الكفار واحد، والكفر كله ملة واحدة، لكن بعض عذاب جهنم أشد من بعض، وأكثر هواناً وبكلاً، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء ١٤٥]، وقال ﷺ في عمه أبى طالب «لَعَنَهُ تَعْنَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَيُجْعَلُ فِي صَخَصَاحٍ مِنْ نَارٍ يَنْلُغُ كَعْنِهِ بِعَلَى مِنْ دِمَاعِهِ»^(١)

وأجمع المسلمون كذلك على أن مصير المؤمنين الذين حسم الله لهم بالوحدانية الجنة، وأنهم حالدون فيها لا يُخرجون منها ولا يموتون قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ حَادَّ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَسَىٰ نَفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥١﴾ إِنَّ الْآلَةَ هِيَ الْبَاقَىٰ﴾ [التارعات ٤٠]، وقال ﷺ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ بِمُتَحَرِّجِينَ﴾ [الحجر ٤٨]، وقال ﷺ في الحديث الذي فيه دبح الموت «فَيَنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(٢)

لكن إن كان من مات على التوحيد لم يمت مُصراً على كبيرة من الذنوب دخل الجنة أولاً، عند دخول المؤمنين الذين كمل إيمانهم بأعمالهم الصالحة، وإن مات على كبيرة لم يقبل الله تعالى توبته منها، فهو تحت المشيئة، فإن عفا الله ﷻ عنه دخل الجنة أولاً مع المطيعين، وإلا عُذِّبَ على قدر ذنبه، ثم أُحْرَجَ من النار، وحُدَّ في الجنة^(٣)

ويذكر على أن أهل الكافر من الموحدين يدخلون الجنة وإن جرب لهم قبل ذلك

(١) مسلم حديث رقم ٢١٠

(٢) البخاري حديث رقم ٤٧٣٠

(٣) شرح الترمذي على مسلم ٩٢/١

أبواب من العذاب والمحر ما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة، قال
 «أتاني جبريل عليه السلام، فقال مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ، لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْحَقَّةَ،
 قُلْتُ وَلَئِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ نَعَمْ»^(١)

(١) البحاري حديث رقم ٣٣٨٨، المدر بالجهل مجموع الفتاوى ٤٠٧/١١

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

وجود الله

وجود الشيء لا يتوقف على إدراكه:

وجود الأشياء لا يتوقف على إدراك العقل إياها وتصورها، هذه قضية لوضوحها لم تعد محل خلاف بين الناس فالروح والعمل موجودان في الإنسان، ولكن العقل لا يعرف عنهما شيئاً فلو سألت انعاماً أين عقلك؟ أو أين روحك؟ ما قدر أن يجيب، ولو قيل لأحر قل مائة سنة إنه لو وضعنا ورقة مكتوبة في آلة صغيرة، وصعقت عنى أررارها، فإن صورة طبق الأصل لتلك الكتابة تخرج في التو والحين مكتوبة في متناول من أرسلت إليه في اليابان أو في غيرها من أقطار الدنيا، لو أحر الإنسان بذلك كل مائة سنة، وعرض ذلك الحبر على عقله، لأحب العقل بأن ذلك مستحيل، ولا يمكن حصوله فعقل الإنسان محدود بقانون الزمان والمكان، فإذا خرج عن هذا القانون خبط في أحكامه وضل

وأمر لعب كلها خارجة عن هذا القانون، وخارجة عن موازين الحواس وقياساتها فإن الفكر في الشيء مسوق بتصوره، وتصور ما في الشيء على وجه صحيح غير ممكن، والواحد على المسلم إذا وردت على نفسه حوطة عن أمر من أمور لعب كذات الشاري ﷺ وصعاقته، أو عن أمر أحر لم يرد في الوحي ما يوضحه، فيدفع هذه الحوطة بما علم النبي ﷺ به أصحابه، فقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ، فسأوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه؟، قالوا: نعم، قال: ذلك ضريح الإيمان^(١)، وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا

(١) مسلم حديث رقم ١٣٢

خَلَقَ اللَّهُ الْمَخْلُوقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(١) وفي رواية «إذا وجدت شيئًا من ذلك، فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»^(٢)

ومعنى «إِنَّا نَعِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ» أي نجد الشيء القبيح، نحو من خلق الله؟ وكيف هو؟ ومن أي شيء هو؟ ونحو ذلك مما يعظم على النفس الطائر به، فما حكم حريان ذلك على حواظربا؟ ومعنى «ذاك صريح الإيمان» أن تحرركم من ذلك وردكم لما يلقى الشيطان في نموسكم وكراهيتكم لذلك هو صريح الإيمان

وفي المثل الذي صرحه الله ﷻ لنفسه في قوله تعالى ﴿لَهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البور ٣٥]، لُقِّبَ إعجاري للعقول بأنه سبحانه لا تُدرَك، ولا يراه أحد بعينه في الدنيا بقطعة، فقد أعطى العلم الحديث بُعدًا جديدًا لمُدلول الآلة الكريمة، فالعلم بقوى إن البور لا يرى في ذاته، وإنما يرى بواسطة الأشياء إذا انعكس عليها، أو تحسنت، كأن يعكس على حائط، أو يتخلله عار أو ماء

لذا فإن الإنسان كلما صعد في الفضاء، واتعد عن الأجرام والمواد، وانعدم ما يحل الهواء من الأحسام، أظنق عليه الظلمة، مع أنه سياتي يكون أقرب إلى الشمس مصدر البور

بعد معرفة هذه الحقيقة كان الواجب أن يزداد العقل إيمانًا بالله واسيقن بقدرته، وتسميًا بأمر العيب الذي جاء به الوحي من عنده، فكما أن البور الذي صرح الله به المثل لنفسه سبحانه لا يرى في ذاته، وإنما فيما يعكس عليه، فكذلك الأمر إليه سبحانه ، لا يرى في الدنيا في ذاته بقطعة، وإنما في عجائب مصوغاته

الدليل على وجود الله -تعالى-

يدل على وجود الله تعالى القطرة السليمة، والعقل الصحيح، وفيما سي يدل ذلك

(١) مسلم حديث رقم ١٣٤

(٢) مسلم ١١٩/١

١ نداء الفطرة

الإيمان بوجود الله تعالى أمر فطري لا يحتاج من الإنسان إلى جهد وعناء لكي يشته ، لأنه يشعر به في إحساسه ، ويرتكر في فطرته ، يستوي في ذلك العالم والجاهل ، والمؤمن والكافر إلا أن الإحساس الفطري قد يحججه الضرور بسبب ما أوتيته الإنسان من غم أو حزن ، أو سلطان ، أو مال ، أو نعمة بين يديه ، أو تحججه العصبية أو الأدبية والكبرياء ، أو تصلله الشهوات والأهواء ، أو تقليد الآباء والأجداد ، فيحقت نداء الفطرة في النفس وسط إقبال الدنيا وقتتها ، بما فيها من حزن ومال وسخط ومذنب ، أو بسبب غمى القلب باتباع الأهواء ، ويرتفع في النفس وسط هذه الفتن والانتلاءات صوت العناد والإلحاد والاعتراض ، فإذا ما أحس الإنسان فجأة بروال ذلك كله وعابى الخطر ، استيقظ فيه الفطرة الإيمانية ، وانقشع ما ران عليها من عوامل الزيف والتضليل ، فيجد نفسه دون إرادة منه ينادي ربه ويدعأ إليه ، ويطلب النعمة مستغيثاً به ، وليس ذلك إلا فطرة الإيمان بالله تعالى المعرورة فيه وهذا ما أحبر به القرآن عن حال الملحدين وعلى رأسهم فرعون ، فقد تمادى فرعون العناد حتى قال كما أحبر عنه الناري ﷻ ﴿وَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلَيْتَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [الفصل ٢٨] ، وعندما أطبق عليه البحر وتيقر الهلاك ، رجع إلى النداء الأول الذي استقر في نفسه ، مقتضى فطرته ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَقْكَ الْفَرَقَ قَالَ مَا أَتَىٰ نَفْسِي إِلَّا الْآلُ الْبَشَرِ مَا أَتَىٰ بِهِ ، نَزَّاءً يُرْوَىٰ وَلَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ﴾ [يونس ٩٠]

فمن أن فرعون يعتقد أنه كان على حق في إلحاده ، ما تنصل منه وقت أن تيقر الهلاك ، فيه أحوح ما يكون إليه في ذلك الوقت أن لو كان حقاً ، ولكنه كان يعرف أنه ريف ويهاد ، ولذلك رجع إلى نداء الفطرة ، وهو الاستغاثة بالله الواجب الوجود

وقد أحبر الله تعالى في أكثر من موضع أن الناس إذا متهم النضر دعوا الله محبسين له الدين ، قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ صُرْتُمْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا مُّطَّاءً يَضُرُّ إِلَىٰ تِلْكَ الْأَمْثَلِ﴾ [يونس ٩٠] ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّنْبِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْآلِينَ فَلَمَّا نَحَّسَهُمْ إِلَىٰ الْبَرِّ فَنَجَّاهُمْ مِّنْهُم مَّقْصِدٌ وَمَا يَحْمَدُ بِغَيْرِنَا إِلَّا كُلُّ خَشَّارٍ كَفُورٍ﴾ [القمان ٣٢] فالمصطر يرجع إلى فطرته ينادي ربه ، والعدل الطر بسن ربه وقت النعمة ، ويعرض عنه ، ولذلك فإن كلمة (يا رب) نجدتها تتردد عند الشدة والحيرة على شفاء الناس جميعاً ، المؤمن وغير المؤمن

والاعتراف بحلول الكون مُسلم به حتى عند المشركين ، فقد أحضر الله تعالى عن الكافرين بقوله ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَحَرَ الشَّجَرِ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان ٢٥] ، فهُم في قرارة أنفسهم يعرفون الخالق ، لأن فطرته تدلهم عليه ، إذ إن العاقل يستند بطبيعته السليم بالصحة على وجود الصانع ، وبالحكمة على وجود الحكيم ، وبأثر العلم على وجود العليم . وهذا الإحساس الفطري المعرور في الطبع في الاعتراف بوجود الخالق ، هو الذي تكلم به الأعرابي على سجيته في أسدود عفوي عندما قال : العبرة تدل على السعير والأثر يدل على المسير

٢ نداء العقل

علاوة على نداء الفطرة الذي يجده كل إنسان في نفسه يدعو إلى الإيمان بوجود الله تعالى ، هناك وسائل منحتها الله تعالى للناس ليعرفوه بها ، فأعطاهم العقل والسمع والبصر ، وأمرهم بالاستدلال والظن ، والأخذ بأسباب العلم ، ثم أوحى لهم الدلائل ، لو نظروا فيها ، واستعملوا عقولهم ، دلتهم على وجود الله تعالى والاعتراف به ، قال تعالى ﴿وَتُزَيِّنُكُمْ لِكَلِمَةٍ أَكَلِمَةٍ قَالَتْ لَأَكْفِرُنَّ﴾ [مائدة ٨١] ، وقال تعالى : ﴿سُئِلْتُمْ أَتَيْنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت ٣٥]

وليس أقوى في التدليل على وجود الخالق ﷻ من الدليل العقلي ، فالمقدمات العقلية الصحيحة عُرفت صحة الإيمان ، وحقيقة التوحيد ؛ لأن العقل يستحيل وجود أثر من غير مؤثر ، ووجود مسبب من غير سبب ، فإنه من مسلمات العقول بدهة أنه لا توجد صفة من غير صانع ، ولا علم من غير عالم ، ولا حكمة من غير حكيم ، ولا قدرة من غير قادر . وقد أكد القرآن صحة المقدمات العقلية هذه ، حين طلب الاستدلال بالأمم السالفة ، ومن ساروا في الأرض وأثارهم ، وبالدليل العقلي عرف الإنسان المعجزة ، وميزها عن الشعوذة ، وحكم بصدق السورة ، وشهد بأن القرآن حق ، وشرعية الإسلام صدق .

إن العقل هو الذي شهد بصدق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وصدق ما جاء به من لتوحيد والإيمان بالله تعالى حين رأى من معجزاتهم الدهرة ، التي

أيدهم إليه تعالى بها، وأظهرها على أيديهم، كمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام بانقلاب العصا حية تسعى، ومعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام بإحياء الموتى، ومعجرات سيدنا محمد ﷺ، وأعظمها، معجزة القرآن في نظمته ومعناه، الذي تحدى الله تعالى به الإنس والعج كافة أن يأتوا بمثله فعجزوا، ومعجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة إشفاق القمر إلى نصير، ورؤية الناس إياه كذلك، فهذه المعجرات برهان عقلي على صدق الرسول، وصدق ما أتى به، بأنه من عند الله تعالى، لأن تأييد الله تعالى لرسوله بالمعجزات حين يظنها الناس منه، هو شهادة من له تعالى على أن الرسول صادق في كل ما يُلَّع عن الله ﷻ، والمعجرات وإن كانت صامتة، فإن العقل جعلها ناطقة، فهي بيّات كما سماها القرآن، من حيث إنها تبيّن صدق الرسل، قال تعالى ﴿لَقَدْ رُسَّتْ رُسَّتْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد ٢٥]

المصنوعات تدل على صانعها

والعقل حين يشاهد نفسه، ويشاهد هذه المخلوقات العظيمة من أرض وسماء، وشمس وقمر، وبحر وحيوان، ونبات وكواكب، كلها تسير بحكمة بالغة في عناية لإتقان والنظام لا يستطيع أن يصدق أنها خلقت من غير خالق، وأنها وجدت من لا شيء، من عدم محض، فإن ذلك صعب من المستحيل، لأن السبب والعدم يستحيل أن يتبع عنه خلق وإيجاد، وذلك بالمشاهدة والعيان، فإن الميت لا يقدر على فعل شيء، قال تعالى ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا مِنْ عَيْرِ شَيْءٍ أَتُحْمَلُونَ﴾ [الطور ٣٥]

ولا يستطيع العقل كذلك أن يصدق أن الطبيعة هي التي أوجدت الكائنات، لأن الطبيعة صماء كماء، لا توصف بالعلم ولا بالحكمة ولا تدبر الأمور، وهذه المخلوقات دلت بصنعتها وإتقانها، وما يشاهد فيها من حكمة وخبرة، على أن صانعها حكيم خبير عليم، واسع العلم بما كان وما يكون

الصدفة في خلق الكون لا يقبلها العقل

لا يستطيع لعقل كذلك أن يصدق أن هذا الكون بما فيه، أوجدته المصادفة والاتفاق، لأن عمر الدنيا من أولها إلى آخرها لا يتسع ليتسع بالمصادفة عمية واحدة

معقّدة لتكوين حبة واحدة في جسم الإنسان، فكيف لملايين الحلل في مئات الآلاف من أنواع الحيوان والنبات، وكيف لتكوين وظائف أعضاء الإنسان المعقّدة، كالصمغ والكلى والسمع والبصر، وجهاز التنفس والهضم، وكيف ساقى محبوبت الله الأخرى التي لا تُحصى، ومنها ما هو في العظمة ما لا يُعد الإنسان بالنسبة إليه شيئاً، قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [عافر ٥٧]

ولتوضيح استحالة دور المصادفة في خلق هذا الكون، نأخذ مثلاً لأصغر مكونات الحياة في السب والحيوان، وهو الخلية، ليرى هل لاحتتمال المصادفة دور في إيجاد

إن إمكانية حدوث المصادفة لتكوين الأشياء السهلة غير المعقّدة أمر في غاية البعد، فكيف بالأشياء عندما تكون أكثر تعقيداً، فعلاً لو وضع الإنسان عشر بطاقات مرقمة من (١) إلى (١٠) في صندوق مقفّل، وحركها حتى احتلّ ترتيبها، ثم حاول أن يحركها مرّة من الواحد إلى العشرة، دون أن يراها، فإن إمكانية المصادفة لإيجاد ذلك تحتاج إلى ألف مليون محاولة، ولو كان المطلوب ترتيبه عن طريق المصادفة هو مائة بطاقة من هذا النوع، فإن الإنسان يحتاج إلى عدد من المحاولات مقداره ضرب الرقم ألف مليون في نفسه عشر مرات، وهو رقم يتعذر وضعه أو النطق به.

لنفس بعد ذلك إمكان خلق الخلية التي لا يمكن أن تُرى إلا بالمجهر، لا بل الأحذر أن نقيس جزءاً من الخلية، وهو الجزء الروتيني منها، والجزء الروتيني ذرة من أجزاء الخلية، لا يمكن رؤيته حتى بالمطّار، ويتكون من خمسة عناصر كيميائية هي: الكربون، والهيدروجين، والنيتروجين، والأكسجين، والكبريت والجزء الروتيني الواحد الذي لا يُرى حتى بالمجهر يشتمل على أربعين ألفاً من ذرات هذه العناصر الخمسة، ويتكون الجزء الروتيني هذا من سلاسل من الأحماض الأمينية ACIDS AMION، هذه السلاسل مرّة بطريقة عجيبة، بحيث لو احتلّ ترتيبها ووضع شيء منها في غير موضعه، لفتكت بالإنسان وقصت عليه، بل أن تكون سبباً في ممّته وحياته

وقد قدم العالم السويسري (تشارلز بوخس جواي) بحساب المدة التي تُحتاج إليها لتكوين حريء بروتيني عن طريق الصدفة، فانتهى إلى أن احتمال الوصول إلى ذلك يحتاج إلى مقدار من المادة يريد حجمه بليون مرة على المادة الموجودة الآن في الكون، حسب علم الإنسان، ويحتاج إلى محاولات متواصلة لتحريك المواد وضججها رمزاً بكون من رقم (١) أمامه مائتان وأربعة وأربعون صفراً من المسير، وهو رقم حيالي لا يتصور^(١)

والوصول إلى تكوين حريء بروتيني مع ما في الحصول عليه بطريق الصدفة من استحالة كما تقدم بعد ذلك ليس هو كلُّ القصة، فإن القصة تكمن في الحياة، فيس يجعل هذه الحياة حية، وهو السر الذي استأثر به الخالق ﷻ!

(١) انظر الإسلام يتحدى ص ١٥١ وما بعدها، والمسلم يدعو للإيمان ص ١٩٣

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

التوحيد

وحدة النظام تدل على وحدانية الخالق

وحدانية الله تعالى تتجلى لكل ذي عقل في وحدة النظام الذي أودع فيه تعالى عليه هذا الكون، وجعله يسير عليه، لا يحتل، ولا يتدخل، فالعقل يستدر بمشاهدة وحدة النظام الذي أودعه الله تعالى على غير مثال سابق في الحسن، للشرية، وفيما خلق الله تعالى في الكون من شمس وقمر ونجوم وأفلاك يستدر بذلك على وحدانية الصانع المبدع، فإن وحدة المصنوع تدل على وحدة الصانع فلو كان لله شريك ما استقام هذا الصنع البديع على هذا النظام الواحد، ولا اختلت المصنوعات وفسد الكون، قال تعالى ﴿أَوَ كَانَ يَهْمًا عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ لَمُسَدًّا﴾ [الأنبياء ٢٢]، أي السموات والأرض، وقال تعالى ﴿وَحَقَّقْ كُفْرَ ثَوْبٍ لَعَذَابُ ثَوْبٍ﴾ [الفرقان ٢٢]، وقال تعالى ﴿الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن ٥]، وقال تعالى ﴿وَالْقَمَرُ قَدْرَهُ مَكَارٍ﴾ [يس ٣٩]، وقال تعالى ﴿لَا تَشْمُسُ سَنِي لَمَّا نَ تَذَرِكُ الْقَمَرَ وَلَا لَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسَحُونَ﴾ [يس ٤٠]، وقال تعالى ﴿يُؤَيِّجُ لَيْلٍ فِي النَّهَارِ وَيُؤَيِّجُ النَّهَارَ فِي لَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجُورِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر ١٣].

معنى توحيد الله :

التوحيد: اعتقاد أن الله ﷻ واحد في ذاته، ليس كمثل شيء، وواحد في صفاته، لا يشبه أحد من خلقه في صفة من صفاته، متصف بكل كمال، مره عن كل نقصان قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ صَمَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ [الإخلاص ١-٤] والتوحيد، هو العبد، من هو عبيه

العدل، لذا كان أفضل الأعمال على الإطلاق، سئل النبي ﷺ «أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟» قَالَ «الْإِيمَانُ»^(١) وصَدَّ التَّوْحِيدَ الشُّرْكَ، وهو الظلم، بل هو أَظْلَمُ الظُّلْمِ وَأَعْظَمُهُ، وهو أَكْبَرُ الذُّنُوبِ وَأَقْبَحُهَا، قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣] وسئل النبي ﷺ «أَيُّ الذَّنْبِ أَكْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟» قَالَ «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»^(٢) وكان التوحيد غاية العدل، لأنه قيام بحق المعصم المستجيز أن يعدل لدته دون سواه، وكذا الشرك ظلمًا، لأنه حُجُودٌ ومُكَرَّانٌ لمن نعمه في الدنيا والآخرة سبعة، وعظابه عامرة، وأياديه بالخيرات على العباد مسوطة سائحة، وأعظم هذه المعصية في الدنيا دين الإسلام، وأعظمها في الآخرة دخول الجنة للموحدين، وما لهم فيها من المعيم المقيم

وعادة الله تعالى أساسها التوحيد، وكل عبادة لا تقوم على توحيد الله هي شرك وصلاب، ولذلك كان المطلق بكلمة التوحيد أول ركائز الإيمان، وباب مدخل الإسلام، قال ﷺ «بُنيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَالْحَجَّ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ»^(٣) والتوحيد لا يقبله الله ﷻ من العباد إلا كاملاً غير منقوص، فمن أحبط توحيدَه شرك، واعتقاد فاسد لم يقبل منه وأي حلل في دعائم التوحيد يقوِّص بنيانه، فإنه تعالى أعنى الأعياء عن الشرك، والشرك يُحبط العمل كله، قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْعَوْنَ﴾ [الأنعام ٨٨]

معنى لا إله إلا الله

معنى الشهادة لله بالوحدانية أنه لا معبود بحق في الوجود إلا الله تعالى، فلا يُقصد ولا يُستعان إلا به، ولا يُتوجه إلا إليه، ولا يُدعى غيره، ولا يُرجى سواه ولا يُتوكل إلا عليه، قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلْبِطُونَ بِكُمْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧]. فمن صدق في قول لا إله إلا الله، كان عمله كله لله، فلا يحب إلا لله، ولا يعص إلا في الله، ولا يؤالي ولا يُعادي إلا في الله أما

(١) مسند أحمد حديث رقم ١٦٥٧٩

(٢) مسند أحمد حديث رقم ٢٢٧٧

(٣) مسند أحمد حديث رقم ٨

من أحب لهواه، وأنعصر لهواه، وعادى ووالى لهواه، من طمع في ديب، أو سرلة أو حاد، فم يحق معنى لا إله إلا الله، وإنما تع هواه^(١)

ومعنى الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته في كل ما أمر به، وألا يعبد الله تعالى إلا بما بينه وبلعه، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنُفُوسٍ وَلَا مَلَكٍ أَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْخِزْيَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٣٦]

توحيد الألوهية^(٢)

شاع استعمال هذا المصطلح في الآونة الأخيرة على قلة استعماله عند الأقدمين، واستعمله أثار حدلاً بين المعاصرين، وأصاف مادة لأسباب الخلاف، وكثير منه خلاف لفظي، يحمل عليه التعصب، ولا وجود له عند التحقيق، شأنه شأن كثير من مسائل الخلاف في تراثنا الفكري التي عداها التعصب، ولم يحرر فيها محل السراع وهذا ما دعاني إلى استعمال هذا المصطلح، فلم أستعمله لأنه يصيف جديداً في أمر التوحيد لم يكن عند أسلافنا الذين لم يستعملوه، وإنما لأجني به ما عساه أن يرفع الخلاف الناتج عن عدم إمعان النظر في مدلول هذا اللفظ ومعناه، والتوقف عند التقسيم ومناه

فوحيد الألوهية لا يختلف من ذكره من القدامى والمحدثين على أن معناه تخصيص الله تعالى بالعبادة، واستحقاقه إياها دون سواء وهذا المعنى في التوحيد مما أجمع عليه الأمة، وبطقت به آيات القرآن، وجاء به دين الإسلام، ولا يحصف عنه من المسلمين اثنان، فبنكار حق الله تعالى وحده في العبادة كفر من كفر من أهل لكتاب والمشركيين، فكفر اليهود والنصارى باعتقادهم تعدد المستحق للعبادة، فجعل النصارى الرب مركباً من ثلاث، وجعل اليهود عزيز ابن الله، مع كفرهم جميعاً برسالة محمد ﷺ، وكفر الوثنيون باعتقادهم تعدد من الآلهة تعدد وتقرب إلى الله، ولذا قالوا: ﴿مَا نَسُدُّهُمْ إِلَّا بِقُرْبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلُمًا﴾ [الزمر ٣]

لذا كن إرسال الرسل قاطبة يقوم على الدعوة إلى عبادة الله وحده، وحطاب القراب في التوحيد كلها متوجهة إلى تحقيق ذلك وتحصيله، قال تعالى ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

(١) انظر جامع العلوم والحكم ص ٢٨٨

(٢) انظر شرح المفصلة الطحاوي ص ٧٦، ٨٧

النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ وقال تعالى . ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾ [الأنبياء ٢٠]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لمعاد «هَلْ تَذَرِي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقَّ الْعِبَادُ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»^(١)

توحيد الربوبية

وهذا أيضاً اصطلاح في الاستعمال، ولا مشاحة في الاصطلاح، ومعناه الاعتقاد بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء، ومليكه ومدبره، لا رب سواه لا يُرحى إلا معه، ولا يُخشى إلا صرّه، فهو الخالق البارق، النصار الدافع المعيش، الذي بيده لأمر كلّه، ما من حركة ولا سكون في الأرض ولا في السماء إلا بيده وشوب التوحيد بهذا المعنى لله تعالى لا يختلف عليه أهل الإسلام من صرح منهم بهذا التقسيم ومن لم يصرح، وهو توحيد فطري، قد يقرّه حتى من لا بعد الله تعالى من اليهود والنصارى والمشرّكين فإن المشاهد في الواحد منهم ليوم إذا عجز عن أمر، واستعمل كل حيلة عنده في تحصيله، كشفاء مريض مثلاً أو دفع ضرر، ولم يفلح أن يفوض الأمر إلى الله، وينسأ من حوله وقدرته، ومصدق ذلك من القرآن إحداده تعالى عن المشرّكين ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [القمان ٢٠]، وفي آية أخرى ﴿لِيَقُولُنَّ سَمِعْنَا أَلْعَمِيرُ الْقَلِيمُ﴾ [الرغرف ٩]، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِمْ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم ٢٣]، ﴿وَإِذَا رَجَعُوا إِلَى الْمَلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [المسكوت ٦٥]، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا مَكَكُمُ الْعُزْرُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا يَبَاءُ﴾ [الإسراء ٦٧]

وهذا الاعتقاد بربوبية الله تعالى، وهيئته على مقاليد السماوات والأرض، لا ينفع صاحبه إلا إذا انصم إليه اعتقاد أنه المستحق وحده لعبادة، وإفراده بها دون سواه، مع كمال لخصوع والإدعان والتذلل فإن أشد الناس كفراً، وهو فرعون الذي قال ﴿عَلِمْتُ لَعْنَكُمْ مِنْ إِلَهِي غَرِيبٌ﴾ [القصص ٣٨]، كان يقرّ بقدرة الله تعالى وتدبيره لأمر السماوات والأرض، كما أحر الله تعالى عنه ﴿لَعْنَةُ عَلِيٍّ مَا أُرِنَ

(١) البخاري حديث رقم ٥٩٦٧

هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَصَائِرُ ﴿[الإسراء ١٠٢]﴾ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ هُوَ وَحِيدُهُ ﴿وَمَعْدُوا بِهَا وَنَبَقَتْهُمْ طَلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل ١٤]

ولا يبرم من الإقرار بأن الله هو الخالق البارئ، وأنه هو السافع الصار، لا يبرم منه حصول الإيمان الذي لا يصح إلا بالاعتراف بأن الله وحده المستحق للعبادة، لكن يلزم من الإدعان لله والخضوع له، وأنه وحده المستحق للعبادة يبرم منه الإقرار بأنه الخالق البارئ، وأنه واحد لا شريك له، فإن الإله الحق المستحق للعبادة لا بد أن يكون حلقاً، بركاً موحداً متصفاً بكل كمال، وهذا ما جعل كتب العقيدة عند المتقدمين في الغالب لا تتعرض لهذا التقسيم، وتقتصر على بيان ما يجب اعتقده، وما يجب الإيمان به على ذكر توحيد الله وإفراده بالعبادة، لأنه مستلزم لتوحيده وإفراده بالحق والبرق والنع والصر وقُلَّ منها من يفصل ويذكر التقسيم صراحة، وإن ذكر المضمون، ومن القدامى الذين ذكروا هذا التقسيم ونصوا عليه صراحة القرطبي المعسر، فذكره وسه إلى علماء المالكية، قال في (الجامع لأحكام القرآن) «وعم ألعلماء عليه السلام قالوا الشوك على ثلاثة أصرب، وكله محرم وأصله اعتقاد شريك له في ألوهية، وهو الشوك الأعظم، وهو شوك الجاهلية، وهو المراد بقوله تعالى ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَمُورُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْبُدُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ شَاءَ﴾، وبليه اعتقاد شريك الله تعالى في الفعل، وهو قول من قال «إن موحوداً غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يتعقد كونه إلهاً»^(١) وفصل هذا التفصيل أيضاً الشقيطي في (أصواء البيا) فقد «ذل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله يقسم إلى ثلاثة أقسام الأول توحيد في ربوبية الثاني توحيد في جلا وعلا في عبادته النوع الثالث توحيد في جلا وعلا في أسمائه وصفاته...»^(٢)

وقد وردت إشارات إلى هذا التقسيم عند غير من ذكر ولما كان توحيد الله بالعبادة وإفراده بها مستلزماً لإفراده بأنه الرب الخالق القادر المدبر، كان الطلب في آيات القرآن مصفاً على الأمر بالعبادة وإفراده به، فهو المقصود الأول من خلق الخلق وبعثة الرسل، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٨١/٥

(٢) أصواء البيا ١٧/٣

لَا يَسْتَدْرِي ﴿الدَّارِيَات ٥٦﴾، وقال تعالى ﴿بَنَاتِهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ إِلَٰهِي حَقِّكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [القرة ٢١]، وكثيراً ما يذكر القرآن توحيد الربوبية برهاناً على استحقاقه سبحانه للعبادة، تبييناً للعافيين، وحجة على المعبدلين، قال تعالى ﴿فَمَنْ حَقَّ كُفْرُ لَا يَحُولُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الشعل ١٧]، ﴿بَنَاتِهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ إِلَٰهِي حَقِّكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [القرة ٢١]، ﴿عَلَّ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ مَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْفَقِيرُ﴾ [يوس ٣١، ٣٢] أي المسحق وحده للعبادة

وحدة الذات ووحدة الصفات

يحب الإيمان بأن الله تعالى واحد في ذاته، بمعنى أنه لا شريك له، وأنه لا مثيل له ولا شبه، قال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١، ٢]، وقال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَٰهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء ٢٢]

ويحب الإيمان كذلك بأن الله تعالى واحد مفرد في صفاته، ومعنى وحدة الصفات أن لله تعالى لا يشبهه أحد من خلقه في صفة من صفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] جل وعلا، متصف بكل صفات الكم، ومرة عن كل صفات النقص، وكل ما حطر بآلك فأنه ﴿بِحُلاَفٍ دَلَّتْ، وما أطلقه الشرع في نصوص القرآن والسنة على الخالق والمخلوق من الصفات، فلا تشابه بينها لئلا تشابه مثلاً بين صفة العلم والحياة، والسمع والبصر، التي يتصف بها لله تعالى ويتصف بها المخلوق، فعلم المخلوق متجدد حادث، محدود بالزمان والمكان، مسوق بجهل، ويتصف بالنقص والعجز، وعدم الله تعالى كامل، شامل للكماليات والجبريات، أرئى، لا يحده زمان ولا مكان، تكشف به جميع الأشياء في وقت واحد انكشافاً كاملاً، لا يسبقه جهل، ولا يحفه نقص، لا يعرب عن ذلك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم الحواطر، وحفيت السرائر والموايا والصمانر، ويعلم السر وأخفى، قال تعالى ﴿وَعَسَدُ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَسِعَ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْطُرُ مِنْ دَرْجَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

حَقَّقَ فِي مُلْكُمَنِي الْأَرْضِ وَلَا دَعِيَ وَلَا يَكِين إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ [الاسماء ٥٩]، ولما وافق بين علم الله وعلم المخلوقين إما هو في اللفظ فقط، وهكذا في سائر الصفات وصف له تعالى على نوعين صفات الذات، وصفات الفعل وصفات الداب، كوصفه سبحانه أنه إله، عزيز، مجيد، جليل، عظيم، عسي، حميد، ملك، جبار، متكبر، سميع، بصير، إلى آخر أسمائه الحمدي وصفات الفعل ثابتة لله تعالى لذاته أولاً بصفة القدرة، التي يفعل بها ما شاء ويختار^(١)، كالإحياء والإماتة والخلق والبرق

أ. صفة الذات

وهي صفات أدلية، يستحقها الباري سبحانه لذاته، واجبة له، لم يزل ولا يزال متصفاً بها وأسماء الله الحمدي تشمل على هذه الصفات، فيُصَفُّ تعالى بالحياة والسمع والبصر، والقدرة، والإرادة، والعلم والبقاء، والوحدانية، والقيومية، والعسي، والعظمة، والكبرياء، والعزة، والجبروت، والجلال، إلى آخر الأسماء الحمدي فالعليم معناه أنه متصف بالعلم، والسميع معناه أنه متصف بالسمع، وهكذا في باقي الأسماء، فهي أسماء وصفات هي ان واحد، سماها القرآن أسماء، قل تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف ١٨٠]، وسماها النبي ﷺ بذلك، فقد كما ثبت عنه في الصحيح «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ تِسْمِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)

ومن صفات الداب ما ثبت وحده لله تعالى بالنقل والعقل، كالصفات المتقدمة من القدرة والإرادة، والسمع والبصر، ومنها ما ثبت وجوه لله تعالى بالنقل والعبر، دون العقل، وهي

الصفات الخبرية

والمراد بالصفات الخبرية ما ورد مصافاً إلى الله تعالى في الكذب أو البسة من الوجه، ولید، والقدم، وبحو ذلك وُسميت صفات خبرية ثبوتها بالحبر والسمع،

(١) انظر الأسماء والصفات ص ١٧٦، وفتح الباري ١٧/ ١٥٣

(٢) البحاري حديث رقم ٢٧٣٦

لا بالعقل، وهي صفات أولية، واجبة لله تعالى، لم يزل ولا يزال متصفاً بها، قال تعالى ﴿وَسَمَىٰ وَهَّ رَبُّكَ دُوَّ الْبَلَدِ وَالْأَكْرَامِ﴾ [الرحمن ٢٧]، وقال تعالى ﴿سُبُّ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح ١٠]، وقال تعالى ﴿لَمْ يَدَأْهُ مَسْطُورًا يُنْفِثُ كَيْفَ يُنْفِثُ﴾ [الشعراء ٦٤]، وقال تعالى ﴿خَرَىٰ مَعْنًا﴾ [القمر ١٤]، وقال تعالى ﴿وَأَسْمَوَاتٍ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر ٦٧]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ في صفة جهنم أعدد الله منها **أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ -تبارك وتعالى- قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ^(١)، وفي الصحيح **إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَضْبُعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**^(٢)

وقد سمي المتأخرون ما ذكر بالصفات الخبرية ولم يرد نه عمن قديمهم من الصحابة والداعين والمتقدمين تسمية، بل كانوا يُسَمُّونَ لله تعالى ما أثبتته لنفسه منها، دون أن يقولوا عنها إنه صفات^(٣)

فيحب الاعتقاد بأن الله تعالى متصف بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ، من الوحه واليد والقدم وغيره مما ورد به النص، عن الوحه الذي أراده الله تعالى دون تأويل ولا تكييف، ولا توصيف، وهو معنى قول أهل العلم من السلف المتقدمين، **«أَمَرُواهَا كَمَا حَاءَتْ»**، مع الجرم سفي المماثلة والمشابهة، وأن صفات الله تعالى ليس حوارج كصفات المخلوقين

وذلك لأن الكلام عن الصفات فرع الكلام عن الذات، وذات الله لا تُدرك، فكذلك صفاته، إثباتها إثبات وجود لا إثبات كيفية قال أبو عمر بن عبد البر **«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحمدها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكفون شيئاً من ذلك، ولا يتحدثون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كنها، والحوارج فكهم يكرهها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويرغمون أن من أقر بها مشتهر والحق**

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٤٨

(٢) سنن ترمذي حديث رقم ٢١٤٠

(٣) نظر لأدلة الأشعري ص ٤٠

فيما قاله القائلون بما نطوق به كتاب الله وستة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله^(١)

وروى ابن عبد البر عن الوليد بن مسلم، قال سألت الأوراعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات، فقالوا أمرؤها كما جاءت بلا كيف^(٢)

ب صفات الفعل

وهي صفت أرلية، واحدة لله تعالى لذاته، متعلقة بإرادته وقدرته، يفعل منها ما يشاء ويختار، كالحلى والإحياء والإماتة، والرزق، والعفو، والرحمة، والعقوبة، قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص ٦٨]، وقال تعالى ﴿فَمَا لَهَا بِرَبِّهَا﴾ [البروج ١٦]، ومن هذه الصفات ما ثبت وجوبه لله تعالى كالحس والعقل معاً، كالحلى والإحياء والإماتة، ومنها ما ثبت وجوبه بالحق دون العقل، كالرول والمحجى، والعصب والرضا

وما ورد من هذه الصفات في الكتاب أو السنة، كالعجى والرول والصحت، والعجب، والعصب، والرضا، والاستحياء، يجب إثباته لله تعالى كما ورد، دون توصيف ولا تكيف ولا تأويل، ومن تحير وقال كيف يرول رب أو كيف يعصب رب؟ بقا له كيف هو سميع؟ وكيف هو بصير؟ وكيف هو حي عليم؟ وكيف هو نفسه؟ فكما أنه سبحانه لا تدركه العقول، فكذلك صفاته، فإن النصف فرع الموصوف ومما ورد في القرآن من هذه الصفات قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه ٥]، ﴿وَجَاءَ رُتْكُكَ وَآتَيْتُكَ صَفَاءً﴾ [الفجر ٢٢]

وحاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال. «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَقْبَلُ ثَلَاثُ اللَّيَالِ الْأَخِيرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ، مَنْ يَأْتِيَنِي فَأُغْفِرَ لَهُ، مَنْ يَسْتَفْزِرُنِي فَأُغْفِرَ لَهُ»^(٣)

كذلك ما ثبت رحمه الله تعالى إذا ذكر عبده من بدوع أحاديث الصفات فكثير أن

(١) التمهيد ٧/ ١٤٥

(٢) التمهيد ٧/ ١٤٩

(٣) البحاري مع فتح الباري ٣/ ٢٧٢، وانظر الإمامه ص ١١

يقول قال عمر بن عبد العزيز . «من رسول الله ﷺ وولاية الأمر بعده منّا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من حق الله تعالى تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى فهو مهتد، ومن استصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»^(١) ومقصود مالك من هذا أنه يجب الاقتداء في باب الصفات بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه

والمسلم عليه أن يعتقد ثبوت هذه الصفات لله تعالى كما ورد، دون كيف ولا وصف، روى يحيى بن يحيى التيمي قال «جاء رجل إلى مالك فقال يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ قال فما رأيت مالكاً وحده من شيء كموحذته من مقالته، وعلاء الرُحضاء، وأطرق القوم، فسُري عن مالك، وقال لكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأُخرج»^(٢)

ونقل مثل هذا القول عن ربيعة بن عبد الرحمن والسمياني وقول مالك هذا قاعدة في فهم جميع صفات الناري أحد به أهل العلم واستشهدوا به وأقروه، ولم يعرض عليه أحد، لصحته ومطابقته لما كان عليه الصحابة والتابعون، وهو يعني أن جميع الصفات الدالة له يجب الإيمان بها حقيقة على ما جاءت، دون بحث عن كيفيةها في حق الله تعالى، مع الهوى عن الحوص فيها»^(٣)

قال ابن عبد البر «علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ هو على العرش، وعنده في كل مكان، وما حالهم في ذلك أحد يُحتج بقوله»^(٤)

وسب أبو الحسن الأشعري في الإمامة القول بحلاف ذلك إلى الجهمية والمعتزلة، فقال «ورغم المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله ﷻ في كل مكان، فربهم أنه

(١) مجموع الفتاوى ٤٠/٥

(٢) النبه ١٣٨/٧، وهو ثابت عن مالك من طرق صحيحة

(٣) انظر المغلة السلف في كلام رب البرية ص ٧٤

(٤) النبه ١٣٩/٧، ٨٠/٢٢

ظن مريم، وفي الحشوش والأحلية، وهذا خلاف الدين، تعالئ الله عن قولهم^(١) وأمسد اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني، قال «اتفق الفقهاء كدهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسر شيئاً منها وقال يقول جهنم، فقد حرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وفارق الجماعة» لأنه وصف الرب بصفة لا شيء^(٢) وكان الأئمة من أهل السنة يقولون في أحاديث الرسول وما شابهها «أمرؤها كما جاءت»، ويقولون «نؤمن بها بلا كيف وبلا تشبيه ولا تعطيل»، والشافعي يقول «أمت بالله وما جاء عن الله عن مراد الله، وأمت برسول الله، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ»^(٣)

قال ابن عبد البر «كلهم يقول ينزل ويتجلى ويحيى بلا كيف، لا يقولون كيف يحيى؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ لأنه ليس كشيء من خلقه»^(٤)

وإثبات ما ذكر من الصفات على الوحدانية هو أعدل الأقوال، فإن فيه إثبات ما أثبتته الكتب والسنة، ولكن لا يُتعمق في التوصيف، لأن التعمق يؤدي إلى التشبيه ودون تأويل، فإن التأويل يؤدي إلى النقي والتعطيل، وخير الأحوال ما كان عليه الأول، مألوف وأصراه. قبل الاشتغال بالرد على المشبهين والمعطيلين، كانوا لا يحسون لكلام فيما سكنت عنه النبي ﷺ وأصحابه، ويقولون عن الصفات أمرؤها كما جاءت، ويقولون تفسيرها قراءتها، وكان كلامهم فيها معدوداً بالحروف، فمن راد كلمة لاموه عليها حتى لو كانت صواباً، وقالوا له. هي وإن كانت صحيحة، فلا أولى تركها، لأن السلف لم يتكلموا بها

قال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي عند شرحه لعبارة ابن أبي ريد في (الرسالة) «وأنه قوي عرشه بذاته»، «وعلى العرش استوى»، قال «العدرة الأخيرة أحب إلي من الأولى لأن قوله على العرش هو الذي ورد به النص، ولم يرد النص

(١) الإله ص ٣٧

(٢) فتح الباري ٣٦٥/١٥

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥٤/٦

(٤) المنهاج ١٥٣/٧

يدكر (فوق)، وإن كان المعنى واحداً إلا أن ما طابق النص أولي بأن يستعمل^(١) وقد ذهب تعبيراً على العبارة نفسها «وقد تلمظ بالعبارة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمه، وبلا ريب إن فصول الكلام، تركه من حسن الإسلام»، إلى أن قال «وقد تقموا عليه في قوله بذاته، فليته تركها»^(٢)

الكف عن الخوض في الصفات

الإيمان بهذه الصفات كما جاءت، على مراد الله منها كما يقول الشافعي رحمه الله، يقتضي أن يقف المسلم حيث وقف به النص، ويستعمل ألفاظ النص ذاتها، دون تعمق ولا تحديد ولا تحيل، فلا يكتفيها ولا يتكلف فيها، ولذا استعاض عن الأئمة قولهم أمروها كما جاءت، أمروها بلا كيف، وكانوا يقولون معاً قراءتها قال سعيد بن عيسى كل ما وصف الله به نفسه في كتابه تفسيره تلاوته والسكوت عنه^(٣)، أي واجب أن تؤمن به، ولا تتوهم ولا تقول. كيف، ومعنى هذا أنهم يؤمنون بها كما جاءت ولا يحول السؤال عنها، ولا الجدل فيها، على خلاف ما شاع اليوم بين كثير من أهل العلم وغيرهم.

سئل الإمام مالك عن أهل البدع، قال: «أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله تعالى وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يكفون عما سكت عنه الصحابة وال تابعون»^(٤) وقال للسان عن الاستواء «الإقرار به واجب والسؤال عنه بدعة» وروى البيهقي بسنده قال «كان سفيان الثوري وشعبة والحماذان وشريك لا يحدثون، ولا يشهون، ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون كيف، وإذا سئوا أحسوا بالآثر»^(٥)، ومن زاد على ذلك فلن يأمن الزلزل

قال ابن عبد البر «الكلام في صفات الناري يستشعها أهل السنة، وقد سكنت عنه الأئمة، فما أشكل علينا من مثل هذا الباب شهة أمر رباه كما جاء، وأما به كما يصعب

(١) شرح معاني عند نوهاذ ورقة ١٣

(٢) مختصر معاد من ٢٥٦

(٣) نظر فتح ساري ١٥ ٣٦٥

(٤) الآداب الشرعية ٢١٠/١

(٥) السالك الكرى ٣/٣

بمشابه القرون، ولم ساطر عليه، لأن المضاورة إنما تسوع وتجور فيما تحته عمل، ويصححه قيس، والقياس غير حائر في صفات الباري تعالى^(١)، وقال كذا مالك بقول «أدرك أهل هذا البلد ويعنى المدينة وهم يكرهون المضاورة والجدال إلا فيما تحته عمل قال يريد مالك ﷺ الأحكام في الصلاة والزكاة والطهارة، ولا يجوز عنه الجدال فيما تعتقده الأئمة، مما لا عمل تحته أكثر من الاعتقاد»^(٢)

دفع شبهة المؤولين

فإن قيل في إثبات هذه الصفات، من المحيي والنور، والاستواء، والنوح، واليد والقدم، إلى آخر ما ورد، إثبات للتشبيه، فلم التأويل حتى لا يشبه الله ﷻ سبحانه، كما فعلت المشبهة والمجسمة يقال هذا الإيراد لازم أيضًا في صفة الحياة والسمع والبصر، والعلم والقدرة والإرادة إلخ، فالعقل لا يدرك الحياة والسمع والبصر والإرادة إلا هذه الأعراس والحواس التي يتصف بها المحبوس، فهل إرادة الله وحياته وسمعه وبصره هي كحياة وسمع وبصر خلقه؟ لا شك أنها ليست كذلك، وأنها حياة تليق به ليست كحياتنا، وسمع يليق به ليس كسمعنا، وعدم يليق به ليس كعدمنا، فكذلك الاستواء والنور والقرب والوجه واليد، هي أيضًا يقال عنها استواء يليق به، ونور يليق به، ووجه يليق به، والله ﷻ ليس كمثله شيء، لا يحاح إلى شيء الله، لا إلى العرش ولا إلى غيره، كان وليس قبله شيء، وكان عرشه على الماء، وكان قبل العرش

فما لم تؤول تلك الصفات، وهي السمع والبصر إلخ، لم تؤول هذه؛ لأن تأويل الصفات معناه أن حقيقتها غير ثابتة لله تعالى ولا مراده، وذلك يستلزم فيها ثم إن الصفات سوعها ما أوله منها المؤولون وما لم يؤولوه، ثابتة ثبوت واحدًا، بالكتاب والسنة، فمن أثبت بعضها بلا تأويل ولم يقل بعضها إلا بتأويل، كان كمن يأخذ ببعض الكتاب ويردّ بعضه

ولوالد إمام الحرمين أبي محمد الجويني رسالة نافعة في هذا المعنى، ذكر فيها تحيّر هادي الأمر في مسألة الصفات، ومسألة العلو، ثم كيف شرح الله صدره لما ذهب

(١) المصنف ١٩/٢٣١

(٢) المصنف ١٩/٢٣٢

إليه أئمة السلف، وصغر ذلك رذ الشبه الواردة على القلب بما فيه مقنع لكل ذي لب^(١)

ما ورد فيه من الصفات تأويل عن السلف

حمل اللفظ على غير المتبادر منه قد يتعين في بعض نصوص الوحي، لتصحيح الكلام شرعاً، أو لتعذر حمله على ظاهره، حتى لا يتناقض الكلام عقلاً، وسواء سمي صوف الكلام عن هذا المعنى المتبادر تأويلاً أم لم نسمه، فلا مشاحة في الاصطلاحات، ما دام التفسير بعير المتبادر متعين

ومن الدس من يهر من استعمال كلمة التأويل في هذه المواضع، حتى لا يقال له لم قسب التأويل في بعض النصوص وأكثرت على القائلين به في بعض آخر؟ والجواب عن هذا الاعتراض لا يكون بوضع كلمة بدل أخرى، والمؤدّي واحد، فذلك يعود بالإصعاف على المسألة في إنكار التأويل برمتها، ولكن الجواب أن يقال ليس في رب صفت الله ﷻ من قياس، فما فهمه أهل القرون الأولى من النصوص في رب الصفات، وقبلوه على ظاهره من غير تأويل، قلناه، وما أولوه أولناه، فإن ذلك هو الحق والصواب إن شاء الله

ومما نقل عنهم فيه تأويل، قول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ عَلَّمَ مَا يَلْعَلُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُعْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَرْكَبُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ مِنْ ثَلَاثِ نَفَسٍ إِلَّا وَهُوَ بِمَا فِيهَا غَافِلٌ﴾ [الحديد ٤]، قال القرطبي «وقد جمع في هذه الآية بين ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، و﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، والأخذ بالظاهر تدقّق، فدل على أنه لا بد من التأويل، والإعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض»، فمعنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي يعلمه^(٢)

وفي مجموع الفتاوى^(٣) «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ويعود ذلك في القرآن أن ذلك عنده»، فأحرر سبحانه أنه مع علوه على عرشه يعلم كل شيء، فلا يمتعه عبوه عن العلم بجميع الأشياء»، وقال في معنى قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص ٨٨]

(١) مختصر المبرور ص ٢٦

(٢) إعراف تفسير قرطبي ٢٣٧/١٧

(٣) ٥١٩ ٥

«أَلْ كُلُّ شَيْءٍ هَذَا إِلَّا مَا كَانَ لَوَحْيِهِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَعْمَالِ وَغَيْرِهَا»^(١)
ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ [الواقعة ٨٥]، ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَتَّى
تُؤْتِيَهُ﴾ [سورة ق ١٦]، قال في مجموع الفتاوى: «أي بملائكتنا في الأسير»^(٢)
وكقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي حَقِّ اللَّهِ﴾ [الرعد ٥٦]، فإن المراد به في
استعمالهم الشائع في حق الله، وكذا قوله: ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ سَيِّئُهُمْ مِنْكَ الْقَوَاعِدُ﴾
[الحل ٢٦] معه حرب الله بعبادهم، وقوله: ﴿إِنَّمَا طَعَنُكَ يُؤَيِّدُ اللَّهَ﴾ [الإنسان ٩] معه
لأجل الله، وقس على ذلك^(٣)

ومنه الحديث: «إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»^(٤)، فإن معه تفتيس
الله عن المؤمنين كبريتهم يكون من أهل اليمن، قال في مجموع الفتاوى: «هم الذين
قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الله عن المؤمنين الكروب»
ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ﴾ [التوبة ٤٠]، فإن معه بصره وتأيد
وحفظه، وفي الحديث القدسي: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ
تَعُدْنِي قَالَ يَا رَبِّ، كَيْفَ أَحْوَدُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي
فُلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟»^(٥) إلخ، فإن
معه مرض المؤمن، واستطعام الجائع، كما جاء مفسراً في الحديث نفسه

صفة الكلام

من الصفات الواحة لله تعالى صفة الكلام، وهي صفة أروية واحدة لله تعالى
لذاته، يتصف بها ﷻ على ما يليق به، فيتكلم بما يشاء، كيف يشاء، متى شاء، وإسا
يصدق بكلامه وتؤمن به، ولا نعرف كيف هو كسائر الصفات الأخرى، مع الجرم
بعدم مشابته للكلام المخلوقين

(١) ٤٢٧/٢

(٢) ٥٠٢/٥

(٣) انظر فتح الباري ١٧/١٥٣، ١٦٠، والنهيد ٧/١٣٨

(٤) مسند الشاميين ٢/١٤٩

(٥) ٣٩٨/٦

(٦) مسند حديث رقم ٢٥٦٩

وقد كلم الله ﷺ ملائكته، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الفرقة: ٣٠]، وكلم بعض رسله، قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا فِي مَقْعِهِمْ عَلَى بَعْضِ مَثَلِهِمْ مِنْ كَلِمٍ اللَّهُ﴾ [الفرقة: ٢٥٣]، ومن كلمه الله تعالى ، موسى ﷺ، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وكلم سيد محمد ﷺ ربه ليلة المعراج، ففي الصحيح من حديث المعراج، قال ﷺ «فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي، فحط علي خمسا»، وقال تعالى ﴿رَبِّدُّوكَ أَوْ يُسْدُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال تعالى ﴿ثُمَّ يُخْرِجُوكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ عَقْلُوكُمْ وَهُمْ يَنْتَمِرُونَ﴾ [الفرقة: ٧٥] ويكلم الله تعالى عباده يوم القيامة في المحشر، مؤمنهم وكافرينهم ﴿وَيَوْمَ يُكَلِّمُهُمْ يُقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصر: ٦٥]

وفي الصحيح «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ثوجمان ولا حجاب ينجبه»^(١)، ويكلم الماري أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، فبه يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون ليك ربا وسعدنيك، فيقول هل ربيتم فيقولون وما لنا لا نرعى، وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك؟ فيقول أأعطيكم أفضل من ذلك، قالوا يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول «أحل عبيتكم رضوي فلا أسخط عليكم بعدة أبدا»^(٢)

وقد ﷺ لجار «ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأخيا أباك فكلمه كماخا، فقال يا عبيدي، تمن علي أعطك. قال يا رب، تحيي فأقتل فيك ثانية قال الرب ﷺ إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال وأنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾»^(٣)

ويقول ﷺ لأهل النار «اعتنوا فيما ولا تكلون» [المومنون: ١٠٨]، وكلم الله تعالى لا تعد ولا بهابة لها ﴿فَلَوْ كَانُ الْعَرَبُ بِدَا لِكَلْبٍ رَبِّي لَتَدَّ لَعَنَ قَلَّ أَلْ سَعْدَ كَلْبَتْ رَبِّي وَلَوْ جِئْتُ بِبَيْتِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]

وصب الجهمية والمعتزلة حقة الكلام، كما صب سائر الصفات الأخرى، وأبكر

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٧٤٤٣

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٦٥٤٩

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٣٠١٠

المجعد بن درهم أن يكون الله تعالى كليم موسى، فقتله حائد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بعد الحظوة، وقال «أيها الناس ارجعوا فصحاء، تقبل الله منكم، فإني مضج بالمجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يحد إبراهيم خليلًا تعالى الله عما يقول المجعد علوًا كبيرًا»، ثم برل إليه وذبحه في أصل المنبر^(١)

الكلمات التشريعية والكلمات الكونية

تنوع كلمات الله تعالى إلى نوعين كلمات تشريعية، وكلمات كونية فكلماته التشريعية كتبه المبرلة، وهي القرآن، والتوراة، والإنجيل، والربور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى ﷺ وكلماته الكونية هي التي يحث بها الحق، ويقدر بها المقادير، ويقول للشيء كن فيكون والكلمات التشريعية هي الأوامر والنواهي، من أطع الله تعالى عمل بها، ومن عصاه حالفها وتركها فالمطيع إذا قيل له صلّ واترك الركعة صلى وركى، والعاصي إذا قيل له صلّ لا يصلي. والكلمات الكونية لا يقدر أحد أن يحرج عنها، الجميع يحضض لها قهرًا، فمن قصي الله عليه بأمر من مرض أو موت، أو فقر أو عي، أو هلاك مال، أو ولد أصابه، مطيعًا كان أو عاصيًا، قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا رَأَىٰ شَيْءًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢]، وقال تعالى ﴿لَا عَاجِزَ آيَاتٍ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّجَزَ﴾ [هود ٤٣]

القرآن كلام الله

لم يكن المسلمون في الصدر الأول قبل ظهور البدع يزيدون عن قولهم القرآن كلام الله، فلا يقولون مخلوق، ولا غير مخلوق، شأن القرآن شأن سائر الصفات الأخرى، لوحدة لله تعالى، كالسمع والبصر، والقدرة والحياة، فبهم لا يقولون عنها مخلوقة ولا غير مخلوقة، فكذلك القرآن الذي هو كلامه، لا يقولون عنه مخلوق ولا غير مخلوق، حتى ظهرت بدعة المعتزلة بخلق القرآن، واحتج الناس إلى فيها بقولهم القرآن كلام الله غير مخلوق

(١) جمع لأشهره بعد أبي الحبحر الأشعري صفة الكلام لله تعالى تطلق على الكلام لفظي، ومعناه المعاني الموجودة في نفس الإنسان هذه هي الصفة الأرشية أما النطق بالصوت فهو تعبير عن الكلام لفظي، لذا هم يرون أن حروف الموجود في المصحف هي عبارة عن كلام الله، وهي محبوبة، وقد قال بالكلام لفظي ابن كلاب، وأخلقه عنه الأشاعرة الشريفة ص ١٩٧

سئل جعفر الصادق الإمام عن القرآن مخلوق هو؟ فأجاب «ليس بحال ولا محبوس، ولكنه كلام الله»^(١) وكان مالك يقول «كلم الله موسى عليه السلام»، والقرآن كلام الله، ويستطيع قول من يقول القرآن مخلوق ويقول «من قال القرآن محبوس يوحى ضرراً ويحبس حتى يموت»^(٢)

ويكفي في صحة إيمان المسلم أن يقول القرآن كلام الله، ولا يحوط فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب الرسول ﷺ والتابعون، فيسكت عما سكتوا عنه فإن الصحة ماتوا وما حاصوا في القرآن ولا في الصفات، «ومن رأى أن طريقة المتكلمين أحوذ من طريق أبي بكر وعمر فيس الاعتقاد»^(٣)

قال عمرو بن دينار «أدرك أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم مد سبعين سنة يقولون الله الحال، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه حرج وإليه يعود»^(٤) ومثل هذا القول مروى عن السقياس وغيرهما من الأئمة، ومعنى وإليه يعود، أن القرآن يُسرى عليه ليلاً فيرفع الله إليه، ويتبرعه من صدور الحفاظ، وأوراق المصاحف، فيصحبون ليس في الأرض ولا في جوف مسلم من شيء، قال تعالى ﴿وَلَيْسَ شَيْءٌ سَدَّ بَيْنَ يَدَيْكَ أَوْحَاً إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تُجِدُ اللَّهَ يَدْعُنَا وَجَلًّا﴾^(٥)

روى ابن عبد البر بسنده إلى سليم بن منصور بن عمار، قال كتب بشر المريسي إلى أبي أنحري عن القرآن أحال هو أم مخلوق؟ فكتب إليه أبي «بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله وإياك من كل فتنة، وجعلنا وإياك من أهله، ومن لا يرغب بدسه عن الجماعة، فإنه إن يفعل فأولئ بها وبعمة، وإلا يفعل فهي الهنكة، وليس لأحد عني الله بعد المرسلين حجة، ومن يرى أن الكلام في القرآن بدعة، تشارك فيها السائل والمجيب، تعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، ولا أعلم حلقاً إلا الله، والقرآن كلام الله، فأنه أنت والمحتشمون فيه، إلى ما سمعه الله به تكن من المهتدين، ولا تسم القرآن باسم من عدك فتكون من الهالكين، جعلت

(١) الشريعة ص ٧٧، والأسماء والصفات ٢٤٦

(٢) الشريعة ٧٩

(٣) من كلام لبيب عليل، انظر الأذات الشريعة ١/٢٠٤

(٤) السالك الكرى ١٠/٢٠٥، والشهد ٢٤/١٨٦

(٥) لاسر، يه ٨٦، و نظر مجموع الصاوي ٣/١٧٤ والمصدا السلفه في كلام خير نبيه ص ١٩٦

الله من الدين يحشونه بالغيب وهم من الساعة مشفقون»^(١)

وقد في (التمهيد) في شرح حديث الموطأ «مَنْ مَرَّ لَا فَبَيْعُ أَغْوَدُ نَكَمَاتِ اللَّهِ الثَّامِتِ مِنْ شَرِّ مَا حَلَّى، فَإِنَّ لِي بَصْرَةً شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ»، قال «في الاستعانة بكلمات الله أيقن دليل على أن كلام الله منه تبارك اسمه وصفة من صفاته، ليس محبوبي، لأنه محال أن يستعاد بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة»^(٢) وقال في موضع آخر «لقرآن عندما كلام الله، وصفة من صفاته غير محبوبي»^(٣) وقال ابن أبي ريد في (الرسالة): «ومما يجب اعتقاده أن القرآن كلام الله، ليس محبوبي فيسبى، ولا صفة لمحبوبي فيفقد»^(٤)

قد الحافظ في الفتح «ومن شدة اللبس في هذه المسألة كثرت بهي السبب عن الحوص فيها، وكتبوا باعتقاد أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يزدوا على ذلك شيئاً، وهو أسلم الأقوال» وقال «والمحفوظ عن جمهور السبب ترك الحوص في ذلك والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله غير محبوبي، ثم السكوت عما وراء ذلك»^(٥)

لما حارحت المعتزلة ببذعة خلق القرآن، وتنشأ الحكام مذهبهم فتنا العنماء به وامحسومهم، ومن لم يقل بخلق القرآن مسجنوه وعذبوه، ومن ذلك الوقت صار أهل السنة يطبقون عبادة القرآن كلام الله غير مخلوق، للرد على الجهمية والمعتزلة، الذين يقولون بحسب القرآن، وقد فصل الأشعري رحمه الله تعالى في (الإبانة) الأدلة في وجوه الرد عليهم^(٦)

التفصيل في مقام التعليم

أما في مقام التعليم ورد الشبه، فكانوا يفصلون الكلام بوجوب الإيمان بأن القرآن كنه كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور، مقروء

(١) التمهيد ١٩/٢٣٣

(٢) التمهيد ٢٤/١٨٦

(٣) التمهيد ١٩/٢٣١

(٤) رساله ابن أبي ريد ١/١١٩

(٥) فتح الباري ١٥/٤٢١ و ٤٦٧

(٦) الإبانة ص ٢١ وما بعدها

باللسنة، تكلم الله به وألقاه إلى رسول الله ﷺ بواسطة جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي بين دفتي المصحف، ويقرؤه الناس بأصواتهم فيما يقرءونه ويحفظونه ويسمعه الناس منهم هو كلام الله، لأن الله تعالى سمى اللفظ المسموع من القارئ كلام الله، قال تعالى ﴿وَيَنْ أَعْدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَتَهُ﴾ [التوبة ٦]، وقال تعالى ﴿لَقَدْ هُمُ مَانِكُمْ يَمَنُ فِي صُورٍ كَلْبِكَ أَرْثُو كَلِمَتَهُ وَمَا يُخَفِّدُ بِهَا يَمَنًا إِلَّا الْفُتَيْسُونَ﴾ [المكوت ٤٩]

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ «أَنَّه كَانَ يَهَيُّ أَنْ يُسَافِرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ مَخَافَةً أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ»^(١)، والمراد ما في المصحف وأجمع السبع على أن الذي بين دفتي المصحف كلام الله^(٢)، ولأن الكلام إما يستلزم ابتداء قوله، لا لمن قرأه وأداه، ويدل عليه إجماع المسلمين على أن القارئ إذا قرأ فاتحة الكتاب، قلوا سمعنا كلام الله، وقرأوا بين أن يقرأ كلام الله تعالى وبين أن يقرأ قصيدة من الشعر، فيقولون في الأول سمعنا كلام الله، وفي الثاني سمعنا قصيدة فلا.

وأما قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة ٤٠]، فالمراد به قول رسول مملع عن الله، ولفظ الرسول واشتقاقه يشعر بذلك، بدليل قوله تعالى في الآية بعد ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّكَ الْكَافِي﴾ [الحاقة ٤٣]

أما فعل السلاوة الذي هو الصوت، فهو صوت القارئ، وهو حادث محذوق، والكلام الذي يقرؤه صاحب الصوت كلام الباري؛ لأن الصوت فعل العبد، وأفعال العباد كلها محذوقة، وكذلك المداد المكتوب به القرآن، والنوح والنور، وحيدة المصحف، كله حادث

رؤية الباري ﷻ

اتفق أهل العلم على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا بقطة بعييه، فقد سأل موسى ﷺ أن يرى ربه، فقال له ﴿لَنْ تَرَى﴾ وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ

(١) مسلم حديث رقم ١٨٦٩

(٢) انظر فتح الباري ١٥/٤٦٧

تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷺ حَتَّى يَمُوتَ^(١) وقد احتسب الصحابة ومن بعدهم في رؤية النبي ﷺ لونه ليلة المعراج رؤية عينية، فجاء في كلام ابن عباس ما يمكن حمله على إثباتها وفيها^(٢)، وفتها عائشة، وهو الصحيح، حتى إن عثمان بن سعيد الدرمي حكى إجماع الصحابة على نفيها، فقد جاء في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «قُبْتُ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقُلْتُ لَقَدْ قُبْتُ شعري مِمَّا قُبْتُ أَيْبُنَ أَنْبَ مِنْ ثَلَاثٍ مِنْ حَدِيثِكُمْ فَقَدْ كَذَبَ؟ مِنْ حَدِيثِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأْتُ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وَمَا كَارَ لَشَيْءٍ أَنْ تُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَجِبًا وَ مِنْ وَدِّي حِمَابٍ» ، وَلَكِنَّهُ رَأَى حَنَرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ^(٣)، وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ عَنْ عَبْدِ مَسْعُومٍ، قَالَ «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّنَا؟ قَالَ نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ^(٤)»

ورؤية الدرمي ﷺ في المنام حادثة عند الجمهور، ونحتسب الصفة التي يرى عيها ﷺ في ليله باختلاف صفة الرائي، فمن حاله في الدنيا والاستقامة وطاعة الله ورسوله حسنة، يراه على أحسن صورة، كما رآه رسول الله ﷺ، عني ما دل عليه حديث معاذ الأنبي، ومن حاله دون ذلك رآه بحسب حاله، روى معاذ بن جبل حديثاً يحسب النبي ﷺ عن صلاة الصبح حتى كادت الشمس أن تطلع، وفيه قوله ﷺ «فَمَنْتُ فِي صَلَاتِي، فَاسْتَقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»^(٥)

الأسماء الحسنى وإحساؤها

قال تعالى ﴿رَبِّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الْبَيْنَ لَنْ يَجُودَ بِكُمْ اسْمُهُمْ سِيحَرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠]، وقال تعالى ﴿هَلْ ادْعَوْا اللَّهَ أَوْ دَعَوْا كَرِهَ لَكُمْ مَا تَدْعُوهُ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء ١١٠]، وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «إِنْ

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٣١

(٢) مجمع بحاري ٦ ٥٠٦

(٣) مسند حديث رقم ٤٨٥٥

(٤) مسلم حديث رقم ١٧٨

(٥) مسند سريسي حديث رقم ٢٢٢٥ و٥٠ - حس صحيح

لِللَّهِ تَسْمَةً وَتُسَمَّى اسْمًا وَابْنًا إِلَّا وَاحِدًا مِّنْ أَخْصَاةَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)

وإحصاؤها عددا وحفظها، مع الاعتناء بمعانيها والتعظيم لها، والعمل بما يقتضيه كل اسم منها، فالحكيم يقتضي تسليم الأمر له - لأن جميع أمره عنى وفق الحكمة، والقدير تقتضى قدرته أن تحشى سطوته - لأن كل شيء فى مملكه، وتحت طوله، والعليم يجب أن لا يُعصى لا سرا ولا جهرا - لأنه مطيع عنى الحفظ والقرب، وهكذا

ومن الأسماء ما يستحب للعد أن يقتدي بها، ويتحلّى بمعانيها، كالتوحيد والعفو والكرام، ليؤدي حق العمل بها، وبذلك يحصل الإحصاء العملي مع الإحصاء القولى، الذي هو حفظها والدعاء والتعود بها، وما تقدم هو أرفع مراتب إحصائها، وأدنى مجرد حفظها باللسان، ليشي المسلم على الله بجميعها قال القرطبي «المرحوم من كرم الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء عنى إحدى هذه المراتب، مع صحة الية أن يدخله الله الجنة»^(٢)

ولم يقع فى الصحيح سرد هذه الأسماء، وحرّج الترمذي وغيره الحديث سرد الأسماء التسعة والتسعين، من طريق الوليد بن مسلم، وقال «هذا حديث غريب، حدث به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا يعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة»^(٣)

ورواية الوليد هذه عن شعيب بن أبي حمزة أقرب الطرق إلى الصحة، وعليها اعتمد أكثر العلماء، ولما راجح أن سرد هذه الأسماء وتعييها فى الحديث ليس من كلام النبي ﷺ، وإنما هو مدرج من جمع بعض الرواة، قال الداودي ثم شب أن النبي ﷺ عين الأسماء المذكورة وقال ابن العربى يحتمل أن تكون الأسماء تكمة لمحدث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عندي^(٤)، وهذا هو الصحيح

(١) البخاري مع فتح الباري ١٧/١٤٨

(٢) انظر فتح الباري ١٧/١٤٨، ١٣/٤٧١، وتفسير القرطبي ٧/٢٢٥

(٣) سنن الترمذي حديث رقم ٣٥٠٧

(٤) انظر فتح باري ١٣/٤٧١، وعارضة الأحوي ١٣/٢٤

وقد جمعها غير الترمذي جمعا آخر استخرجه من القرآن وصحيح السنة منهم سفيان
 بن عيينة والإمام أحمد، وعليه جمع الترمذي اعتمد أكثر العلماء وسيدقها عنده هو
 الله^(١)، الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس^(٢) السلام^(٣) المؤمن^(٤)
 المهيمن^(٥)، العزيز الجبار المتكبر الخالق الباري^(٦) المصور^(٧)، العبد القهار الوهاب
 الرزاق الفتاح^(٨) العليم

القادر^(٩) الخافض^(١٠) الرافع^(١١) المعز^(١٢) المذل السميع النصير الحكيم^(١٣)
 العدل^(١٤) الغني^(١٥) الغني^(١٦) العظيم العفو^(١٧) الشكور^(١٨) الغني^(١٩) الكثير
 الحفيظ^(٢٠) المتقي^(٢١) الحسيب^(٢٢) الجليل الكريم الرقيب^(٢٣)

(١) له أسماء محمود الذي يأنه كل شيء أي يمدد كل الخلق . من آله يأنه عبد، وإله علي وبنو هاشم بمعنى
 ما يره أي محمود وألهم أحده ومنه وأنه إله الله كمرح فرح ولاء، واسم الله علم علي إله محمود
 يعني . وحب وجود تصف بكن صفات الكمال . ثم سبحانه بهذا الاسم لا يشاركه فيه غيره . فلم
 يسم به غيره كما قال تعالى ﴿قُلْ تَعَالَى﴾ ، وهذا بخلاف إله، فإنه يطلق علي إلهه لعن وعلي ما
 يمد من دون الله من الأصنام

(٢) قدوس بمعنى عر تشبهه، كالحاجة والافتقار إلى الزوجه والولد وغير ذلك

(٣) السلام الذي سلم من كل عيب ويرى من كل آفة

(٤) مؤمن الذي أخبر عن نفسه بأنه حق وخلق وأخبر عن عباده المؤمنين بأنهم علي صديق في عبادتهم
 الإسلام

(٥) المهيمن الرقيب والحافظ والمطر

(٦) الباري المعنى

(٧) المصور هو الذي خلق خلقه بصور مختلفة

(٨) الفتاح الحاكم بين عباده، والناصر لمن يريد نصرته، والفتاح لكل أبواب السموات

(٩) القادر والناسط الذي يوسع الأرض عن من يريد ويضيقه علي من يريد

(١٠) الخافض الرافع الذي يهر من يشاء من عباده . ويد . ويضع من يشاء

(١١) الحكيم الحكيم

(١٢) المذل الذي له أن يفعل ما يريد ولا يظلم عنه أحد

(١٣) الغني الحكيم بعباده، العالم بسرائر الأمور

(١٤) الشكور الذي يرضى من أعطاه ويعطي عنه الآخر الكثير مع شيء عن عباده

(١٥) الحفيظ الذي لا يسه ما علمه، والمراعي لمن أراد حفظه من خلقه

(١٦) المتقي القادر

(١٧) الحسيب الكافي

(١٨) الرقيب الحافظ الذي لا يسه عنه شيء

المحبب^(١) الواسع^(٢) الحكيم^(٣) الودود^(٤) المعيد^(٥) الناعث^(٦) الشهيد^(٧) الحق^(٨)
 الوكيل^(٩) القوي^(١٠) المتين^(١١) الولي^(١٢) الحميد^(١٣)
 المحصي^(١٤) المبدئ^(١٥) المعيد^(١٦) المحيي المميت الحي القيوم^(١٧) الواحد
 الماجد^(١٨) الواحد الصمد^(١٩) القادر المقدر المقدم المؤخر^(٢٠) الأول الآخر^(٢١)
 الظاهر^(٢٢) الباطن^(٢٣) الوالي^(٢٤) المتعال^(٢٥) السر^(٢٦) التواب^(٢٧) المستقم العفو

-
- (١) المحبب الذي يجب المصطر إذا دعاه
 (٢) الواسع واسع العلم والعنى والملك
 (٣) الحكم الذي يكون عمله في عايه الإثبات والإحكام، ولا تكون أعماله إلا لحكمه على وجه لئلا
 (٤) الودود الذي يجب عبادة المؤمنين ويحبه
 (٥) المعيد من المجد وهو الجلال والمنظمة والرفعة
 (٦) الناعث الذي يمت عبادة عبد الموت
 (٧) الشهيد الذي لا يجب عنه شيء
 (٨) الحق الموجود حقاً
 (٩) الوكيل هو الكافي والقائم على خلقه ما يصلحهم
 (١٠) القوي القادر
 (١١) الحس شديد القوة
 (١٢) الولي الناصر
 (١٣) الحميد الذي يستحق الحمد
 (١٤) المحصي المحيط علمه بكل شيء
 (١٥) المبدئ المبتدع في خلقه على غير مثل من
 (١٦) المعيد الذي يمد الحلى إلى الموت ثم إلى الحياة
 (١٧) المؤخر لقيام نفسه دوى احتاج والمقيم لغيره، والناهي فلا يرول
 (١٨) الواحد الماجد المهي القادر
 (١٩) الصمد الذي يلجأ إليه في الأمور ويقتصد في الحوائج، ولا يفتر إلى شيء
 (٢٠) المقدم المؤخر الذي يبر الأشاء مآربها فقله من يشاء ويؤخر من يشاء
 (٢١) الأول الذي لا أول وجوده والآخر الذي لا انتهاء لوجوده
 (٢٢) الظاهر بجمع ويرعب أدائه على ربوبته والظاهر بعلمه وعلمه على كل شيء سواه
 (٢٣) الباطن الذي لا تتوهم له كنهه، المطلع على ما خفى وطمس من الأمور
 (٢٤) الوالي المالك للأشاء المستولي عليها
 (٢٥) المتعالي علو ذات وفهر، السر عن صفات الحلى، المخالف للحوادث
 (٢٦) البر المحس إلى خلقه
 (٢٧) سواه سواه يوب على سواه ويشاء ويعمل توبه

الرءوف مالك لملك دو الجلال والإكرام^(١) المقسط^(٢) الجامع^(٣) العلي المعني
الصانع^(٤) المصدر النافع النور^(٥) الهادي البديع^(٦) الباقي^(٧) الوارث^(٨) الرشيد^(٩)
الصور^(١٠)

أسماء الله توقيفية وليست محصورة في هذا العدد

الصحيح أن أسماء الله تعالى ليست محصورة في هذا العدد التسعة
والسعين^(١١)، بل أسماؤه تعالى أكثر من ذلك، وأوصلها ابن العربي إلى مائة
وسنة وأربعين اسمًا، ولكن حُص هذا العدد التسعة والتسعين بالذكر لأن من أحصاه
دخل الجنة، فإن كثيرًا من أهل العلم على أن الأسماء التي من أحصاه دخل الجنة
ليست أسماء معينة، بل المراد من أحصى تسعة وتسعين منها على سبيل الدلّ دخل
الجنة، ومبهم من يجعلها معينة، وذهب ابن حزم إلى أن أسماء الله الحمسي ليست
إلا تسعة وتسعين اسمًا فقط، والصحيح خلافه

ويدل على عدم حصرها في التسعة والتسعين ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ،
ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضَرَفْتُ فِي حُكْمِكَ، عَذْلٌ فِي فَضْلِكَ أَسْأَلُكَ
بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلَنَتْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أُنْزِلَتْ فِي كِتَابِكَ،
أَوْ اسْتَأْذِنَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي،

(١) دو الجلال والإكرام الذي يستحق الإجلال والشكر، فلا يحسد فضله

(٢) المقسط العادل في حكمه

(٣) الجامع هو الذي يجمع الحلات بوجه التمام أو هو الذي يجمع صفات الممدوح

(٤) صانع هو الذي يصنع المصنوع أو يخلق المخلوق ويصور من يريد تصويره

(٥) النور الهدى إلى الحق

(٦) البديع الذي أبدع المخلوق على غير مثال سابق

(٧) الباقي الذي لا انتهاء لوجوده

(٨) الوارث الباقي بعد فناء المخلوق

(٩) الرشيد المبرر والهادي إلى الحق وكذلك هو في ذاته رشد لسلامة تسميته وتبرره عن التصرف وبعدها

(١٠) الصور الجسم، انظر شرح هذه الأسماء في (الاعتقاد)، للشيخ ص ١٧ وما بعدها، وعارضه لأحمدي

(١١) انظر أحكام القرآن (٧٩٧/٢)، والأسماء والصفات ص ٦

وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَتهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»^(١)

وفي الموطأ عن كعب الأحبار أنه قال «لولا كلمات أقولهن لخففتي يهود حمراء، فليل له وما هن؟ فقال أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه، وبكلمات الله لدمات التي لا يجاوزهن مر ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى كُنَّها ما عشتُ منها وما لم أعلم، من شر ما حلني ووبرأ ودرأ»^(٢)، وقد ثبت في القرآن من الأسماء غير المذكورات في حديث الترمذي. الرب، والمولى، والبر، والمحيط، والكافي، والعلام، وثبت في السنة. العنان، العنان، السَّير، الجميل

ويحبر عن الله تعالى بأنه قديم، وليس صفة له، لأن القديم بطنى عنى ما لم يرل موجوداً، وعن السابى لغيره وإن كان قبل ذلك غير موجود، فما يطنى عليه تعالى في باب الإحاد ليس توقيفاً، كالقدم والشيء والموجود والقيام بالنفس

أسماء الله لا تعرف إلا عن طريق الشرع

أسماء الله تعالى أعلام على ذاته المقدسة، كل اسم منها يدل على صفة له تعالى كما تقدم، فالرحيم يدل على صفة الرحمة، والتقدير يدل على القدرة، وهكذا، وهي لا تعرف إلا من جهة الشرع، لا يجوز لأحد أن يجهد فيها بإضافة اسم من عنده، فلا يسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الْبَيْنَ لِمَا حُدِّثُوا بِأَسْمَائِهِ سَيُخْرَجُونَ مَا كَانُوا يَمْسَلُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠]، قال المفسرون من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة^(٣)، من ذلك تسمية الصارى له بالآب، وتسمية الفلاسفة له بالعلة الفاعلة، ونحو ذلك

ولا يجوز أن يطلق على الله اسم أو صفة توهم بقصاً، ولو أن أصل اشتقاق ذلك الاسم ورد بتصريف الله تعالى به في القرآن، فلا يطنى على الله تعالى بأنه ذارع، أو دلى أو ماهد، أو مأكراً، أو مان، أو مستهزئ، مع أنه ثبت في القرآن ﴿لَئِنْ شِئْتُمْ لَرُدُّوهُمْ إِنَّمَا يَخْشَى الْكَافِرُونَ﴾ [الواقعة ٦٤]، ﴿وَالْأَرْضَ مَرَّشَهَا فَيَعْمَ الْمُسْهَدُونَ﴾

(١) مسند أحمد حديث رقم ٢٧٠٤

(٢) الموطأ ١٧٧٥

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣٢٨/٧

[الذاريات ٤٨]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [الأنعام ٩٠]، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [الفرقة ١٥]، ﴿وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَهًا أَلْفًا وَلَافَةً خَيْرٌ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ال عمران ٥٤]، ﴿وَالنَّمَاءُ بَسْكَهُ يَأْتِيهِ وَإِنْ تَوَسَّعُوهُ﴾^(١). ويقول إن لله عرشًا، ولا تقول له سرير، ويقول هو الحكيم، ولا تقول هو العاقل، ويقول عالم، ولا تقول عارف، ويقول خبير إبراهيم، ولا تقول صديق إبراهيم، بل يقتصر على ما ورد، ولا نقس عليه^(٢) ولا يجوز التسمي بالأسماء الخاصة بالله ﷻ، كالأرحم والجبار والقدوس، ولا التسمي بملك الملوك، لورود الهمي عنه في الصحيح عن النبي ﷺ، قال «أَخْبَنِي الْأَسْمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمِي مَلِكَ الْأَمْلاِكِ»^(٣)

اسم الله الأعظم

أنكر جماعة من العلماء تفصيل بعض أسماء الله تعالى عن بعض، وقالوا أسماء الله تعالى كلها عظيمة، ليس فيها اسم أفضل من غيره، لأن ذلك يؤدي عن اعتقاد بقصد المصنوع عن الأفضل، وهو لا يجوز ومن هؤلاء العلماء أبو جعفر الطبري، أبو الحسن الأشعري، وأبو حنبل، والقاضي الباقلاني، وأبو الحسن الفاسي، ونسب هذا القول أيضًا إلى الإمام مالك، قال القاضي «ويصح له بأنه ﷺ نقل عنه دعاء في أشياء كثيرة فلم يستجب له، فلو كان عنده اسم أعظم لعلمه الناس وما حفي عنه، وكيف يعلمه الناس ولم يعلمه هو»^(٤) واحتجوا أيضًا بأن الآثار عن النبي ﷺ احتجبت في تعيين الاسم الأعظم، ولم يرد في واحد منها أنه اسم أعظم ولا شيء أعظم منه، فدل على أن المراد بالأعظم العظيم، فأسماء الله تعالى كلها عظيمة

وحمل هؤلاء الأحاديث التي ورد فيها لفظ الاسم الأعظم على أنه بمعنى العظيم، أو أن المراد بأعظميته زياده الثواب لمن دعا به، كما جاء ذلك في تعظيم بعض سور القرآن، حيث يروى منه زيادة ثواب القارئ، لا أن سورة فاصلة وسورة مفصلة وقيل

(١) الذاريات آية ٤٧، وانظر فتح الباري ٤٨١/١٣

(٢) انظر التمهيد ١٣٦/٧

(٣) البخاري حديث رقم ٦٢٠٥

(٤) انظر فتح الباري ٤٨٢/١٣، والمعار ١٧٠/١١، وعود العمود ٨/ ١٦

المراد بالاسم لأعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا به أعد مسحوراً عظيمة
الله مستعرقاً، بحيث لا يكون في فكره حينئذ غير الله تعالى
وذهب جماعة من العلماء إلى أن في أسماء الله الحسنى اسماً أعظم، إذا دُعي به
تعالى به أحاب، أحقاء الله تعالى على الناس، يُدعوه بجميع أسمائه،
واحببت أقوال العلماء في تعيين هذا الاسم على أقوال^(١)، وأصحها من حيث السند
ما رواه الترمذي وغيره عن بُريدة الأسلمي، قال سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو، وهو
يقول: «لَهُمْ يَئِىَ أَسْأَلُكَ بِأَمْرِ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَخْذُ الصَّمَدُ، الَّذِي
لَمْ يَنْدُ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قَالَ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ إِلَهَ
بِاسْمِهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَحَاب، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ^(٢)

(١) انظر فتح الباري ١٣/٤٨٣

(٢) الترمذي حديث رقم ٣٤٧٥، ٥/٥١٥ وقال حديث حسن غريب

الإيمان بالملائكة

من أمور العيب التي يجب على المسلم أن يؤمن بها الإيمان بوحود الملائكة، قال تعالى ﴿وَمَنْ الرُّسُولُ يَمَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الفرقة: ٢٨٥]، وقد جعل الله تعالى عدم الإيمان بالملائكة كفراً، فقال تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وفي الصحيح من حديث حبريل المتقدم في تعريف الإيمان «أَنْ تُؤْمِنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله»^(١)

صفات الملائكة

الملائكة جمع ملك والناء للمبالغة، وليست للتأنيث، ولعظها مشتق من الألوكة، ومعناه الرسالة، فهم رسل الله تعالى . والملائكة مخلوقات بورانية لطيفة، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون ولا يتوالدون، ولا يوصعون بذكورة ولا أنوثة، أعطيت قدرة على التشكل، ومسكنها السماوات، مجبولون على الطاعة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي الصحيح قال ﷺ «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ»^(٢)، وقال تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ يَزْنُوا نُفُوسَ آبَائِهِمْ وَنُفُوسَ أَبْنَائِهِمْ مُرَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْخَيْصَرَةُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةٌ عَلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]، وقد تعالى ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] وقد أنكر الله تعالى على الكافرين حين جمعوا

(١) مسلم حديث رقم ٨

(٢) مسلم ٢٢٩٤/٤

الملائكة إباداً، فقال تعالى ﴿وَجَعَلُوا أَمَلِيكَهُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَشِيرَةٌ﴾ حَقَّقَهُمْ سَكَنُ شَهْنَهُمْ وَتَشْتَلُونَ﴾ [الزحرف ١٩]، وقد سمى الله تعالى ملائكته رسلاً لأبهم بعدون أوامره بالوحي فقال تعالى ﴿بَلْ وَرُسُلًا مِّنْهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزحرف ٨٠]، وقال تعالى ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى ٥١]، وقال تعالى ﴿تَلَسَّدُ بِلَهُ فَأَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلٍ أَمَلِيكَهُ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْبَعُ مَتَىٰ وَتُسْتَ وَرَبُّنَّ﴾ [فاطر ١]

وقد جعل الله تعالى للملائكة قدرة على أن تتصور بصورة البشر، قال تعالى في سورة مريم ﴿فَارْتَدَّتْ إِلَيْهَا رُوحَهَا فَتَمَثَّلَ لَهَا تَرَةً سَوِيًّا﴾ [مريم ١٧]، وكثيراً ما كان النبي ﷺ يرى حبريل في صورة رجل من أصحابه اسمه دحية الكلبي^(١)

ففي الصحيح من حديث حبريل المتقدم «بِإِذَا سَمِعَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَابَّ يَوْمَ إِذْ طَمَعَ عَيْنُ رَجُلٍ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَىٰ عِنْدَهُ أَثَرُ الشَّعْرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِمَّا أَحَدٌ حَتَّىٰ حَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسَدَ رُكُوتِهِ إِلَى رُكُوتِهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَحْدَيْهِ إِلَىٰ أَنْ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ أَتَعْرِفُونَ السَّائِلَ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْنَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَنَا كُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(٢). ومن الصفات التي ذكرها الله -تعالى- للملائكة في القرآن أن لها أجنحة فقال -تعالى- ﴿تَلَسَّدُ بِلَهُ فَأَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلٍ أَمَلِيكَهُ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْبَعُ مَتَىٰ وَتُسْتَ وَرَبُّنَّ﴾ [فاطر ١]

وحاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ حَبْرِيْلَ لَهُ سَمَاءَةٌ حَسْبُ»^(٣)

وملائكة له لا يحصى عندهم إلا الله، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ شَيْءٌ وَلَا هُوَ﴾ [المشر ٣١]، وقال ﷺ «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنَظَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ حَبْنَتَهُ سَاحِجًا لِلَّهِ»^(٤)، وقال الله تعالى ﴿تَكَاذَبَتِ السَّمَوَاتُ لِمُعْظَمَرِ

(١) بطر من سباني حديث رقم ٢٩٩١

(٢) مسلم حديث رقم ٨

(٣) شعري مع فتح ساري حديث رقم ٣٢٣٢

(٤) شعري حديث رقم ٣٣١٢، وقال حديث حس عربي، والأطط صوت الأتات (جمع فب لرحل صغر على قدر سنام العير) من الثقل فوقها، وهو كتابه عن كثرة الملائكة في السماء، حتى كأنها أقال السماء بكثرته

مِنْ عَزَائِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ سَاجِدُونَ يُحَمِّدُونَ رَبَّهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿الشورى ٥﴾

وفي الصحيح من حديث المعراج «فَرَفَعَ لِي الْيَتُّ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْيَتُّ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَمُودُوا إِلَيْهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ»^(١)، والبيت المعمور بيت في السماء للعبادة حُرِّمَتْ كَحُرْمَةِ الْكَعْبَةِ فِي الْأَرْضِ

وظيفة الملائكة

أعمال الملائكة ووظائفهم عدا عداة الله كثيرة، فمنهم من هو موكل بسي آدم من تصويره في رحم أمه، إلى حفظه وكتابة أعماله، والاستغفار والدعاء له، ثم قص روحه إذا حصر أحله. وفي الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «... إِذَا مَرَّ بِالتَّنَظُّفَةِ يَتَنَانٍ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أَنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ»^(٢)، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ، قَالَ «يَتِمَاتِقُونَ بِكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْمَصْرِ ثُمَّ يَرْجِعُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(٣)، وقال تعالى ﴿وَلَمَلَائِكَةُ سَاجِدُونَ يُحَمِّدُونَ رَبَّهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى ٥]، وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي صَلَاةٍ مَا لَمْ يُحَدِّثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ لَا يَنْتَهِي أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ»^(٤)، وقال تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ رَمَزًا﴾^(٥) فَاَلْمُرْسَلَاتُ دَكْرٌ، وهي الملائكة تنزل على الرسل وتلقي إليهم بالوحي وتعرف بين

(١) بخاري مع فتح بخاري حديث رقم ٣٢٠٧

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٤٥ وانظر البخاري مع فتح البخاري ١١٤/٧

(٣) مسلم ٤٣٩/١، وانظر صحيح البخاري حديث رقم ٥٥٥

(٤) البخاري مع فتح البخاري ٦٥٩

(٥) المرسلات آية ٥، وانظر مختصر تفسير ابن كثير ٥٨٧/٣

الحق والباطل. وقال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرِيمًا كَثِيرِينَ ۝ يَتْلُونَ مَا تُنْفَعُونَ﴾ [النهار: ١٠-١٢]، وقال تعالى ﴿مَا نَقُطُّ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ مِنْ عِنْدِ﴾ [سورة ق: ١٨]، وقال تعالى . ﴿قُلْ بِتَوْفِيقِ الْمَلِكِ الْقَوِيِّ وَكَفَّ إِلَهُ رَيْبِكُمْ تَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ١١] إلى غير ذلك من الأعمال الأخرى التي تقوم بها الملائكة، كدفع العصاة، والدعاء للمطيعين، ففي الصحيح عن النبي ﷺ «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضَبَانَ عَلَيْهِمَا، لَمَسَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» تسعة شُعَبَةٌ وَأَتُو حُمْرَةً وَأَتُو حُمْرَةً وَأَتُو دَاوُدَ وَأَتُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ^(١)

ومن الملائكة ملائكة موكلون بأعمال أخرى في كون الله الواسع في السماء والأرض كالسحاب والمطر، والرياح والجمال والسمار، والجنة والنار، والعرش والمواضع المحفوظة إلخ

قال تعالى ﴿فَالْتَدِيرْتُمُ الرُّءُسَ﴾ [النارعات: ٥]، وقال تعالى ﴿فَالْفَسِيخَ أَمْرًا﴾ [الدريات: ٤]، وهي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وتسر بأوامر الله وتطيعه، وقد قال تعالى ﴿وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقد قال تعالى . ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ جُلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦] وفي الصحيح أن عدنانة رضي الله تعالى عنها ، قالت للنبي ﷺ «هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كِلَابٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَيَّ مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَقِ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْوَةِ النَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَنَتْنِي فَتَطَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَتَذَاني فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِأَمْرِهِ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَتَذَاني مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ بِمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْحُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَخَدُّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا^(٢) وفي الصحيح أن النبي ﷺ «قَدْ رَأَى جِبْرِيلُ فِي صُورَتِهِ، وَخَلْقُهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأَنْثَى^(٣)»

(١) مسند أبي داود مع فتح ساري ٢٢٢٧

(٢) البخاري مع فتح ساري حديث رقم ٢٢٣١

(٣) البخاري مع فتح ساري حديث رقم ٢٢٣٤

وفي الصحيح من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ . . . تَحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ الْمَدِينَةَ مِنْ الدَّجَالِ^(١). والمقصود مما تقدم أن الملائكة رسل الله تعالى ، ينفذون إرادته في حفظ الكون بتقسيم أموره وتديرها ، وذلك بحفظ النواميس والقوانين التي سنها الله تعالى ليسير عليها نظام الله العجيب في مخلوقاته وفي الأسباب العديدة، قال تعالى ﴿فَالْمُدْرِيْنَ أَمْرًا﴾ [التارقات ٥]، وقال تعالى ﴿فَالْمَقْسِيْنَ أَمْرًا﴾ [الدريات ٤]، وقد أراد الله تعالى إبطال مفعول الأسباب العادية، أدن للملائكة أن تعد خلاف ذلك، فتطش الجليل على أهل الأرض، أو تجعل أعلى الأرض سدودها، أو تمنع في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، إلى غير ذلك من الأعمال الموكولة إلى الملائكة، كصبر المؤمنين مع فنة عددهم وعدتهم، وإلقاء الرعب والخوف في قلوب أعدائهم، مع كثرة حدهم ووفرة سلاحهم، وقصص الأرواح إذا جاء أحلها، فيقاف الله الأسباب التي تمد اليد بالحياة . وبذلك يعلم أنه لا تعارض بين ما يراه الناس بمقتضى العلم الذي كشفه الله لهم، من ربط الظواهر الكونية بأسباب وبنواميس ثابتة، كبرول المطر وتسحير الريح ودور اللافلاك، وبين إسناد ذلك إلى الملائكة كما جاء في الأحاديث وتوكيدها بحفظ ومراقبة تلك النواميس إلى أن يريد الله تعالى خلاف ذلك، فسعد الملائكة إرادة الله تعالى . قال تعالى : ﴿وَمَا تَشْعُرْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَكُنْ آيَاتٍ وَمَا حَفَا وَمَا يَرَى ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ قَبِيحًا﴾ [مريم ٦٤]

ما يجب الإيمان به من الملائكة إجمالاً وتفصيلاً

يجب الإيمان إجمالاً بجميع ملائكة الله ، والتصديق بهم على الصفة المقدمة التي خلقهم الله عليها من عبادة وأعمال موكولة إليهم

ويجب الإيمان تفصيلاً ببعض الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن أو السنة، والتصديق بأنهم يقومون بالأعمال والوظائف التي أسندها الله تعالى إليهم، ومنهم حيريل وميكائيل، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٩٨] وحيريل هو الموكل بالوحى، قال تعالى ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء ١٩٤]، فالروح الأمين جبريل عليه السلام، ومنهم إسرافيل،

(١) البخاري مع فتح الباري حديث رقم ٣٣٣٩

وهو الموكل بنفح الصور بديرًا بين يدي الساعة، ثم ينفح فيه النفحة الثانية التي يحيي الله تعالى عبده الخلائق، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَخْرُجُونَ﴾ [الرمر ٦٨]، ومنهم ما لك حارون لدر، قال تعالى ﴿وَنَادَوْا مُنَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْثُ قَالِ إِنَّكَ مُبْكُوثٌ﴾ [الرعرى ٧٧]، ومنهم ملك الموت الذي يتولى قصص الأنفس إذا جاء أحدها، قال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة ١١]، ولم يرد في القرآن أو السنة الصحيحة اسمهم وورد في بعض الآثار وكتب التفسير أن اسمه عزرائيل، ولا تعارض بين هذه الآية التي تفيد أن الذي يوفى الخلائق ملك الموت، وبين ما جاء في قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الرمر ٤٢]، وقوله ﴿وَهُوَ الْغَافِرُ هَوَّيْ عَسَاوِيٍّ وَرَبِّرِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام ٦١]، فإن ملك الموت سافر قصص الروح، وذلك بأمر الله تعالى، ثم تسلم روح المؤمن إلى ملائكة الرحمة، وروح الفاجر إلى ملائكة العذاب بعد قصصها، كما جاء في الحديث، فإنه سوفى الأنفس، لأنه هو الأمر المقدر، ورسل الله من الملائكة يتوفون الأنفس، لأنها تسلم إليهم عند قصصها، ومن ثم الموت بتوفهاها، لأنه الماشر لقصصها، وبذلك تسلم النصوص من التعارض ويستقيم فهمها.

ويجب التصديق بجميع الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن والسنة، والتصديق بالأعمال التي أوكلها الله تعالى إليهم، مثل الكرام الكاتبين والحفظة، قال تعالى ﴿وَلِإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانطار ١٠، ١١]، وفي الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَةً مِنَ الْجِنِّ، قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ^(١)﴾

تفضيل المطيع من بني آدم على الملائكة

والصحيح أن المطيعين من سى آدم أفضل وأكرم عند الله تعالى من الملائكة، لأن الله تعالى خلق آدم بيديه تكريمًا له كما جاء في الحديث، ولم شت ذلك

(١) مسلم حديث رقم ٢٨١٤

للملائكة ، ولأنه لما خلق آدم الملائكة بالسجود له ، وعلمه الأسماء كلها ، فدل على تفضيله على الملائكة ، ولأن طاعة الملائكة معبوثون عندها ، فهم لا يقدر على المعصية بأصل خلقهم ، فليست لهم إرادة تارعههم إلى المعصية ، بخلاف الإنسان الذي يكاد الشهوات المحركة فيه ، وقد أحر الله تعالى عن حال المؤمنين في الجنة بما يفيد تكريم الملائكة لهم ، فقال تعالى ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ غُفَىٰ

الذَّارِ ﴿الرعد ٢٤﴾

الإيمان بالأنبياء والرسل

وظيفة الرسل

بِحَبِّ الْإِيمَانِ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ، وَالْإِعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُمْ
مُشِيرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَأَنَّهُمْ حَاءُوا بِالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْهُدَى وَمَحَبَّةِ النَّاسِ، وَالْحَرَصِ
عَلَى مَا يَنْفَعُهُمْ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الضَّلَالِ وَالشَّرِّ، وَأَنَّهُمْ
صَادِقُونَ فِي مَا أَحْبَبُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ
لِيَتْلُوا لَكَ الْبَيِّنَاتِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء ١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَتْلُو الْبَيِّنَاتِ
بِمَا رُسُلَتْ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ
رُسُلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَرِضٌ عَلَيْهِمْ مَا عَشْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]

وجوب طاعتهم والإيمان بهم

بحسب على لاس جميعاً طاعتهم ومحبتهم وقول تعاليمهم وهديتهم، فإن طاعتهم من طاعة الله ﷻ، ومحبتهم من محبته، قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ أَمْرًا فَقَدْ طَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَافِظًا﴾ [النساء ٨٠]، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران ٣١]، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء ٦٤]

[illegible]

[القرة ٢٨٥] ومن فرق بينهم، فأمس بعضهم وكفر بعضهم، ولو بواحد منهم فهو كافر، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِسَمْعٍ وَنُكْفِرُ بِسَمْعٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخَذَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء ١٥٠]

الإسلام دين الأنبياء جميعاً

يحب الاعتقاد بأن دين الأنبياء جميعاً هو توحيد الله تعالى، والدعوة إلى عبادته، والاستسلام له، وهو معنى ما جاء في القرآن أنهم جميعاً كانوا مسلمين، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٢٥]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ سَخَّرْنَا بِكُلِّ أُمَمٍ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِنَا فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَخَسِّرُوا لَعْنَتُهُ﴾ [النحل ٣٦]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا مِنْ سَبِيلٍ فَتَنُ وَلَقَدْ اصْطَلَفَتْ فِي دُنْيَانَا فِي الْأَكْبَرَةِ أُولَ الْأَصْنَابِ﴾ [القرة ١٣٠]، فعلى أهل الأديان أن يؤمنوا بالأنبياء جميعاً، وبما جاءوا به حتى يكونوا مسلمين، وعدم الإيمان بواحد من الأنبياء هو كفر بجميعهم، فمن كفر بمحمد ﷺ وكذبه، فقد كفر بجميع الأنبياء، ولا يسمى مسلماً، ولو آمن إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ومن لم يؤمن بعيسى أو موسى عليهما الصلاة والسلام، فهو كافر بجميعهم أيضاً ولو ادعى أنه يؤمن بمحمد ﷺ، ولا يكون مسلماً، قال تعالى عن الذين يفرقون بين رسل الله تعالى، ويقولون يؤمن بعض ونكفر بعض ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًّا﴾ [النساء ١٥١]، وقد أخذ الله الميثاق على النبيين جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصروه، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ حِكْمَةٍ وَجَعَلْنَاهُمْ أَجْلًا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُعْتَدٍ بِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْمُرُنَّهُ﴾ [آل عمران ٨١]، وقال لعمر ﷺ ﴿وَالَّذِي تَقِي بِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ ابْتَغَمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِي مِنَ الْأَمْرِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ وسمي القرآن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ كفاراً، قال تعالى ﴿لَا يَكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالشِّرْكِيِّينَ مُعَافَاةً عَنْ أَنْفُسِهِمْ كَيْفَ﴾ [البقرة ١٧٩]، وقال تعالى ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُ بِهِ فَقَدْ أُفْتَدُوا بِرَبِّهِمْ وَأَنَا فِي شِقَاقِهِمْ﴾ [القرة ١٣٧]

الرسول والنبي

من أهل العلم من لا يرى فرقاً بين الرسول والنبي، فكل منهما مرسل لسمع، ودليته قول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج ٥١] ومهم من يفرق بينهما، فالرسول هو من أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه للناس والنبي هو من أوحى الله تعالى إليه شرع، ولم يأمره بتبليغه للناس، بل ليتعده به في خاصة نفسه، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، بينهما عموم وخصوص مطلق، فالنبي أعم، والرسول أضيق.

قال القاضي عياض وحجتهم من الآية السابقة نفسها، حيث فرق بين الاسمين، ولو كنا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام التليغ، ومعنى الآية عني هذا وما أرسلنا من قبلك من رسول إلى أمة، أو نبي ليس مرسلًا إلى أحد^(١) والسورة نعمة بمن الله بها على من يشاء من عباده، ولا ينبغي أحد باعتقاده أو علمه أو استعداد العقل، والوقوف في معرفتها إنما هو على إعلام الله وروحه ليس بأنه جمع بين، لا بما دون ذلك، كمجرد إحساس الإنسان نفسه أو علمه بالسورة.

وجميع رسل الله كلهم من الرحائل، ولم يرسل الله تعالى شيئاً قط، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل ٤٣]

عدد الرسل وما يجب الإيمان به إجمالاً وتفصيلاً

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ بِمِثْلِ مِمَّا فَصَّلْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ نَمَّ نَقُصُّ عَنْكَ﴾ [عنقر ٧٨]

وصحح ابن حبان حديث أبي ذر رضي الله عنه أن عدد الأنبياء مائة وعشرون ألفاً، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً^(٢)

فيجب الإيمان إجمالاً بجميع أنبياء الله تعالى ورسله الذين أوحى الله تعالى إليهم، بأن يؤمن المسلم بجميعهم، من عرف منهم ومن لم يعرف، ويجب الإيمان

(١) انظر اشعاع ١/ ٢٣٢

(٢) موارد الطمان ص ٥٠٨

عندها^(١)، قال تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ نَحْنُ لَهُ قَابَ قَبْ أَقْبَ وَهَدَى﴾ [طه ١٢١، ١٢٢]، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْسَدُوا﴾ [الأنعام ٩٠]، وقال تعالى ﴿وَأَذَكَّرُ فِي الْكِتَابِ بَرَّهَيْمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ [مريم ٤١]، وقال تعالى ﴿وَلَيْكَ لَعْنُ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٤]، وقالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله ﷺ «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»^(٢)، وقال أنس «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»^(٣)

ويحوز في حق الرسل كل الأعراض الشريفة التي لا نحل بالمروءة، كالقوم والسيد، واليكاح والجوع والعطش، ويتعرضون للأذى والاسلاء من قومهم في سبيل دعوتهم إلى الله تعالى، وفي المعارك والحروب التي يحوصونها مع أعدائهم، قال تعالى ﴿إِنْ يَعْصِكُمْ فَرِحَ فَقَدْ مَرَّ الْقَوْمَ فَفَرِحَ مِثْلُهُمْ وَتَكَرَّرَ الْآيَاتُ يُدَوِّلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [ال عمران ١٤٠]، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ حَسْبِيَ إِذْ أَفْجَعَكُمْ كَذَّبَكُمْ فَلَمْ تُنْقِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذِرِينَ﴾ [٥] ثُمَّ أَرْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَتَكُمْ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ [التوبة ٢٥، ٢٦]، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبُغُوبٌ لَطْعَامٍ وَبَشْتُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان ٢٠]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَرْوَاحًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد ٣٨]، وتصيبهم الأمراض ويموتون، وقد يقتلون بغير حق، قال تعالى عن بني إسرائيل ﴿وَقَتَلَهُمُ الْآسِيكَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الباء ١٥٥]، وقال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَمِثْلُ نَبِيِّمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر ٣٠]

فضل نبينا محمد ﷺ

فضل الله تعالى بعض الرسل على بعض، قال تعالى ﴿لَكَ الرُّسُلُ فَصَلَتْ مِنْهُمْ عَنْ بَعْضِ بَنِيهِمْ مِنْ كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعَ نَسَبَهُمْ دَرَجَتَيْنِ﴾ [القرة ٢٥٣]، وأقصدهم جميعاً

(١) هذا ما عده مذهب الفقهاء والمكسبين والمحدثين من السلف والخلف، قال لقاضي عياض وذهب جماعة من أهل التحقيق من الفقهاء من أنك إلى عصمتهم من الصائغ كلها، قال وهذا المذهب هو الحق، نظر

شرح مسلم ٥٤/٣

(٢) مسند أحمد حديث رقم ٢٢٠٨٠

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٢٦٠٣

سيدا محمد ﷺ، جاء في الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ»^(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى كِنَانَتَهُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاضْطَفَى قُرْنَتَنَا مِنْ كِنَانَتِهِ، وَاضْطَفَى مِنْ قُرْنَتَيْهِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٢)

وإحداه ﷺ عن نفسه بالسيادة من تمام التحدث بسعة الله تعالى عليه، وتعم نصحه للأمة، ليعرف الناس حقه ويرلوه مكرته، خصوصاً أنه لا شيء بعده بحرب فضله كما أحبر هو بفضل الأنبياء قبله

عموم رسالته ﷺ وأنه خاتم النبيين

يحب الإيمان بأن سيداً محمدًا ﷺ آخر الأنبياء وأنه لا نبي بعده، ومن ادعى السوة بعده فقد كفر وكذب الوحي قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاشَ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَحِي لَّهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب ٤٠]، وفي الصحيح قال ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَحُلٍ بَنَى بَيْنَهُمَا قَاخَصَةً وَأَجْمَلَةً، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَةٍ مِنْ رَّأْيَةِ فَبَحَلُ النَّاسُ يَطْوُونَهَا بِهَ وَيَنْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَتَ، قَالَ فَأَنَا اللَّبَتُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(٣)

وفي الصحيح قال ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي، الَّذِي يُنْحَى بِهِ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْعَاشِرُ الَّذِي يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقْبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»

كما يحب لإيمان بأن سيداً محمدًا ﷺ معوث إلى الناس كافة، عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم وأصفرهم، وذلك من الأمور المعلومة في دين الإسلام -لضرورة- لا يسع المسلم إنكارها، لشهرتها بين الناس، واتفاقهم عليها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتْلِيهَا الشُّرُكُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف ١٥٨]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَكَاةً لِّبَنِي فَسِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبا ٢٨]، وقال تعالى: ﴿سَرَّكَ الَّذِي مَرَّ الْفَرَقُ عَلَى عَنِيهِ لَنَكُونَ بِمَعِينِكَ نَازِرًا﴾ [الفرقان ١] وفي الصحيح قال ﷺ: «أُعْطِيتُ حُسْنًا لَمْ

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٧٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٢٧٦

(٣) سحري حديث رقم ٣٥٣٥

يُظْهِرُ أَحَدَ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَيِّرَةً شَهْرٌ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا
فَأَيُّمَا رَحُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ قَلِيلٌ وَأَجَلْتُ لِي الْفَنَائِمُ وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
وَأَعْطَيْتِ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً^(١)

وفي الصحيح، قال ﷺ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنْسَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ»^(٢)، وفي إرسال رسول الله ﷺ رسله وكنته إلى أنحاء الأرض، إلى كسرى
وقبصر والحاشي والمقوقس، وسائر ملوك الأرض بأمرهم باعتراف الإسلام والإيمان
به، دليل على عموم رسالته ﷺ

ويجب الإيمان بأنه معوث أيضًا إلى الحبس، قال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ
الْجِبْرِ يُتْلِمُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِبْ عَلَيْنَا لَبَنًا فَنُشْرِبَ مِنْهُ فَأَنصَبْ لَهُمْ شُرْبَهُمْ فَدَخِلُوا فِيهِ فَظَلَمُوا عَلَيْهِمْ﴾^(٣) ذُلُوا
بِقَوْمًا يَنْ سَبْعًا كَتَبْنَا أَرْثًا مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى الْحَقِّ وَلَكَ طَرِيقٌ
مُسْتَقِيمٌ ﴿يَنْفَعُوا لِيِئَابَا دَاوُدَ إِلهِهِ وَفَايَسُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَتُحَذِّرُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٤)
[الأحزاب ٢٩-٣١]، وقال تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنشَعَ نَهْرٌ مِنَ الْمَاءِ فَقَالُوا يَنْ سَبْعًا
فَرَأَيْتُمْ عَجَابًا﴾^(٥) يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَتَأْمَنَّا بِهِ وَلَنْ تُفْرِكَ رَبِّنَا شَيْئًا [الحج ١١]

وجوب محبته وتقديمها على النفس والأهل

من شروط صحة الإيمان أن يكون رسول الله ﷺ أحب إلى المرء من نفسه ووالده
وولده، وروحه وماله وتجارته والناس أجمعين قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ وَأَخْوَالُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ
تَرْضَوْنََهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ إِلَهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَفَعُوا خِلَافَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٦) وفي
الصحيح أن عمر بن الخطاب رضيه الله عنه قال لرسول الله ﷺ «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبُّ

(١) صحاري حديث رقم ٢٣٥

(٢) مسلم حديث رقم ١٥٣

(٣) صحاري حديث رقم ١٥

إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ. فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْآنَ يَا عُمَرُ^(١).

وقد طلق الصحابة هذه المحبة قولاً وعملاً، فكان أحدهم لا يحاطب رسول الله ﷺ إلا وفاء نفسه وأبيه وأمه ولم يعظم أحداً أصحابه كما عظم أصحاب محمد ﷺ محمداً بعث قريش عروة بن مسعود ليفاوض رسول الله ﷺ في صبح الحديبية فكان مما جاء في قوله لقريش بعد رجوعه إليهم «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والعجاشي والله، إن رأيت منك قطُّ يعظمت أضعافه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ، والله، إن تتخمن ضحمة، إلا وقعت في كف رجلٍ منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كدوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم حمصوا أضوانهم عدده، وما تحدثون إليه النظر تعظيماً له»^(٢)

وذكر عمرو بن العاص وهو على فراش الموت حاله في الدنيا وبكى، وكان مما قاله لانه يومئذٍ «وما كان أحداً أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أحلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إ خلا لاً له، ولو سئلت أن أضيقه ما أطقت، لأنبي لم أكن أملأ عيني منه»^(٣) وكان الصحابة إذا حمى الوطيس، واشتد القتال بعدوا رسول الله ﷺ بهجهم وأرواحهم، ويجعلون أجسادهم دروعاً دونه، كان أبو طيبة بين يدي النبي ﷺ يوم أحد مجوفاً عليه بحجفة له، فإذا تطمع رسول الله ﷺ ليظهر إلى القوم قال له «أبي أسب وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون حرك»^(٤)

قال زيد بن ثابت «بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي إن رأيته فأقرنه مني السلام، وقل له يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟ قال فحعب أطوف بين القتلى، فأصتته، وهو في آخر رمق فقلت له - يا سعد، إن

(١) البخاري حديث رقم ٦٦٣٢

(٢) البخاري حديث رقم ٢٧٣٤

(٣) مسلم حديث رقم ١٢١

(٤) بخاري حديث رقم ٢٨١١ والنسخة المرس

رسول الله ﷺ بقرئك السلام، ويقول لك أحرمي كيف تجدك؟ قل عني رسول الله ﷺ السلام، قل له. يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خُلف إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف، وفصت نفسه^(١)

المقياس الذي تعرف به محبة رسول الله ﷺ

والمقياس الذي تعرف به محبة الإنسان لرسول الله ﷺ هو انداع سته وشرعته، وتقديمها على النفس ورغباتها، فإذا تعارضت رغبات النفس مع أمر من أمور الشريعة وهدى رسول الله ﷺ، وأعرض الإنسان عن هدي صاحب الشريعة، وتبع رغبات نفسه، فسدت علامة على أنه لم يكتمل إيمانه، ولم يقدم محبة رسول الله ﷺ على نفسه

(١) دلائل النبوة ٣/٢٤٨، والحديث من مراسيل مالك في الموطأ، انظر التمهيد ٩٤/٢٤

الإيمان بالكتب

يجب الإيمان إجمالاً بأن الله تعالى أمر على أنبيائه كتباً تدعو إلى الوحيد، وتهدي إلى الحق والعدل والحير، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالرَّسُولِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى ﴿آمِنُوا بِالرَّسُولِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]، وقال تعالى ﴿كَانَ الْإِنْسَانُ أَثَمًا وَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [النقرة: ٢١٣]

الكتب التي يجب الإيمان بها تفصيلاً

١. القرآن الكريم الذي أمره الله تعالى على نبيينا محمد ﷺ، قال تعالى ﴿سَأَرْكَبُ نُجُومًا وَلَأَيُّ رَجُلٍ يَلْفَافًا أَوْفَىٰ عَلَيْهِ يَكُونُ لَلْعَالَمِينَ ذُرِّيًّا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى ﴿حَقَّقْ لِي الْوَعْدَ الَّذِي نَذَرْتَ﴾ [الصمت: ١، ٢]
٢. البقرة التي أمرها الله تعالى على سيدنا موسى ﷺ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمَعُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلَا تُخَذِّلُوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ سُلُوكًا مَعِينًا﴾ [البقرة: ٤٤]
٣. الإنجيل الذي أمره الله تعالى على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى ﴿وَقَفَّ يَصْطَلِي أَوْ مَرَّتْ وَأَنَّهُ الْإِنجِيلُ﴾ [التعليق: ٢٧]
٤. الزبور الذي أمره الله تعالى على سيدنا داود عليه الصلاة والسلام، قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا بِدَاوُدَ رُؤُوفًا﴾ [النساء: ١٦٣]

٥ صحف سيدنا إبراهيم وصحف سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام ، قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِكَ فِي شُحُبٍ مُّوَسًّى ۖ فَوَيَسِّرَ أَلَدَىٰ وَفًّى﴾ [النجم ٣٦ ، ٣٧] ، وقد تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَمِنَ الشُّحُبِ الْأَوَّلَىٰ﴾ [شع ١٣١] صحف إبراهيم وموسى ﴿الاعلى ١٩ ، ٢٠﴾

القرآن الكريم مهيمن على ما قبله من الكتب

ويجب الإيمان بأن القرآن الكريم هو آخر هذه الكتب وأنه مصدق لكتب التي جاءت قبله ومهيم عليها ، سبخت شريعته وأحكامه ما جاء قبله في تلك الكتب من الأحكام ، فلا يعمل بما خالفه ، ولو صحت سبته إلى تلك الكتب ، قال تعالى ﴿وَأُتِرَ لَكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة ٤٨] وأن القرآن هو الكتاب الذي حصه الله تعالى وميزه عن سائر الكتب الأخرى بحفظه من السبيل والتحريف ، قال تعالى ﴿وَرَبُّهُ لِكُنُوزٍ عَزِيزٌ﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْغُيُوبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ نَبِيٌّ مِنْ ذِكْرِ جَمِيدٍ﴾ [فصلت ٤١ ، ٤٢] ، وذلك لأنه سبحانه تولى حفظه نفسه ، على حين أوكل حفظ الكتب الأخرى إلى أصحابها ، فقال تعالى عن القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ رَزَقْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ﴾ [الحجر ٩] ، وقال تعالى عن السورة ﴿بِمَا تَسْتَخْفِطُونَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾ [المائدة ٤٤] ، وليس حفظ الله تعالى كحفظ البشر ، لذا سلم القرآن ، ووقع التحريف والسيان فيما وصل إليها من كتب اليهود والنصارى وقد أحبر الله عن تحريمهم لكتبهم ونزويرها ، فقال تعالى ﴿يَتَأْخَذُ الْكِتَابَ لَدَىٰ حَاكِمِهِمْ وَمُؤَلَّفَاتٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ كُتُبًا مِمَّا كُتِبَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النساء ٤٦] ، وقال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْنُتُونَ لِكِتَابِ اللَّهِ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النساء ٥٩] ، ولذلك اشتملت كتب اليهود والنصارى الموحودة الآن بين أيديهم على الشرك وسنة الولد إلى الله تعالى ، ووصف الأبياء بما لا يليق بهم من الخيانة والعدو ، وغير ذلك من الأمور العاسدة ، التي عصم الله تعالى منها أنبياءه ، وسوهاهم إليهم روزًا وبهتانًا

الإيمان بالقضاء والقدر

معنى القضاء والقدر

القضاء من قولك قضيت الشيء إذا حكمت به والقدر من قولك قدر الشيء أقدره بالكسر والفتح قدرًا وقدرًا، إذا أحطت بمقداره والمرفق بين القضاء والقدر، أن القضاء: هو الحكم الكلي الإجمالي الذي حكم الله تعالى به في الأول على جميع خلقه، والقدر جريئات ذلك الحكم وتفصيله ومعنى القضاء والقدر على وجه الاحتمال أن الله تعالى علم مقدير الأشياء وأوقاتها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سنن في علمه أنه يوجد، فما من شيء من أمور الدنيا والآخرة إلا هو صادر عن علمه وقدرته وإرادته^(١)

وقضاء الله ينوع إلى نوعين قضاء كوني، وقضاء شرعي، والقضاء الكوني القدري يتعلق بما قدره الله تعالى، سواء كان مما يرصاه ويحبه أو مما لا يرصاه، كما في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتَقْبِضَنَّ فِي الْأَرْضِ مِزْنَةٌ وَلِتَعْلَمُنَّ أَنَّكَ عَلَىٰ عَرْشِ عَالَمٍ﴾ [الإسراء ٤]، فالله ﷻ لا يرصى الفساد ولا يحبه أما القضاء الشرعي فلا يتعلق إلا بما يحبه الله تعالى ويرضاه، كما في قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء ٢٣]

الدليل على وجوب الإيمان بالقدر

يجب على المسلم الإيمان بأن كل شيء يحدث في هذا الكون هو بتصرف الله وقضائه، وأنه مقدر ومراد منه ﷻ، فما من حركة ولا سكون في السموات والأرض

(١) انظر فتح الباري ١٤/٢٧٧، ١٢٦/١

إلا بمشيئة الله وقدرته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُونًا﴾ [القمر - ٤٩]، وقال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُونًا﴾ [الأحزاب - ٢٨]، وقال تعالى ﴿وَمَا تَسْغُطُ مِنْ رَحْمَةٍ إِلَّا يَغْلِبُهَا وَلَا حِجَابَ فِي مُلْكَيْنِ الْأَرْضِ وَلَا رُكُوبٍ وَلَا يَكِينٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ تُبَيِّنُ﴾ [الأنعام - ٥٩]، وقال تعالى ﴿وَلَوْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِسَمَاءٍ حَارِيَّةٍ وَمَا نَمُرُّهُ إِلَّا بِعَذْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر - ٢١]، وفي الصحيح حدث حريز في حقيقة الإيمان . . . وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . . .^(١)

معنى الإيمان بالقدر

ومعنى الإيمان بالقدر - التسليم بأن كل ما يحدث للإنسان في داته، وما يحدث في كون الله الواسع هو من الله تعالى ، وأراده أن يكون كذلك، فلا يسع المسم إراءه إلا الرعب والقبول، فلا يسخط ولا يصجر، بل يصبر على ما يراه مكروه، ويعوض أمره إليه، كما كان رسول الله ﷺ يفعل إذا وقع المكروه، ويقول «قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(٢)، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن قهر نفسه بالتعويض والسديم أول حصول المكروه، كان حذيرًا بأن يعوضه الله تعالى عن ذلك المكروه خيرًا تفر به نفسه، ويشرح له صدره

ثمرة الإيمان بالقدر

والإيمان بالقدر على النحو السابق يكسب الإنسان ثقة في نفسه، وعزيمة ماضية في الأمور، ويحميه من الخوف والتردد، ويجعل طريقه في الحياة واضحًا، لا يتنس ولا يعوج، وذلك تنعكس آثاره دون شك على حياته انعكاسًا حسنًا بالقدره على الاستعانة من وقته وإمكاناته على أحسن الوجوه، فالإيمان بالقدر يقضي على أحزان النفس وهمومها، وعلى خوفها وحسها، ويجعلها تقبل على المستقبل ومعيب الأمور حرية متعاضدة، وذلك من أعظم مقومات النجاح والإحساس بالطمأنينة والسعادة فالمسم إذ أبقى أن الفاعل الحقيقي والمدر للأمر كلها هو الله تعالى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، وأنه لن يصيبه من رزق وعلم وولد ونجاح وحظ وإخفاق إلح إلا ما كتب الله تعالى له، كان ذلك رصيده من الثقة، التي تأخذ بيده إلى كل

(١) مسلم حديث رقم ٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٦٤

فلاح، قال تعالى ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ سَاءَ﴾ [التوبة ٥١]، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢]، وقال تعالى ﴿لَا يَفْزِدُوكَ عَلَى شَيْءٍ وَنَا كَسَبُوا﴾ [الفرء ٢٦٤]

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لاس عباس يَا عَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، اخْطُفَ اللَّهُ بِخَفْظِكَ، اخْطُفَ اللَّهُ تَحِذُهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اخْتَصَمْتَ عَلَى أَنْ يَنْقُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْقُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اخْتَصَمُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُبِمَتِ الْأَقْلَامُ، وَخَفَّتِ الصُّحُفُ^(١)

يسعى لمسسم حين يطلب أمراً من أعمال الدنيا أو الآخرة أن يكون مسحوراً، أن الأمور كلها بيد الله، فهو الذي يقضى الحاجات، ويوفى لطاعات، ويسخ الرحمت ويسخ الرعد، لا أحد غيره يعطى شيئاً أو يمسعه، قال تعالى ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [فاطر ٢]، فوسائل السعي والمجد والأحد بالأسباب كلها وسائط عادية، إذا أراد الله تعالى أن تؤدي إلى المطلوب أدت، وإذا لم يرد، حال بينها وبين ذلك بأسباب أخرى هي مقصي بها في عدم الله تعالى، ومقدر وقوعها في الوقت الذي تحول فيه بين الإنسان وطلبه، وإذا عدم الله تعالى صدق توكل العبد عليه وتفويض كل أمره إليه، أعانه على أمره ووفقه في سعيه من حيث لم يحسب ولم يتوقع

وهذا أمر آخر هو مدعاء لتوفيق الله للعبد وقضاء مطلوبه، عيه أن يحرص عيه ذلك هو تقييد الإنسان في سعيه الديني أو الدنيوي بأحكام الشريعة التي ارتضاها الله لعباده ديناً، فلا يسعى في طلب مهوى عنه، ولو كان ظاهر الأمر أن المصلحة فيه، أو أن تركه حرمان، فيه إن ألزم نفسه بحدود الله وقهرها على الرضا بما أحبه الله، وترك ما حرمه عيه ابتغاء مرضاته، عوضه الله من حيث لا يحتسب أحمل تعويض، عاجلاً أو آجلاً، فإن القدر عيب، والإنسان لا يعلم منه إلا أسنان ظهرة، وتصرف ما عاب منه بصرفه الله تعالى كيف يشاء، والله تعالى لا يتحلى عن المطيعين

(١) من الترمذي حديث رقم ٢٥١٦، وقال حسن صحيح

الذين يأتمرون بأوامره، ويقفون عند حدود شرعه، بل يهديهم إلى ما يسعهم، ويسوقهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْذُلُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) يَتَّبِعُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَمَّ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَبِيضُونَ ﴿الرُّوم ٦٦﴾، وفي الصحيح قال ﷺ «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (٢)

الرضا بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب

من عبد الله تعالى وحكمته في هذا الكون أن وضع له قوانين شتى، يراها الناس بأنصارهم، ويقفون عليها بعقولهم، من هذه القوانين قانون الأسباب، فجعل سبحانه التقاء ماء الذكر مع الأنثى سببًا في الخلق، وجعل الزرع سببًا في الإنبات، ووضع اليد في النار سببًا للاحتراق، والتردي من الطائر العلوي سببًا للهلاك، وجعل السعي والعجد ثمرته النجاح، والعمل الصالح يؤدي إلى مرضاة الله، والتداوي والرفق يؤدي إلى الشفاء، إلى غير ذلك وهذه الأسباب هي من قدر الله أيضًا فهي الحدث سنن النبي ﷺ «أَرَأَيْتَ رُقِيَ نَسْرَقِيهَا وَدَوَّاهُ تَنَلَّوْا بِهِ وَتَقَاءُ نَجَّيْهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالَ هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ» (٣)، والمسلمات مرتبطة بأسبابها، ارتباطًا عديمًا، ليس ارتباطًا عقليًا، لا يتخلف السبب، بمعنى أن الله تعالى قدر لها هذا الارتباط المسطقي، الذي لا يتخلف في العادة، إلا إذا أراد الله تعالى تحننه لحكمة، بكرم الله تعالى بها بعض عابه، أو يقهرهم بها ويعذبهم، أو يؤيدهم ويصرهم، كما في معجرات الأنبياء التي أيد الله تعالى بها أنبياءه، وقهر بها أعداءه، وكما في الكرامات التي بظهرها الله تعالى على أيدي الصالحين من عابه

وبذلك يُعلم أن الأسباب لا تؤدي إلى مساتها إلا بقضاء الله تعالى وقدره، وليست بأنفسها، قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٤) «أَنْتُمْ تَحْمِلُونَهُ» أَمْ تَحْمِلُوهُ ﴿الْوَاقِعَةُ ٥٨، ٥٩﴾، وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٥) «أَنْتُمْ تَرْعَوْنَهُ» أَمْ حَرُّ تَرْعَوْنَهُ ﴿٦﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا تَحْمِلُونَهُ ﴿٧﴾ إِنْ أَرَادْتُمْ لَعْنَهُمْ ﴿٨﴾ وَلَوْ تَحْسَبُونَ

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٩٩

(٢) مسر سريحي حديث رقم ٢٠٦٥

مُؤْمِنُونَ ﴿[الواقعة ٦٣-٦٦]، وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٦﴾ أَمْ لَهُمْ ثَلَاثُ مُنْتَصَفٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الواقعة ٦٨، ٦٩]، وقال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ صَرِبْ بِمَصَالِكَ الْحَرِّ فَامْلِكْ فَكَانَ كُلُّ مَرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾﴾ وَأَرْسَلْنَا نَحْمِلُهَا لَهُمْ وَنَحْمِلُهَا لَهُمْ وَمِنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿[الشعراء ٦٣-٦٦]

وقد أمر الله تعالى الناس أن يأخذوا بقانون الأسباب بمعومه السبب وأن يلتزموا به، ورتبت الشريعة على ذلك الثواب والعقاب ونتائج الأعمال، وبيّنت أن ذلك لا ينافي التوكل على الله تعالى، ففي الصحيح قال ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرٌ مِنْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِمْ بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١)

وقد أوحى الله تعالى السعي، سواء فيما يتعلق بأمور الدنيا أو أمور الآخرة قال تعالى ﴿فَانشُرُوا فِي صَاحِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٠﴾﴾ [الملك ١٠]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا فَانصُرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَنصُرُوا فِي صَلَاتِ اللَّهِ﴾ [الحجرات ١٠]، وقال تعالى ﴿وَعَلِ اعْمَلُوا صَبْرًا إِنَّ اللَّهَ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة ١٠٠]، وقال تعالى ﴿فَمَنْ يَسْمَلْ يُشْكَالْ دَرَوْ حَرًا بِرَوْ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَسْمَلْ يُشْكَالْ دَرَوْ شَرًا بِرَوْ﴾ [الرولة ٧، ٨]، وقال تعالى ﴿مَنْ يَسْمَلْ سَوْمًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء ١٢٣]، وكان رسول الله ﷺ، وهو خير من توكل على الله بحرح للجهاد، ويمشي في الأسواق للاكتساب

وفي الصحيح قال ﷺ: «... مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَنْكِحُ عَلَيَّ كِتَابَنَا وَتَدْعُ الْعَمَلَ قَالَ اْعْمَلُوا فَعَلَّ مُيَسَّرَ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاةِ فَيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاةِ ثُمَّ قَرَأَ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنِ»^(٢)

واحترام قانون الأسباب والاعتداد به واضح في كل تكاليف الشريعة الإسلامية

(١) مسلم حديث رقم ٢٦٦٤

(٢) البخاري حديث رقم ٤٩٤٩

من ذلك أن الله تعالى حرم الأسباب التي تؤدي إلى الفساد، فحرم المعى والفسة وسعت الدماء وكل ما يؤدي إلى المهرج، وحرم الحمر والمحدر وكل ما يؤدي إلى فساد العقل، وأمر بالطاعات والبر والمعروف والإحسان وإصلاح ذات البين، لأنها مسببة لمرضاة الله تعالى .

الإيمان بالقضاء لا يناقى الدعاء برفع البلاء

الدعاء برفع البلاء وسوء القضاء، لا يعارضه أن ما وقع به القصد لا يرد، وأنه لا بد من مصادره، لاحتمال أن يكون الله تعالى قضى بالبلاء والمصائب على العبد، وسبق في علمه أنه إذا دعا الله كشفها عنه، كما قال تعالى ﴿أَمْ يُحِبُّ الْمُسْتَظَرُّ إِذْ دُعِيَ وَيَكُفِّفُ لَكُفَّهٖ﴾ [الزلزال ٦٢]، وفي الصحيح «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ ذُرِّكَ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»^(١)

الاحتجاج بالقدر

لا يجوز للإنسان أن يحتج على كفره أو معصيته أو عمله الفاسد بالقدر، ويقول ما دام كل شيء في الوجود لا يكون إلا بإرادة الله وقدره فما ذنبي، والله هو الذي حقيقي وخلق عملي، واحتار لي ما أنه فاعله، هذه الدعوى أخسر الله تعالى أن الكافر يوم القيامة بقولها ليحتج بها على الله تعالى، وأجاب الله تعالى عنها وله الحق المصلحة بأنها حجة باطلة، لا تعنى عن صاحبها شيئاً، ولتمسك بها بعد التصريح في القرآن برد الله تعالى إياها وإبطالها ضلالاً ومعصية، قال تعالى ﴿سَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَبَتْ الْأَيْدِي مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَاوُوا بَأْسَهُ قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَنْ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكِ وَإِنَّ أَسْأَفَ الْأَفْعَامِ الْخَافُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ لِلَّهِ الْخِطَابُ الْبَاطِنُ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام ١٤٨، ١٤٩]، وقال تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف ٢٠]، والله ﷻ جعل المقدر للعبد من الشقاوة أو الهداية عينا لم يطلع عليه، وهو ما أشد إليه القرآن بقوله ﴿مَا لَكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف ٢٠] وركب فيه الاستعداد للطاعة والهداية، والاستعداد للمعصية والضلال، وأعطاه الحواس من السمع

(١) مسلم حديث رقم ٢٧٠٧

والبصر والعقل، وأمر له الكتب، وأمر له الرسل، كل هذه وسائل تدعوه إلى الطاعة والهدية والخير، ورتب فيه شهوات حيوانية، وأطماناً نفسية، تترشح إلى العوابة وتسكب طريق الحق. كما أشار إلى ذلك القرآن ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاكُمْ السَّبِيلَ﴾ [الأنعام: ٨، ٩]، ولم يخبره عن الله أحد بأنه قدر عليه الصلابة، أو احتار له الهداية، بل ترك اختيار أحد الطريقين إلى رغبة الإنسان نفسه وإرادته الحرة التي خلقها الله تعالى فيه، وروده بها، كما خلق فيه قدرة الكلام فكلم، وقدرة البصر فبصر، فكما أنه مسئول عن كلامه، وكلامه مسلوب إليه مع أنه لولا قدرة الله تعالى ما قدر عليه، هو مسئول عن إرادته واحتبائه وتصرفه، وهذا الاحتيال وهذه الإرادة الحرة التي منحها الله تعالى للإنسان، فكان بناء عليها يأتي ما يأتي ويترك ما يترك هي التي تحمله مسئولية كل تصرفاته والاحتيال الممنوح للإنسان لا يستطيع عاقل أن يماري فيه، فهو ثابت شرعاً وعقلاً، أما شرعاً فإن الله تعالى أثبت في القرآن للعبد مشيئة، ولم يجعله مملوكاً للإرادة، قال تعالى

﴿وَلَوْ أَرَدُوا الْحَرُوحَ لَأَعَدُّوا لَهُمْ عَذَابًا﴾ [الحاقة: ١٦] وقال تعالى: ﴿لَنْ شَاءَ بِكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، وقال تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]

وأما عقلاً، فلأن كل إنسان يدرك من نفسه بالضرورة الفرق بين من دخل الدار بغير إرادته، ومن أدخل السجن عقوبة له، وبين من لطم أحداً على وجهه فاصدأ أده، وبين من سقط من الطابق العلوي فوقع على ظهر أحد فكسره. وكل إنسان يعرف بين حركة يد مشلولة، ترتعش دون إرادة، وحركة يد تناول الحمر لشربه، أو تأخذ المسدس لتقتل به، ومن لا يفرق بين ذلك لا يكون مع العقلاء

ولا يمكن أن يكون الحكم على يد المرتعش ويد المقاتل سواء، لا في شرع الله، ولا عند ذي عقل سوي. وما دام الإنسان مشيئة فهو مسئول عن مشيئته، لأنه هو الذي عصى الأمر وأكل الحرام وسفك الدماء وقطع الأرحام، وأفسد في الأرض، وهو مثاب عن عمله، لأنه هو الذي صلى وركب وصام وحج وأمر بالمعروف، وأطاع ربه، قال تعالى ﴿لَهُمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [الفرقة: ٢٨٦]، وقال تعالى

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ تَحْتِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْكَلَ وَيُغَيَّبُوا فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقة: ٢٧]

من طلب الهداية هداه الله

المتبع لأبواب القرآن الكريم يجدها تؤكد على حقيقة ثالثة لا تحجب، وهي أن الله ﷻ لا يحدث من بذل جهده، وأعطى ما في وسعه، وسعى إلى الخير ما استطاع، وأن من احتار لطريق الأخرى حذله وأصله وطع على قلبه فمن طلب الهداة هده الله، ومن أعطى وتصدق بسره لليسرى، ومن جاهد في الله أثار له سيئه، ومن تكسر وتحجر طبع الله على قلبه، ومن ظلم أصله الله، ومن راع أراع الله قلبه فوفى الله له بعد وهديته إلى الخير يكون لمن حرص على ذلك، وأخذ بأسباب الهداة وعزم على الطاعة، وحذلان العد وإصلا له وسوقه إلى الخيبة وسوء المصير يكون لمن فرط وكص على عقيه، وصل طريقه، قال تعالى ﴿وَمَا مَرَّ أَعْطَى وَتَقَى ۝١٥١﴾ وَصَدَّقَ بِأَخْسَرُ ۝١٥٢ فَسَرُّهُ لِيُسْرَى ۝١٥٣ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝١٥٤ وَكَذَّبَ بِإِغْنَى ۝١٥٥ فَسَيَرُودُ لِلسُّرَى ۝١٥٦ [الليل ١٠٠]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أَهْدَى رَأْسَهُ هَدَىٰ وَءَانْتَهَمُ نَفْسَهُمْ﴾ [محمد ١٧]، ﴿وَمَنْ أَهْدَىٰ فَسَيَرُودُ اللَّهُ عَذْرُوكَ رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة ١٠٠]، ﴿وَيُصِلُ اللَّهُ لَطِيفِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم ٢٧]، ﴿وَمَا يُصِلُ بِهِمْ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [القرة ٢٦]، ﴿كَلَّتْ رَاغُوا رَاعَ

= فوجه أن يكون به مصدقاً لما ظلم وهذا ما نحن ونحوه كان من فعل المصدق أن يصدق بك أنه في لغة ١٥ د
 وهو لا يصدق به كلاً لا حلقاً وقد تيسر صعب هذا شتريز

[illegible]

٣ - قوله ما يحرم من بيع ما يحرم التحريم فهو يؤول إلى ما ثبت أنه ردة فهو كالرشيعة لمصلحة في
 هو ، ولا يوجد تأثير لأساس عليه في مآلها واستدلوا على ذلك بقوله في * «وَمَنْ أَحَدَكُمْ يَمْلِكُ
 بِمِثْلِ أَخِي الْجَنَّةَ حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا وَيتة إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيُسِّقْ عَلَيْهِ الْكَتَاةَ، فَيَمْلِكُ بِمِثْلِ أَخِي لَدَى قَيْدِ خَلِّ لَأَرِ
 وَرَأَى أَحَدَكُمْ يَمْلِكُ بِمِثْلِ أَخِي لَأَرِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا وَيتة إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيُسِّقْ عَلَيْهِ الْكَتَاةَ، فَيَمْلِكُ بِمِثْلِ أَخِي
 الْجَنَّةَ يَكُونُ لَهَا» صحيح البخاري رقم ٧٤٥٤ وأصح عن هذا ما أن النبي ﷺ عبد ذكر ذلك أولا سكر على
 كذا ومعناه في ﷺ لا يعملوا هكذا مرة لما خلد له صحيح البخاري رقم ٤٩٤٩

٢. إليه ﷻ لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالمعشَاء، ولا يبح الفساد، وكل أحكامه وأوامره حكمة وحير، فلا ينسب إليه فعل الشر، لأنه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، الخير بيديه والشر ليس إليه، فلا يقال الله حائق الشر، لأن ما قدره من الشر ليس شرًا محضًا، بل فيه حكمة ومصلحة، وهو حير وإحسان مراعاة لهذه الحكمة، فما يصيب الإنسان من ألم ومرص وفقر وحوف كل ذلك فيه رحمة ومصحة عرف بعضها، كالإنتلاء والتمحيص، وتكفير الذنوب، ورفع الدرجات، وحفي عليها بعضها

فالله تعالى لم يخلو الشر لأنه شر، بل خلقه للحكمة المترتبة عليه فهو بل المطر مثلاً في ليلة شتاء باردة، فأصاب من كان يبيت في العراء وليس له مأوى، فروب المطر بالنسبة إليه سوء وأذى، لكن الله تعالى أمره لم يدفع تبع الملاء والعداء، وهو يعلم أن أذاه يصيب فلاناً من الناس، وله في إصابته به حكمة، إما عقوبة له بعصيته، وإما إنتلاء وتمحيصاً، لرفع مرتبته، وإما غير ذلك

ولذلك قال تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ولما سألت الملائكة الناري ﷻ ﴿قَالُوا أَتَمَلْنَا فِيهَا نَارٌ يُقِيدُ فِيهَا وَتَسْفِكُ الْإِيمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٠]

قد يقال إن من القضاء ما هو في نظر الناس شر محض، كالقضاء على الكافر بالكفر، فلا تظهر في ذلك وجه مصلحة له مع أن الله قدره، فالجواب - كون ذلك شرًا هـ، صحيح، ولكنه شر في حق المخلوقين، وأما في حق الحائق فإنه يفعل ما شاء، والشر لا يعرف كونه شرًا إلا لله تعالى، والنازي ﷻ هو ذلك كله، فليس أحد ينهه عن شيء، فلا يصح الحكم عليه بقانون المخلوقين

ولو أن لله تعالى عذب أهل السماء وأهل الأرض لعذبتهم، وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم كما جاء في الحديث^(١)

(١) أبو داود حديث رقم ٤٦٩٩

كراهية الخوض في القدر

القدر من الغيب الذي ستره الله تعالى عن العباد، وهو سر من أسرارهِ، احتص به وحده عن عقول الخلق، لما علمه من الحكمة في ذلك فلم يعلمه سي مرسل ولا مدث مقرب^(١)، وكان السلف الصالح أصحاب رسول الله ﷺ، وكبار الساجدين حير القرون وهم القدوة يكتفون في مسألة القدر بالإيمان بأن الله تعالى علم مقدير الأشياء وأمرائها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سنن في علمه أنه يوجد، فكل أمر في الوجود هو صادر عن علمه وقدرته وإرادته، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولا يريدون على ذلك. فلا يكفون أنفسهم البحث عن أسرار القدر، مثل هل الإنسان مسير أو مُخير؟ وإذا كان مسيراً فكيف يعده له تعالى عن فعله وهو مسلوب الإرادة؟ وإذا كان محيراً فأين قدرة الله التي يحصع لها كل شيء في الوجود؟ بل كانوا يحذرون من ذلك، ويقصون أمور القدر كلها إلى الله، قال تعالى ﴿لَا تَسْتَلُ عَنَّا فَعَلَ وَهُمْ يَسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء ٢٣]، وفي حديث عمرو بن شعيب، قال «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس سكمون في القدر، قال وكأنما تلقأ في وجهه حب الرمان من العصب قال فقال لهم ما لكم تصربون كتب الله بعضه بعض، بهذا أهلك من كان قبلكم»^(٢)، وروي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ «إذا ذكر القدر فأمكوا»^(٣)

(١) انظر فتح الباري ٢٧٧/١٤

(٢) حشد مع فتح برياني ١٤٢، ١ وسر ابن ماجه ٣٣/١ وفان نوصيري في وثائق ما حقه اسناد

صحيح ورجاله ثقات، ومثله (وأنما تلقأ في وجه حب الرمان) أي احمر من العصب

(٣) قال الحافظ في فتح الباري ٢٧٧/١٤ أخرجه الطبراني سنن حسن

علامات الساعة

الساعة لا يعلم وقتها إلا الله

يحب على المسلم أن يؤمن بأن الساعة حتى وأنها آتية لا ريب فيها، قال تعالى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ سَعَتُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج ١٧]، ويجب الإيمان أن وقت مجيئها لا يعلمه إلا الله تعالى، فلا يجوز لأحد أن يدعي علم ذلك، ولا يُصدق من أحبر عنها رجماً بالغيب، أو مدعيًا حسابًا وعدماً يوصله إلى ذلك، ومن ادعى بأن لولى الفلاس قال بوقوعها في القرن الحاصي، أو في عدم كذا، فهو كذاب مفر من كذب القرآن، قال تعالى ﴿يَسْتَلْزِمُونَكَ مِنَ السَّاعَةِ أَنَّ مَرَسَهَا قُلُوبُهَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّكَ لَا يُعْجِبُهَا لَوْفًا وَلَا هُوَ تُقَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَعْدُ يَسْتَلْزِمُونَكَ كَأَنَّكَ حَمِيقٌ عَنَّا قُلُوبُهَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٧]، وقال تعالى ﴿تَسْتَكْبِرُ تَكْبَرُ عَنِ السَّاعَةِ قُلُوبُهَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحراب ٦٣]، وفي الصحيح من حديث جبريل حين سأل رسول الله ﷺ عن الساعة، قال له «مَا الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ»^(١)، ثم ذكر له أنها في خمسة أشياء لا يعلمهن إلا الله تعالى، وتلا قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرِيدُ الْآمِينَ وَيَمَرُّ نَارُ الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَعْسَ مَاذَا تَكْتُمُ عَدَا وَمَا تَدْرِي نَعْسَ بَائِي أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [القمان ٣٤]

وقد ذكر لنا النبي ﷺ علامتها، وروى العلماء هذه العلامات إلى نوعين، علامات كبرى ملاصقة للساعة، وعلامات صغرى سابقة عن ذلك

(١) البخاري حديث رقم ٥٠

العلامات الصغرى

من العلامات الصغرى التى ذكرها النبى ﷺ ما جاء فى الصحيح من حديث جبريل المتقدم «وَسَأَخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الْأُمَّةُ رَبَّهَا، وَإِنَّا تَطَاوَلُ رُعَاةُ الْإِبْلِ الْبُهِمُ فِي الْبَيَانِ»^(١)، ومعنى ولدت الأمة ربها إذا ولدت المرأة من يربها، أو من بسوء معامدها ويعقها ويسها ويصرها، كما يعامل السيد أمته. والمراد أن من علامات الساعة انعكاس الأمور، واحتلال المقاييس، وانقلاب الموارد، بحيث يصير السافل عالى، ومن يستحق الترية والتأديب يصير مؤدنا مربيا، وهو معنى ما جاء فى الحديث الآخر المخرج فى الصحيح عندما سئل النبى ﷺ متى الساعة؟ قال «إِذَا وَسَدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(٢)، وفى الصحيح عن النبى ﷺ «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزُّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِحَمِيْنٍ امْرَأَةٌ الْقِيَمُ الْوَاحِدُ»^(٣)

وفى الصحيح من حديث أبى هريرة، قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَابِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَدَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْمَرْقَدُ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(٤)، وقال ﷺ «يُبْعَثُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرَأُ بَيْنَ إِصْبَيْهِ السَّابِقَ وَالْوَاسِطَ»^(٥)

وفى الصحيح من حديث أبى هريرة، قال رسول الله ﷺ «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ بَشَرَانِ عَظِيمَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ وَحَتَّى يَبْتَكَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَحَتَّى يَقْبُضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزُّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ وَهُوَ الْقَتْلُ وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَقْبُضَ

(١) صحاري حديث رقم ٥ والبيهق السود ويصح أن يكون صفة لمرعاة ويصح أن يكون صفة للإبل

(٢) صحاري حديث رقم ٥٩ وسَدَ أى أسد

(٣) صحاري حديث رقم ٨١ وكثرة النساء قد تكون سبب كثرة الفرس والحروب، فكثرة لصل فى لرجاء لصفود ويكثر ساء وقد يكون أن الله ﷻ يغلب فى آخر الزمان أن من يؤمن من لآيات أكثر ممن يؤمن من الدكو

(٤) مسلم حديث رقم ٢٩٢٢ والهرج هرج من شجر الشوك، قل هو لموسحه لعظمه وهو شجر معروف

نصب لصفود

(٥) مسلم حديث رقم ٨٦٧

حَتَّى يُهَمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَغْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَغْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ وَحَتَّى يَنْظَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبَيَانِ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ يَمِي آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ لَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّحْلَانِ تَوْبَهُمَا يَتَّهِمَا فَلَا يَبْتَاعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّحْلُ بِلَبَنِ لِفَحْتِهِ فَلَا يَظَعُمُهُ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يُلْقِي فِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتُهُ إِلَى فِيهِ، فَلَا يَظَعُمُهَا^(١) وفي حديث عبد الله بن عمرو «لا تقوم الساعة حتى تتسافدوا في الطريق تسافد الحمير»^٢

العلامات الكبرى

علامات الساعة الكبرى التي تضمنها حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم، هي خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة تكلم باسم، وطلوع الشمس من مغربها، وحسف بالمشرق، وحسف بالمغرب، وحسف بحزيرة العرب، والدخان، والريح التي تقصر أرواح المؤمنين، وأحر دلت دار تحرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم^(٣)، وفيما يلي بيان ما يحتاج إلى تفصيل

١ خروج الدجال

ويسمى المسيح الدجال بالحاء والخاء وهو رجل، ذكر رسول الله ﷺ من صفته أنه أعور العين اليمنى^(٤)، كذاب، يدعى الألوهية، يمكث في الأرض أربعين يوماً، مكتوب على جبهته أنه كافر (ك ف ر)، يقرأ ذلك كل مؤمن كائن وغير كائن، يفسد الناس عن دينهم بما أعطى من حوارق العادات وغرائب الأمور، فيشب من أراد الله تثبيتاً من المؤمنين، فيعلمون أنه الدجال ولا يخذعون به، ويصل الله تعالى

(١) البخاري حديث رقم ٧١٢١

(٢) مختصر روضة مسند نور ١٨٢/٢ وقال صحيح والسند من تعداد مرو الدكر عن لأش

(٣) انظر شرح مسلم ٢٨/١٨

(٤) جاء في حديث الحسن عنه أنه أعور العين اليمنى، وورد في صحيح مسلم من حديث حذيفة (أعور العين اليسرى)، قال عاصبي عاصم المظنونة والمصوحه التي ذهب بورها هي اليمنى، واليسرى طافه (بدررة)

و هو فيها بمعنى كعب وليس دعاب النصر انظر فتح الباري ١٠/٢١١ ومسلم حديث رقم ٢٩٣٤

أحرى، ولا يتبعه إلا كاهن أو مسافر، ويظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدسة
فلا بد منها، قال ﷺ «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَبَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ»^(١)

وفي حديث الواس بن سمعان، قال «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ
فَحَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ^(٢) حَتَّى ظَنَّا فِي طَائِفَةِ النَّحْلِ قُلْنَا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فَيَا قَقَالَ مَا
شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ عَدَاةً فَحَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّا فِي
طَائِفَةِ النَّحْلِ قَقَالَ خَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ
دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجَ وَلَيْسَ فِيكُمْ^(٣) فَأَمْرٌ حَاجِبٌ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مَسْلَمٍ، إِنَّهُ
شَابُّ قَطَطٍ^(٤) عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قَطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ
فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ حَلَّةً^(٥) بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَمَاتَ بَيْنَنَا وَعَاثُ شِمَالًا، يَا
عِبَادَ اللَّهِ عَابَثُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ أَرَبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَةِ
وَيَوْمَ كَشَّهَرٍ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ. قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي
كَسَتْهُ أَنْكُفِيًا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ لَا أَقْدِرُوَالَهُ قَدَرُهُ. قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَافُهُ فِي
الْأَرْضِ؟ قَالَ كَالْفَيْثِ اسْتَذْبَرَتْهُ الرِّيحُ قِيَّامِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ قِيْلَ مَوْنٌ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ
لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطَرُ وَالْأَرْضَ فَتَنْثِي فَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلُ مَا كَانَتْ دُرًا
وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ^(٦). ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ
عَنْهُمْ فَيَضْحَكُونَ مُنْجِلِينَ^(٧) لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا
أَخْرِجِي كُنُوزِي فَتَبْعُهُ كُنُوزُهَا كَيْفَ يَسِيبُ النَّحْلُ^(٨)، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِكًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ

(١) بخاري حديث رقم ١٨٨١

(٢) حفص أي حفر من شأه ورفع أي صعد، ومن تصحيفه فسته وتصحيفه

(٣) وهذا معمول على أن ذلك كان من أبي يسى النبي ﷺ وهو خروج، فخرج أو يخرج في حاته، ثم بعد
تمتالي له تأخر خروجه، انظر فتح البخاري كتاب الفجر ٢٠٩/١٦

(٤) عطف شديد حمود شعر

(٥) بحلة حكا - بين السنين مثل بقعة الحدود بين السنين

(٦) فروع عامة سارحهم - نوح الحصى أو الحاشية التي تسرح أو - النهار إلى لمرعى تروح آخر لها معناته
شعرا مرتفعة الأسمه كبره الصروع لامتلائها بالناس

(٧) منجلى - جعل يسر لأرض من الشعب من فله المظفر

(٨) يمسك سحر أي جماعه لسحر

بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ حَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْفَرَسِ^(١) ثُمَّ يَذْعُوهُ قَبِيلٌ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ بِضَحْكَ^٢

وفي الصحيح من حديث أبي مسعود وحذيفة رضى الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ «إِنَّ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارُ مَاءٍ، وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءُ نَارٍ فَمَنْ أَذْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَسْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ فَإِنَّهُ سَيَجْعَلُهُ مَاءً قَالَ أَبُو مُسْعُودٍ هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ^(٣)»

وكذا النبي ﷺ يستعيد في صلاته من فتنة الدجال

٢- نزول عيسى ﷺ

يحب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقتله اليهود وإن شئ لهم ذلك بل رفعه الله تعالى إليه، وأنه لا يزال في السماء، يرسل في أحر الرماح بأمر الله تعالى، فيكسر الصليب، ويقتل الحرير ويصع الحجرية، ويصير الحق، ويقيم العدل في الأرض، ويحكم بشريعة نبي محمد ﷺ، ويقتل المسيح الدجال، ثم يبقى ما شاء الله له في الأرض، ثم يموت ويدفن قال الله تعالى مَكِدًا لِيَهُودَ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّوهُ وَلَئِكَ سِيقُهُ لَهُمْ فِي يَوْمٍ هُمُ آخِذُونَ أَمْتَلَمُوا بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [النساء ١٥٨]، وقد وقعت الإشارة في القرآن إلى مولده، قال تعالى ﴿وَلَوْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَتَوَدَّ الْفِتْنَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء ١٥٩]، قال الحسن في معنى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي قبل موت عيسى ﷺ، والله إنه لحبي الأمان عبد الله، ولكنه إذا برز أموا به أجمعون^(٤)

وقال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَلَمٌ لِّلنَّاسِ فَلَا تَنفَكُ سَهَابًا﴾ [الزخرف ٥١]^(٥)، وفي الصحيح من حديث الواس بن سمعان المتقدم «بَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ بَيْتِ مَعْرُوفَيْنِ^(٦) وَأَضْمًا كَفَيْهِ عَلَى

(١) حرس أي طمس ورمه الفرس أنه يكون بين القطعين مسافة ربه السهم

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٣٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٩٣٥

(٤) انظر التمهيد ٢٠٤/١٤، وتفسير القرطبي ١١/٦

(٥) وانظر تفسير القرطبي ١٠٤/١٦

(٦) مهوردين أي لابس ثوب موصول

أَجْنَحَهُ مَلَكَئِينَ إِذَا طَافَا رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ^(١) فَلَا يَجِلُّ لِكَأَمْرِ
يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ يَطْلُبُهُ حَتَّى يَذُرْكَ بِبَابٍ لَدَى قَيْثَلَهُ
ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْنَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُخَدِّلُهُمْ
بِذُرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ^(٢)

٣ خروج ياجوج وملجوج جاجوج

ياحوج وملجوج هم قوم من الشر مفسدون، عددهم كثير، لا يعلمه إلا الله تعالى، يبحر حوج في أيام بroul عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله جميعاً في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم^(٣)

وقد ذكر الله تعالى ياحوج وملجوج في القرآن وخروجهم، فقال تعالى ﴿حَقَّقْ إِنَّا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(١) وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ
الْعَقْبُ وَإِذَا هِيَ شَجْعَةٌ أَنْصَرُّ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّيْنَا قَدْ كُنَّا فِي عَمَلِهِمْ مِنْ هُنَا ذَلِكُنَا
طَائِفِينَ^(٢) [الأنبياء ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ سَكَّا^(٣) حَتَّى يَدَّ بِلَعٍ مَطْلَعِ الشَّمْسِ
وَجَنَفَ تَطَلَّعَ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَحْمِلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا يَتَرُ^(٤) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِمْ خَبْرًا^(٥) ثُمَّ أُنْزِلَ
سَكَّا^(٦) حَتَّى يَدَّ بِلَعٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَحَدَّ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا^(٧) قَالُوا يَنْدُ
الْقُرْبَىٰ يَا يَاجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُقْبِلِينَ فِي الْأَرْضِ لَهَلْ يَحْمِلُ لَكَ حَرْبًا عَلَيَّ أَمْ نَحْمِلُهَا بَيْنَ وَيَسْمَعُ سَكَّا^(٨) قَالَ
مَا مَكِّي بِهِ رَبِّي حَيْرٌ فَأَعْسَوْنِي بِقُوَّةٍ أَعْمَلْ بِكُمْ وَيَسْمَعُ رَدْمًا^(٩) ءَأَتَوْنِي زُتْرَ الْخَبِيرِ حَتَّى يَدَّ سَاوِي بَيْنَ
الْقَدِيرِ قَالِ تَفْعَلُ حَتَّى يَدَّ حَمَلُ نَارًا قَالَ ءَأَتَوْنِي أَفَرِّجَ عَلَيْهِ فِطْرًا^(١٠) فَمَا اسْتَطَعُوا أَلْ يَطْهَرُوهُ
وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ يَهَبَا^(١١) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا
[الكهف ٨٩، ٩٨]، وَيَسْعَثُ اللَّهُ يَاجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ
أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةٍ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ
وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَخْدِيمِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ
لِأَخْدِيمِهِمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّفْثَ فِي رِقَابِهِمْ
فَيُضْحِكُونَ فَرَسَى كَمَوْتَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا

(١) وحمى ب حاء يفتح سه كائون في صفاته

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٣٦

(٣) انظر المقتلة الطحاوية ص ٤٤٨

يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شَيْءٍ إِلَّا مَلَأَهُ وَهَمُّهُمْ وَتَنَتُّهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَفْطَاكِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَقْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ يَتٌّ مَذْبَرٌ وَلَا وَبَرٌ، فَيَغِيْلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْتِ نَمْرَتِي وَرُدِّي بِرُكَّتِكَ يَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةَ مِنَ الرَّمَانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْمِهَا وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ حَتَّى أَنْ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفَقَامَ مِنَ النَّاسِ^(١)

٤ طلوع الشمس من مغربها

من علامات الساعة العظمى خروج الشمس من جهة الغرب على خلاف العادة، ودلت عندما يريد الله تعالى ذلك، إيداً سداية التعيرات العظيمة في العالم العنوي المؤدة قديم الساعة، وحيث لا تقبل توبة من لم يتب، ولا يقع نفساً إيمانها لم تكن امت من قبل، ولا يقع العمل الصالح من لم يعمل قبل ذلك، قال تعالى ﴿يَوْمَ بَأْسٌ شَدِيدٌ لِّأَنبِيَائِهِمْ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام ١٥٨]، فالمراد بعض آيات ذلك عند جمهور المفسرين طلوع الشمس من مغربها

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة المتقدم «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ قَرَأَهَا النَّاسُ أَمْوًا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»^(٢)، والسبب إذا شهدوا ذلك حصل لهم الإيمان الضروري بالمعانية، ولم ينو للإيمان بالغيب موضع، فهو إيمان المصطر، كالإيمان عند العرعة وحروج الروح، وهو إيمان فرعون الذي رده الله تعالى عليه عند العرق

٥ خروج الدابة

خروج دابة تكلم الناس من الآيات الكبرى لقيام الساعة، وقد وقع الإشارة إليه

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٣٧ ومعنى فرغ من الله على أي يدعو الله، وسعف دود يكون في أبوف لإس وهم وفرسى صلى، وهمهم دسهم والشح نوع من لابل، ولا يكن لا يسح من برون المطر، ومنهم طير سدر، وكأثره كائنها في صفاتها، والنصاعه لجماعه ونصاعه تدوير لشرتها، ورسولهم من النصاعه النافه الغربية العهد من الولادة، والنصاعه لجماعه الكثرة، نظر شرح مسلم

في الفراء، قال تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل ٨٢]، وهي من الآيات التي يقفل مع خروجها باب التوبة، فهي مصاحبة لطلوع الشمس من مغربها أو قرية منها، فهي الصحيح قال ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ صُحَّى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبِهَا فَإِلَّا أُخْرِجَ عَلَى إِيْرَهَا قَرِيبًا»^(١)

وتعرج الدابة لتكلم الناس وتبشير المؤمنين من الكافر، تكميلاً لمقصود من إغلاق باب التوبة

٦- الريح التي تقبض أرواح المؤمنين

في حديث الزُّهَّار عن سمعان المصنم . . . «فَيَمَّا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَانِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(٢)، وفي الصحيح عن عائشة قالت قال ﷺ «ثُمَّ يَمُتُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفِّي كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خُرْدٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»^(٣)، وفي حديث عبد الله بن عمرو في الصحيح عن النبي ﷺ . . . «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قُبِضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَيْدِ حَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ. قَالَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ النَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُسْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَنْشَلُّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ يَقُولُ أَلَا تَنْتَجِبُونَ؟ فَيَقُولُونَ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رَزَقَهُمْ حَرَنٌ عِبَتُهُمْ»^(٤)، وفي رواية «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(٥)

ولاحديث الصحيحة تدل على أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الجن وأنه

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٤١

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٣٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٩٠٧

(٤) مسلم حديث رقم ٢٩٤٠

(٥) مسلم حديث رقم ٢٩٣٧ ويتهارجون تهارج الحمر أي يجامع الرجال النساء أمام الناس كما يفعل الحميم

لا يقضى إلا من لا حير فيه يومئذ فتأخذهم الساعة نعتة، ولا سطور، جاء في الصحيح قال ﷺ «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللَّفْحَةَ فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّحْلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِيطُ فِي حَوْضِهِ فَمَا يَصُدُّ حَتَّى تَقُومَ»^(١)، وفي رواية «... وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّجُلُ بِرَأْسِ لِفْحَتِهِ فَلَا يَطْمَعُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَنْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أَكْلَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْمَعُهَا»^(٢)

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٥٤

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٥٦٠٦

العالم الآخر

أحوال العالم الآخر لا تخضع للقياس

يعتبر الإنسان مشاهد العالم الآخر من حين الاحتضار ووقوفه على أعقاب الموت، ثم تناع عليه المواقف بعد ذلك حتى تنتهي به إما إلى الجنة، وإما إلى النار وعالم ما بعد الموت يجب على الإنسان أن يسلم فيه بما ثبتت صحته منصوص الوحي، ولا يريد ولا يقص، فلا يقبس تلك الأمور العينية بعينه، ولا يربطها بمبررات الدنيا، فإن لكل عالم مقاييسه ومواريه، فإذا استعملت مقاييس عالم في عالم آخر أخطت المقاييس وتناقضت الموارد، وصل القائن الطرين، كمن يريد أن يقبس السماوات وتعد ما بين الأفلاك والمجرات بالاستيمترات، بدل السنين الضوئية، فإنه يفتي عمره ولن يظهر بظايل أحوال العالم الآخر كلها من أمور الغيب التي يجب التسليم والإيمان بها على النحو الذي جاء في القرآن وسنة النبي ﷺ، وهي أمور لا يعرض عليها بعقل ولا قياس، ومن توقف فيها أو اعترض، فقد خسر وحرم الإيمان وقد جاء في القرآن والسنة الصحيحة وصف لكثير من هذه المشاهد، وفائدة ذلك أن يسهل الناس لما هم صائرون إليه، فيحملون أنفسهم على الأحكام والأساليب التي تحيهم من عذاب الله وأهوال ما بعد الموت، ويتصرعون إليه تعالى أن يحفف عنهم شدة تلك المواقف^(١)

وفيما يلي عرض هذه المشاهد التي يمر بها الإنسان من حين الاحتضار إلى أن ينتهي به الأمر إما إلى العيم وإما إلى الجحيم أعاذنا الله تعالى من النار بقصده وكرمه

(١) انظر فتح الباري ١٨٦/١٤

أحوال الموت والبرزخ^(١)

الموت

الموت يكون عند انتهاء الأجل، مخرج النفس ومعارقتها للبدن، ويتولى قبضها ملك الموت الذي وكل بقبض الأرواح، والموت له شدة وسكراب، قال تعالى ﴿وَمِمَّا تَسْكُرُهُ الْمَوْتُ يَأْتِيَنَّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: ١٩] وشدة الموت ومكيدته على المؤمن أثناء خروج الروح، أو سهولته ويسره لا تعنى شقاء الإنسان أو سعده، فقد يشتد الموت على السعيد لرفع درجته، وقد يسهل على العاصي لحكمة يعتمدها الله تعالى، ففي الصحيح عن عائشة قالت: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَنَبَّأُ بِرَكْوَةِ أَوْ عُذْبَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَتَنَبَّأُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»^(٢)، وكاتب عائشة تقول: «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَيَنْ حَاقَتِي وَذَاقَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ»^(٣)، وفي الصحيح عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَحْغُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٤)، وفي رواية عنها: «مَا أَغْطِ أَحَدًا بَهْوُنَ مَوْتِ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٥)

(١) مخرج ما بعد الموت إلى الآخرة

(٢) سنن أبي داود رقم ٦٥١٠ وفي الترمذي (الأعلى أي مع جماعة الخلائق) ونسب في أبي عيسى، نظر

فتح ساري شرح حديث رقم ٦٥١٠

(٣) سنن أبي داود رقم ٤٤٤٦ والترمذي (حافضي وذافني) أنه ﷺ مات وهي مسدة له على صدرها، وهو

معنى حديث آخر (ابن سحري وسحري)

(٤) سنن أبي داود رقم ٥٦٤٦

(٥) الترمذي حديث رقم ٩٧٩ ونظر عارضة الأحاديث ٢٠١/٤، والمصنف ٣٣٦/١

والطيبون من المؤمنين تسلم عليهم الملائكة عند قصص أرواحهم، وتشهرهم بالجنة، قال تعالى ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَائِفِينَ أَنفُسُهُمْ فَالْقَوْمَ النَّارَ مَا كَانَ يَكُنُ لَكَ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٣٢]، وقال تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُ كُلِّ شَيْءٍ لَّكُنَّ تُنْفِخُونَ نَفْسَكُمُ الْمَوْتِ الْمَتِّحَةَ إِلَّا صَحَّافُوا وَلَا تُحَرِّثُوا وَالْبَشَرُ بِإِحْسَنَةِ إِلَّيْكُمْ كُنتُمْ تُوَكَّدُونَ﴾ [صافات ٣٠] أما الظلمة فإن الملائكة تشهرهم عند قصص أرواحهم بالنار، قال تعالى ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَائِفِينَ أَنفُسُهُمْ فَالْقَوْمَ النَّارَ مَا كَانَ يَكُنُ لَكَ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خِزْيَئِكُمْ فِيهَا فَتَيْسَسُ مَوْتُ الْمُنْكَرُونَ﴾ [النحل ٢٨، ٢٩]

أما الكافر، فقد أحبر الله تعالى أنه يذيقه العذاب عند خروج روحه، وأن الملائكة تصره وتخزيه، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام ٩٣]، فقد جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أن ذلك عند الموت ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام ٩٣]، يعني بصربون وجوه الكفار وأديارهم، كما قال تعالى ﴿فَكَفَّ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يُضْطَرُّونَ وَيُؤْفَكُونَ وَأُذِّنْهُمْ﴾ [محمد ٢٧]

وفي الحيلة من مات على حسن الخاتمة سأل الله تعالى حسنها فقد جازى له من مات على التوحيد لا يخلد في النار قطعا مهما عظم ذنبه، ففي الصحيح قال ﷺ «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَيْرٍ دَخَلَ مِنْ إِيْمَانٍ فَأُخْرِجُوهُ»^(١)

والاعتداد بما هو بالخواتيم، ففي الصحيح، قال ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»^(٢)

والشيطان قد يعرض للإنسان عند الموت فيفتنه، ولذلك كان أخوف ما يحذره الصالحون سوء الخاتمة، والفئة عند الموت

(١) سنن أبي داود حديث رقم ١٥٦٠

(٢) البخاري حديث رقم ٦٤٩٣

والخوف من سوء الخاتمة وقت الصحة والقدرة على العمل مطلوب؛ لأنه يدفع إلى مريد من الطاعة والخوف من الله تعالى، أما عند الاحتضار وعدم القدرة على العمل، فقد حذر النبي ﷺ من القنوط واليأس من رحمة الله، وحض عن الرحاء والثقة في الله بحسن الخاتمة. ففى الصحيح عن جابر قال «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُخَيِّرُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ»^(١)

وعند العرعة والرع حين لا تقبل توبة، يشتر كل إنسان بما هو صائر إليه من نعيم أو عذاب، وللسعيد حيث يشاء يحب الموت ولقاء الله تعالى، لتحير الذي يراه، ويحب الله تعالى لقاءه، والشقى يكره الموت ولقاء الله تعالى، لما يراه من المكروه، والله تعالى يكره لقاءه. فقد جاء فى الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت، قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، فَقَدْ يَأْتِي اللَّهَ أَكْرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَكَلْنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَّهَهُ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(٢)

سؤال الملكين وعذاب القبر

أضيف العذاب إلى القبر، لأن العالب فى الموتى أن يقرؤا ويدفوا، وليس لأهل العذاب خاص بمن يقرء دون غيره. فمن احترق أو أكلته السباع فإن الله تعالى يعده إذا كان من أهل العذاب. وقد تصافرت الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة على أن الإنسان يُسأل فى قبره ويفتن، ويعم فيه أو يُعذب، والعقل كذلك لا يسمع أن يعيد الله تعالى الحياة إلى الجسد، فيقعد ويسأل، ويُعذب أو يُعم، ولا يسمع من ذلك تفرق أحراره، لأن الله تعالى قادر أن يعيد الحياة إلى جرد الجسد، أو إلى كنهه ليفع عليه السؤال أو العذاب، ولذلك يجب التصديق والإيمان بجميع ذلك، قال الله تعالى ﴿سَعِدَتْهُ مَرْيَتِي ثُمَّ بُرِّدْتُكَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة ١٠١]

قال أهل التفسير العذاب الأول ما يصيب الكافر فى الدنيا من عذاب، من مرض

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٧٧

(٢) مسلم حديث رقم ١٥٧

أو فقر أو فصيحة الحج، والعذاب الثاني هو عذاب القبر^(١)، وقال تعالى ﴿مَذَرْنَاهُمْ إِلَىٰ مُقَبَّلَاتِهِمْ يُصْفَقُونَ ٥٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَذُوبُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٥١ ﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَهَنَّمُ دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور ٤٩-٥١]، وقال تعالى ﴿لَنَارٍ يُعْرِشُونَ عَلَيْهَا عُدَدًا وَعَشِيرًا وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [عافر ٤٦]، وجمهور العلماء على أن هذا العرض على النار يكون في البرزخ بعد الموت، وقيل أن يعذب الله تعالى الحلائق لحساب، وقال تعالى عن الشهداء ﴿وَرِجَالٌ يَتَخَفَتُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَبَلِهِمْ وَتَتَشَرُّونَ بَالَيْنَ لَمْ يَحْقُقُوا حَقَّهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ إِلَّا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران ١٧٠]، وهذا لا يكون إلا في الدين، لأن الدين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا بعد، فدل على أن في القبر عيماً وشارة

وسواء القبر عام للمطيع والعاصي والكافر^(٢) والمسلم، لعموم الأدلة الدالة عليه، ففي الصحيح من حديث أسس أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ أَنَاءَ مَلَكَيْنِ يَقْعِدَانِهِ يَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ - فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيَقَالُ: لَا دَرَنَتْ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»^(٣)

وقد ثبت أحاديث كثيرة صحيحة في عذاب القبر عن النبي ﷺ، كعوده في صلاته وغيرها من عذاب القبر، وكسماعه صوت من يعذب في قبره سب السؤل وغيره وكلامه ﷺ لموتى الكفار يوم بدر بعد أن رموا في القليب، وقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ أَنْ يُجِيبُوا»^(٤)، حين سأله عمر

(١) انظر تفسير حرطبي ٢٤١/٨

(٢) وذهب جماعة منهم ابن عبد البر إلى أن سواء القبر لا يكون للكافر، وإنما يكون لمر طاهره لإيمان به

الدين، مؤمن أو منافق، وأما الكافر الجاحد فليس ممن يسأل عن دينه انظر لمهذب ٢٧٠/٢٧

(٣) البخاري حديث رقم ١٣٧٤

(٤) مسلم حديث رقم ٢٨٧٥

«صلى الله تعالى عنه» «كَيْفَ تَكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا»^(١) كل ذلك وغيره بعيد لكثرة اليقين بصحته، ووجوب الإيمان بوقوعه قال النووي «إن قيل فبحر شاهد الميت على حله في قبره، فكيف يُسأل ويقعد ويصرب بمطارق من حديد، ولا يظهر له أثر، فالجواب أن ذلك غير ممتنع، بل له نظير في العادة، وهو النوم، فإنه يجد لذة ولا مآ لا يحس بحر شيئاً منها، وكذا يجد اليقظان لذة وألماً لما يسمعه أو يفكر فيه، ولا يشاهد ذلك حليسه، وكذا كان حبريل يأتي النبي ﷺ، فيحرقه بالوحى الكريم، ولا يدركه الحاصرون وأما صرره بالمطارق، فلا يمتنع أن يوسع له في قبره، ويقعد ويضرب، والله أعلم»^(٢)

وفي حديث الرءى بن عارب الآتى وصف كامل لحال الإنسان بداية من حنة الاحتصار وحروج الروح، إلى استقرار روحه في البرخ، على الحالة التي هي عليها، من نعيم أو عذاب، حتى يأتى الله تعالى بقيام الساعة

عن الرءى بن عارب رضي الله عنه، قال «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَارَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاتَّهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يَلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدَيْهِ حُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَمِيزُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِثْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، يَبْشُرُ الْوُجُوهَ كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَرٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَخُوطٌ مِنْ خُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا بِهِ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ﷺ حَتَّى يَجْلِسَ جُنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغِيرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ فَتَخْرُجُ تَبِيلٌ كَمَا تَبِيلُ الْقَطْرَةِ مِنْ فِي السَّاقِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةٌ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْمَلُونَهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْخُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْلَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ فَيَضَعُونَهَا فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ- إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ قُلَانُ ابْنُ قُلَانٍ بِأَخْسَنِ أَسْمَائِهِ النَّبِيُّ كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَتَّهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَنْفَعِحُونَ لَهُ فَيَفْتَحُ لَهُمْ

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٧٣

(٢) شرح مسلم ٣٠٢/١٧

فَيَسْمِعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِي بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ
 يَقُولُ اللَّهُ ﷻ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي جَلِيلٍ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مَعَهَا
 خَلَقْتُهُمْ، وَبِهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ قَتَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ
 قِيَّاتِهِ مَلَكًاانَ فَيَجْلِسَانِهِ يَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ يَقُولَانِ لَهُ مَا دِيْنُكَ؟
 يَقُولُ دِيْنِي الْإِسْلَامُ. يَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ يَقُولُ هُوَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولَانِ لَهُ وَمَا جِئُوكَ؟ يَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمْسَتْ بِهِ وَصَدَّقْتُ،
 فَيَأْتِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَقْرِئُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبُسُوءَ مِنَ الْجَنَّةِ،
 وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ قِيَّاتِهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطَيْبِهَا يَفْتَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ
 قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوُجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ. يَقُولُ أَبَشِّرْ بِالَّذِي بَشَّرُكَ،
 هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ يَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوُجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ يَقُولُ
 أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ يَقُولُ رَبِّ، أَتِمَّ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي

ق. وَإِنَّ الْمَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ
 السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ
 الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ يَقُولُ آتَيْنَا النَّفْسَ الْخَبِيثَةَ أَخْرِجِي إِلَى مَسْخِطٍ مِنَ اللَّهِ
 وَغَضَبٍ قَالَ فَتَفَرَّقَ فِي حَسَدِهِ فَيَتَرَعَّعُهَا كَمَا يَتَرَعُّ السَّقُودُ مِنَ الصُّوبِ الْمَبْلُولِ،
 فَيَأْخُذُهَا وَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَذْهَبْهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي بَلَدٍ الْمُسُوحِ،
 وَيُخْرِجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ حِقِيقَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا
 عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ يَقُولُونَ. فَلَانِ ابْنِ فَلَانٍ بِأَتَيْحِ
 أَسْمَاءِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهِي بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ،
 فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿لَا تَفْخُحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ لِمَعْنَةٍ حَتَّى يَبْجِ
 أَسْمَاءُ فِي سَبْرِ الْخَبِيرِ﴾ [الاعراف: ٤٠] يَقُولُ اللَّهُ ﷻ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي مَجْبِيبٍ، فِي الْأَرْضِ
 الشُّطْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِإِلَهِهِ فَكَانَ حَرَمًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُمُهُ
 الظُّلُمُتُ أَوْ نَهَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَارٍ سَجِيَّةٍ﴾ [الحج: ٣١] قَتَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكًاانَ
 فَيَجْلِسَانِهِ يَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ يَقُولُ هَاهُ هَاهُ، لَا أَذْرِي. يَقُولَانِ لَهُ مَا دِيْنُكَ؟
 يَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي. يَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ يَقُولُ هَاهُ
 هَاهُ لَا أَذْرِي فَيَأْتِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَقْرِئُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى
 النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ

رَحُلَ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الْيَابِ، مُتَنُّ الرِّيحِ، يَقُولُ أَبَشِرُ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ
الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ يَقُولُ مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ يَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ
الْحَبِثُ، يَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ^(١)

ضغطة القبر

لا يبحر من صعطة القبر صالح ولا طالح إلا الأسياء لعصمهم، وقد استثنى
السي رحمه الله من صعطة القبر فاطمة بنت أسد أم علي كرم الله وجهه لصاحبها
المصطفى صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ
مُعَاذٍ»^(٢)، والمراد بصعطة القبر التقاء حابيه على جسد الميت، والفرق بين المسموم
والكافر هو دوام الضغط على الكافر، أما المؤمن فيصعط عليه القبر في أول بروله، ثم
يفسح عنه، وحديث استثناء فاطمة بنت أسد من ضغطة القبر أشد إليه الحفاظ
من ححر في الإصانة بلفظ «ما أعفى أحد من صعطة القبر إلا فاطمة بنت أسد»،
وعنه يهدى لفظ في مسل الهدى والرشاد إلى أبي عاصم وأبي نعيم^(٣)

مستقر الأرواح بعد الموت

الأرواح في البرزخ متفاوتة نعيمًا وعذابًا، بقدر ما كانت عليه من تفاوت في الدنيا
في طاعة الله، فأرواح الأسياء في الرفيق الأعلى مع الملائكة في أعين عيسى، وقد
حرم الله تعالى على الأرض أن تأكل أبدانهم
في الصحيح من حديث وفاة النبي صلى الله عليه وآله: «... ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَبَجَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى»^(٤)، وقد صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٥)

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٨٧ والنقطة وخرجه الحاكم في المستدرک ١/ ٣٧، وهو حد حديث صحيح
على شرط الشيخين، وانظر صحيح مسلم حديث رقم ٢٨٧٢ في طب روح المؤمن وشر روح الكافر عند
خروجه

(٢) المسند مع الفتح الرماني ١٣٤/٨، وسند الحديث جيد، وانظر الفتح الرماني ٢٥٧/٢١

(٣) حديث مر روي به سديد بن النوفلي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس وسعد بن وهب بن يوسف أحمد بن
محمد يصفى نظر لاصحه ٥١٦، ٥، وسن الهدى والرشاد ١٩/١١

(٤) مسند حديث رقم ٦٥١٠

(٥) أبو داود حديث رقم ١٠٤٧

وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء، إلا من حسه
عن دحور الجنة دين عليه، أو شيء من الحقوق كما جاء في السنة^(١) جاء في
الصحيح في تفسير قول الله تعالى ﴿وَلَا تَحْزَنْ لِمَنْ أَهْلَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالُهُمْ أَمْوَالُهُمْ لَنَا حَيَاتُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ١٥٦] «أَنْ أَرْزَاقَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَابِيلُ مُعَلَّقَةٌ
بِالْمَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَابِيلِ»^(٢)

وأما أحساد الشهداء، فقد جاء في حديث جابر حين نقل أناه من قبره، قال
«فَاسْتَخَرَحْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَا غَيْرَ أَذْنِهِ»^(٣)، ويحتمل أن تنفي
أحساد الشهداء كذلك إلى أن تمت، لا تأكلها الأرض، ويحتمل أنها تبلى مع طول
العدة، والله أعلم. قال الطحاوي «وكانه والله أعلم كلما كانت الشهادة أكمل،
والشهيد أفضل، كان بقاء حسده أطول»^(٤) وأرواح عامة المؤمنين تنصوب في
أصاف العليم وفي أصاف العذاب والألم، حسب مقامها وعملها في الدنيا، فصها ما
يكون طائرًا يرتع في شجر الجنة، ففي الموطأ من حديث كعب بن مالك، قال
رسول الله ﷺ «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى
جَنَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(٥)

ومنها ما يكون في الجنة، في مكان أو دار، قال رسول الله ﷺ «لَمْ أَر قط أحسن
منها»^(٦)، ومنها ما يكون محبوسًا على باب الجنة، كما دل عليه حديث «إِنَّ
صَاحِبَكُمْ مُخْتَبَرٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فِي دِينٍ عَلَيْهِ»^(٧)

ومنها ما يكون بماء القبر، ويدل له حديث ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ
«مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا، فَيَسْلَمُ عَلَيْهِ، إِلَّا عَرَفَهُ

(١) من سني حديث رقم ٢٦٨٤ والمصنف الطحاوي ص ٤٥٥

(٢) مسند حديث رقم ١٨٨٧

(٣) مسند حديث رقم ١٣٥١ ولهم الشيء السمر

(٤) مسند الطحاوي ص ٤٥٦

(٥) موطأ حديث رقم ٥٦٦

(٦) مسند حديث رقم ٢٧٩١

(٧) مسند أحمد حديث رقم ١٩٦٦٦

ورد عليه السلام^(١)، قال مالك «يلعى أن الروح مرسله تذهب حيث شاء»^٢
ومنها أرواح تسبح في أنهار من الدم، كلما أرادت أن تخرج منه وميت بحجر،
فردت حيث كادت، وهم اكلوا الربا، ومنها ما هو محبوس في تور، أعلاه ضيق
وأسمه واسع، يتوقد تحته ناراً، وهم الرماة، ومنها من تعذب بكنوب من حديد يدخل
في شقوق صاحبها حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل شدة الآخر مثل ذلك، فإذا التأم شدقة
الأول صنع به مثله، وهكذا دواليك، وهؤلاء هم الكذابين يصنع بهم كذلك إلى يوم
القيامة، ومنها أرواح تشدح دعوس أصحابها بصخرة عظيمة، ثم تستم وتعود كما
كادت، فتضرب مرة أخرى وهكذا، وصاحب هذه الحال هو من أعطاه الله تعالى
الفرق، فممن عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به كذلك إلى يوم القيامة كل
ذلك من عبيد حديث البخاري في الرؤيا التي رآها النبي ﷺ^(٣)، وأما أرواح الكفار،
فهي في سبعين في أسفل سافلين

وأحسد عمة المؤمنين تقى وتأكلها الأرض، ما عدا عجب الدب، ثم شنها الله
تعالى عند البعث شاة أخرى، قال تعالى ﴿وَأَنَّ مَتَّو النَّشْأَةَ الْآخِرَى﴾ [النجم ٤٧]،
وفي الصحيح قال ﷺ «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُ التُّرَابَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ
يُرْكَبُ»^(٤)

(١) قال الحافظ العراقي ذكره ابن عبد البر في التمهيد والاستدكار بإسناد صحيح من حديث ابن عباس.

وصححه كذلك أبو محمد عبد الحنن النذري ١٤٥/١ وقصص التقدير ٤٨٧/٥، وعون المصنف ٢٦١/٣

(٢) المغلة الطحاوية ص ٤٥٣

(٣) البخاري حديث رقم ١٣٨٦

(٤) مسلم حديث رقم ٢٩٥٥ والمعجب عظم لطف في أصل الصليب، وهو مكان رأس الدب من دواب

النفخ في الصور

بداية القيامة تكون بالنفخ في الصور، والصور كهينة البوق، وصاحب الصور الذي يولى صفحه بأمر لله تعالى إسماعيل من الملائكة عند أكثر العلماء والصور له صفحتان، الصفحة الأولى يقبض الله تعالى بها جميع الخلائق، فيصعقون إلا من شاء الله أن يستثيه، والصفحة الثانية يحيي الله تعالى بها الخلائق، وقد ذكر الله تعالى الصفحة الأولى في أكثر من آية، قال تعالى ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّصُونَ﴾ [يس ٤٩]، وقال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر ٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِذَا نُفِخَ فِي سَافِرٍ ۝ هَٰذَا يَوْمَ يَوْمَئِذٍ عَسَىٰ﴾ [المعثر ٨، ٩]^(١) كما جاء ذكر الصفحة الثانية في مواضع من القرآن، قال تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ بِهِ أُخْرَىٰ فَإِنَّا هُمْ قَبَائِمٌ يَغْفُرُونَ﴾ [الزمر ٦٨]، وقال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات ١٩]^(٢)، وقال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [التارعات ١٣، ١٤]^(٣)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ ۝ تَتَجَلَّىٰ رَبُّهَا ۝﴾ [التارعات ٦، ٧]^(٤)

وعقب الصفحة الأولى تحدث التعبيرات في الكون التي أحضر عنها القرآن، فسدت الأرض والجبال وتشق السماء، وتظلم الكواكب، قال تعالى ﴿إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْثَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ وَجِبَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّا ذُكَّةً وَجِفَّةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ وَأُشْجِبَتْ

(١) الصور الصور

(٢) الزجرة صفحة النفخ في الصور

(٣) الساهر وجه الأرض

(٤) الراجحة الصفحة الأولى، والرافة الصفحة الثانية، كما دوي عن ابن عباس رضي

الْأَسْمَاءُ فِي يَوْمٍ يُؤَيَّسُ^(١) [الحاقة ١٤]، وقال تعالى ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا^(٢) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(٣)﴾ [الصمر ٢٢]، وقال تعالى ﴿إِذَا انشَقَّتْ كُورَتُ^(٤)﴾ [وما أشعوم أنكدرت^(٥) وإذا الجبال سُيِّرَتْ^(٦) [التكوير ١]، وقال تعالى ﴿وَالْأَسْمَاءُ تَشَقَّتْ^(٧) وَدَّتْ رَبِّهَا وَحَّتْ^(٨) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ^(٩) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ^(١٠) [الانشقاق ١٤]، وقال تعالى ﴿وَأَشَقَّتْ^(١١) الْأَسْمَاءُ فِي يَوْمٍ يُؤَيَّسُ^(١٢) [الحاقة ١٦]، وقال تعالى ﴿يَوْمَ أُنشَقَّتْ^(١٣) أَسْمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ^(١٤) [الرحمن ٣٧]، وقال تعالى ﴿إِذَا الْأَسْمَاءُ انْفَطَرَتْ^(١٥) وَإِذَا الْكُورُكُ انْفَرَّتْ^(١٦) [الانفطار ١، ٢]، فتنطوى السماء وتتكور شمسها وسجودها وكواكبها، وتصير محمرة متموجة كدُردي اليريت كما أحمر القراں ﴿يَوْمَ أُنشَقَّتْ^(١٧) أَسْمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ^(١٨) ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَسْمَاءُ كَالنَّهْرِ﴾

وقد دل على أن للصور نفختين حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم، وفيه (ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْحَى لَنَا وَرَقَعَ لَنَا^(١٩))، قال وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قال: فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُزِيلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الظِّلُّ أَوْ الظِّلُّ فَتَبَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الْآخَرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ^(٢٠)

وحاء في اسم اليوم الذي تكون فيه الصعقة حديث أوس بن أوس الثقفي، عن النبي ﷺ «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبُضَ، وَفِيهِ النُّفُخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ^(٢١)»، وفي الصحيح من حديث فضل يوم الجمعة «... وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٢٢)» وروى البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود عن قوله «ثم يقوم مثل الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، فلا يبقى لله خلق في السموات ولا في الأرض إلا مات، إلا ما شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون^(٢٣)» وورد

(١) اسم صفة من وأصمى أمم.

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٤٠

(٣) أبو داود حديث رقم ١٠٤٧

(٤) مسلم حديث رقم ٨٥٤

(٥) بطر فتح ساري ١٤ ١٥٧

أقوال كثيرة في تحديد من يستثيهم الله تعالى فلا يموتون عند الساعة الأولى، هل هم الملائكة أو بعض الملائكة أو غيرهم، والأحاديث في تعيينهم ضعيفة، والله أعلم بذلك.

فرد في الحلائق ولم يبق إلا الله تعالى، قال سبحانه: أنا الجبار، لم السمك اليوم؟ فلا يحية أحد، فيقول لله الواحد القهار وفي الصحيح، قال ﷺ: يقبض الله -تبارك وتعالى- الأرض يوم القيامة ويطوي السماء يمينه ثم يقول: أن الملك، أين ملوك الأرض؟^(١)

وورد في بيان المدة التي تكون بين النفختين حديث أبي هريرة في الصحيح، قال رسول الله ﷺ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتٌ، قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَيْتٌ، قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتٌ، وَيَتَلَوَّى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبَ ذَنْبٍ فِيهِ يُرْكَبُ الْخُلُقُ^(٢) والعشاء يقولون أربعون سنة، وقد جاء ذلك في أحاديث من طرق ضعيفة^(٣)

(١) مسلم حديث رقم ٢٧٨٧

(٢) مسلم حديث رقم ٤٨١٤ ومعنى أيت امتنع أن يمر لأي لا أعلمه، فلا أقول فيه ما رأي

(٣) انظر فتح الباري ١٥٨/١٤

الحياة الآخرة

- ١ -

البعث

معنى البعث

البعث هو إثارة الشيء الساكن، والمراد بالبعث في يوم القيامة إحياء الأموات لمساءلتهم في فصل القضاء، قال تعالى ﴿أَلَا نُنْفِئُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ (١) **يَوْمَ نَفُوهُ كَذَٰلِكَ لِرَبِّ أَلْوَيْنَ** [المطففون ٤، ٦]، وقال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (٢) **فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ** [التارعات ١٣، ١٤] (١)

فيحب على المسلم أن يؤمن بأن الله تعالى يحيي عباده بعد أن تصي الحلائق فيسببهم شاة أخرى، ويبعثهم من قبورهم ويحوها، ليحاربهم على أعمالهم، ففي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم «ثُمَّ يُرْمَلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُزَلُّ اللَّهُ مَظَرًا كَأَنَّهُ الظِّلُّ أَوْ الظِّلُّ قَتَبَتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» (٢)

الحكمة من البعث

البعث من تمام عدل الله تعالى وحكمته، فلو ترك الناس سُدىً، لأبقت الفاجر من القصاص، ولاستوى الظالم والمظلوم، والقاسق والصالح، والمسلم والكافر، قال تعالى ﴿فَسَجِّلُ الْتَابِينَ لَكُلِّ مِنَّا كُفٌ فَتُكُونُ﴾ [القلم ٣٥، ٣٦]، وقال -

(١) سوره اعراف ج ١

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٤٠

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ حَلْقِي الْكَافِرِينَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [عامر ٥٧]،
وقال تعالى ﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَبْرَهُ شُكُّهُ ﴿٥٨﴾ لَئِنْ يَدْعُوهُ سُلَيْمَانُ مِنْ مَتْنِ يَتْنِ ﴿٥٩﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْفُهُ فَسْوَى
فَسْوَى ﴿٦٠﴾ لَحْلَ مِنْهُ الرُّوحَانِ الْمَذْكُورِ وَالْأَنْفِ ﴿٦١﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ ﴿[القيامة ٣٦-٤٠]﴾،
وقال تعالى ﴿يَبْنِيهَا الْإِنْسَانُ إِلَى كُفْرٍ فِي رَبِّهِ مِنْ أَلْحَثٍ فَلَمَّا حَقَّقْنَا كُفْرَكُمْ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ مِنْ
نُطْقِهِ ثُمَّ مِنْ حَلْقِهِ ثُمَّ مِنْ مُصْعِقِهِ لِيُخَفِّزَ ﴿[الحج ٦]﴾ وَإِنَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الْحُلَاثِ
قَالَ الْكَافِرُونَ ﴿يَبُولُوا مِنْ نَعَثَانِ مِنْ مَرْقَبَانِ﴾ [يس ٥٢]، فيرد المؤمنون. ﴿هَذَا مَا وَعَدَ
الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس ٥٢] وجاء في الصحيح أن نبينا محمد ﷺ هو أول
من تشق عنه الأرض، قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَشُقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ
وَأَوَّلُ شَايِعٍ وَأَوَّلُ مُشَقِّعٍ»^(١)

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٧٨

الحشر

معنى الحشر:

الحشر سوق الناس بعد بعثهم من القبور إلى الموقف، ينتظرون الحساب وحراء الأعمال. ويحشر الناس حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ وَلََّا مَرْؤَ﴾ [الأنعام ١٠٤]، وقال تعالى ﴿كَمَا بَدَأَ أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء ١٠٤]، وأول من يكسى بى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويصيب الناس من الهول وكرب الموقف وطوله ما يصيبهم، حتى إنهم يسمون الانصراف ولو إلى النار ويستثنى من ذلك الكرب الأسياء والشهداء ومن يطعمهم الله تحب ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في حديث السعة الدين يطعمهم الله تعالى وليس الناس في المحشر كلهم سواء، فمعهم من يكرم تكريم الوفود على الملوك، وهم المتقون، ومنهم من يحشر على وجهه، وهم الكفار، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا ۖ وَنَسُوقُ الْكَافِرِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِذَا﴾ [مريم ٨٥، ٨٦]، وقال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَنُكَاً وَصَمًا﴾ [الإسراء ٩٧]، وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ بِحَشْرٍ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان ٢٤]، وقد جاء في الصحيح أن رجلاً قال «يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ أَلَيْسَ أَلَدِي أَمْشَاءُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُنْشِبَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ قَتَادَةُ بَلَىٰ وَحِزَّةَ رَبِّنَا^(١) وجاء في الصحيح من حديث ابن عباس

(١) البخاري حديث رقم ٤٧٦٠

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، قَالَ «حَظَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاءَ عُرَاءَ عُرْلًا ، ثُمَّ قَالَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِندَنَا عَلَيْهَا إِنْئَا كُنَّا فَاعِلِينَ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ثُمَّ قَالَ أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ^(١)»

وفي الصحيح أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «تُحْشَرُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ عُرْلًا ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يُنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَقَالَ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَلِكَ^(٢) ، فلكل امرئ منهم يومئذ شأن بعينه وفي الصحيح قال ﷺ «إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَنْفَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا ، وَإِنَّهُ لَيَلْبُغُ إِلَى أَقْوَاءِ النَّاسِ أَوْ إِلَى أَدَانِهِمْ^(٣) ، وقال ﷺ «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ، قَالَ سَلِمٌ بْنُ عَامِرٍ قَوْلَ اللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَنْبَغِي بِالْمِيلِ أَمَّا قِافَةُ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تَكْتَحِلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَفَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِنْجَامًا . قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِصْبِهِ إِلَى يَدِهِ^(٤)»

وفي حديث ابن مسعود «إِنَّ الرِّجْلَ لَيُلْجِمُهُ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ يَا رَبِّ ارْحَمْنِي وَلَوْ إِلَى النَّارِ^(٥) ، وحيث يشعل كل أحد نفسه ولا يعي مولئ عن مولئ شَيْئًا وَلَا يَمْصُرُونَ ، فَتُغْهَبُ النَّصْرَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا وَالْإِحْتِمَاءُ دُنْجَاهُ وَالسُّطُوبُ ، وَتَقْطَعُ الْمَوَاصِلُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَالْمَوَدَّةُ ، وَالْحُلَّةُ وَالشَّفَاعَةُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَنَقَطَعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾ [القرة ١٦٦] ، وقال تعالى ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّهِمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُ﴾ [عن ٣٧]

(١) صحري حديث رقم ٤٦٢٥

(٢) صحري حديث رقم ٦٥٢٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٨٦٣

(٤) مسلم حديث رقم ٢٨٦٤

(٥) به الحفاظ في الفتح ١٨٥/١٤ إلى أبي يعلى ، قال وصححه ابن حبان

الشفاعة

الشفاعة

الشفاعة هي توحه نبيا محمد ﷺ إلى ربه لرفع الكرب عن العباد في المحشر بعد أن يظلموا انتظارهم لفصل القضاء، وكذلك توجهه ﷺ ودعاؤه ربه ليحرح المدسسين من أمته من النار، أو ليرفع درجة المتقين في الجنة

فيحب على المسلم أن يعتقد شوت الشفاعة لنبيا محمد ﷺ لوقوع الإذن بها في القرآن، والتصريح بها في السنة. قال تعالى ﴿عَمَّوْ أَنْ بَعَثْنَا رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء ٧٩]، وقال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَدْرَكَ لَهُ الرِّحْمَنُ وَرَحْمَةً لَمْ يُولَ﴾ [طه ٢٨]، وقال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ رَضَى وَهُمْ مِنْ حَشِيَّةٍ مُشْفَعُونَ﴾ [الأنبياء ٢٨]، وفي الصحيح قد ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»^(١)، وقد ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأَرِيدُ أَنْ أَخْتَبِي دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)

قد العلماء وقد بلغت الآثار الدالة على الشفاعة للمذنبين من هذه الأمة بسعت في مجموعها حد التواتر، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عيها، وأما قول الله تعالى ﴿فَمَا تَشْفَعُهُمْ إِلَّا أَنْ يَشْفَعَهُ الشَّعْبُ﴾ [المدثر ٤٨]^(٣)، وقوله تعالى

(١) مسلم حديث رقم ١٩٦

(٢) مسلم حديث رقم ١٩٨

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٥٧٣/١

﴿مَّا لِلطَّالِمِينَ مِنْ خَيْرٍ وَلَا سَعِيرٍ يُطَاعُ﴾ [غافر ١٨] (١)، فهو في الكفار، وليس للمؤمنين كما هو السيوف في الأتيين

والشفاعة أنواع كما ذكرها العلماء (٢) ودلت عليها الأحاديث

أولها شفاعة نبي محمد ﷺ لتخليص العباد من هول الموقف وهم يتطرون الحساب، حين تدور منهم الشمس ويكوبون في العروق على قدر أعمالهم، وهذه هي الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يحمله أهل الجمع كهم كما جاء في الصحيح، قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ بِي قَاك؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسَمُّهُمْ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ» (٣)، وَتَذْنُو الشَّمْسُ فَيَتَلُغُ النَّاسُ مِنَ النَّعْمِ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَمَا لَا يَخْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يُشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ اتَّوَا آدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ . . . ، ثم يأتون عدداً من الأسياء بعده، وكل يقول نفسى نفسى، إلى أن يقولوا . . . ادْعُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَعَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَلَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِداً لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَخَابِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالَ يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفِّعْ (٤)

الشفاعة الثانية إدخال قوم العجة بعير حساب، ويدل عليها قول النبي ﷺ: «أُعْطِيَتْ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قُلُوبِ رَحُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزِدْتُ رَبِّي ﷺ، فَرَأَيْتَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا» (٥)

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٣٩/٣

(٢) انظر شرح مسلم ٣٥/٣

(٣) أي يحيط بهم الناظر لا يعجز عنه منهم شيء لاستواء الأرض وعدم وجود ما يستترهم

(٤) مسلم حديث رقم ١٩٤

(٥) مسند أحمد حديث رقم ٢٣

الثالثة: الشفاعة لقوم استوحوا النار بذنوبهم، فلا يدخلونها بسبب شفاعة نبي محمد ﷺ، وتكون هذه الشفاعة لغيره من الأنبياء، وليس شاء الله من الملائكة أو غيرهم، ويدن عليها ما جاء في الصحيح «وَيُكَلِّمُ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(١)، وفي رواية «وَدَّعَوَى الرَّسُولُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(٢)، وفي حديث حابر عن النبي ﷺ «ومن زادت سيئاته على حسناته فذاك الذي أوبق نفسه، وإنما الشفاعة في مثله»^(٣)

الرابعة: الشفاعة لقوم من العصاة دخلوا النار، فيحرون منها شفاعة نبي محمد ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ففي الصحيح من حديث أس في الشفاعة، قال ﷺ «يَقَالُ لِي أَرْفَعُ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْظَمُ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَمْلِكُنِي ثُمَّ أَسْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَنِّي وَحَبَّ عَلَيْهِ الْخُلُودُ»^(٤) وفي الصحيح قال ﷺ «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمُّونَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»^(٥)، وأسعد الناس بهذه الشفاعة من كان أكمل إيمانًا من غيره.

ولا يهوب المسلم أن يدعو الله تعالى سائلًا شفاعة النبي ﷺ، وأن يدعوه الله تعالى بها الجنة، مع السعي والعمل الصالح والاجتهاد في العادة وطاعة الله ﷻ، حتى يكون أهلاً لهذه الشفاعة، ولا يجوز له التفريط والانتكال على الشفاعة، فإن ذلك من علامات الجدلان، ففي الصحيح قال ﷺ «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ»^(٦)، وقد قال ﷺ لابنته فاطمة أحب الناس إليه «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا»^(٧)

(١) مسلم حديث رقم ١٩٥

(٢) بخاري حديث رقم ٧٤٣٨

(٣) ذكره حافظ في فتح الباري ١٤، ١٩٤، وعراه ابن العثيمين

(٤) بخاري حديث رقم ١٥٦٥

(٥) بخاري حديث رقم ١٥٦٦

(٦) بخاري حديث رقم ١٥٧٠

(٧) البخاري حديث رقم ٢٧٥٣

العرض والحساب

الفرق بين العرض والحساب

المراد بالعرض عرض الأعمال على الله تعالى عندما يقف الناس في ساحة القضاء يوم القيامة، ليعترف كل أحد بذنوبه مع المسامحة والإعفاء، وعدم التقصي والحساب: المحاسبة في ذلك الموقف بالصغير والكبير من الأمور، والتقصي فيها وترك المسامحة، قال تعالى ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْزَوْنَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [القرة ٢٨١]، وقال تعالى ﴿وَقَفُّهُمْ بِهِمْ تَسْتَوُونَ﴾ [الصافات ٢٤]، وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة ١٧]، وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أَدْبَرَ كِبَافَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ﴾ [١٦] ﴿سَوْفَ نَدْعُوهُ نَذْرًا﴾ [١٧] ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الاشفاق ١٧]، وقال تعالى ﴿إِنَّكَ أَنتَ سَرِيعُ الْجَوَابِ﴾ [الاعرون ١٩٩]، قيل لعلي رضي الله تعالى عنه كيف يحاسب الله تعالى جميع الناس في وقت واحد؟ فقال كما يوزقهم في آن واحد يحاسبهم في آن واحد

حساب الكافر

يحدث بالكافر يوم القيامة، ويقال له «لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفندي به قال نعم، قال فقد سألتك ما هو آخرون من هذا»^(١)، ويأدي سائر من كان يعبد شيئاً فليستهم فليست من كان يعبد الشمس ويشتع من كان يعبد القمر ويشتع من كان يعبد

(١) البحاري حديث رقم ١٣٤

الطَّوَاعِيَّةُ»^(١)، وفي رواية أبي سعيد الخدري لهذا الحديث «فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَليِبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ إِلَهٍ مَعَ إِلَهِهِمْ»^(٢)، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسمِهِمْ﴾ [الإسراء ٧١]

ويوقف لكافر للحساب فيعرض عليه رثه عمله فيجحد، ويقول أي رب، وعرتك لقد كتب عني هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك أما علمت كذا في يوم كذا، في مكان كذا؟ فيقول لا وعرتك، أي رب ما عملته فإذا فعل ذلك وحده وحاصم بحسم الله تعالى على فيه، ويقال لأركانہ انطقی بعمله، وذلك قول الله تعالى ﴿الْيَوْمَ نَحْشُرُ عَلَىٰ أَوْثَانِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الْيَوْمَ فَهُمْ يَرَوْنَهُ ﴿٢١﴾ حَقًّا يَوْمَ جَاءَهُمْ شَهِدٌ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَخُبُرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَسْمُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِيْه تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت ٢١-٢٢]، ويشر له كذبه الذي لا يعاد صعيده ولا كبيرة إلا أحصاها، ويسأ بما قدم وأخر، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَسْأَلُهُمْ اللَّهُ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة ٦]، وقال تعالى ﴿وَرُويَ الْكُتُبِ فَزَيَّ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ بِمَا فِيهِمْ وَيَقُولُونَ يَوَيْتَ مَا هَذَا لَكِ كَتَبَ لَا يَدْرُ صَعِيدٌ وَلَا كَبِيرٌ إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَحَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا وَلَا يَطْفِئُ رُفْدُ أَحَدٍ﴾ [الكهف ٤٩]، ويُعطى الكفار كتب أعمالهم شمالهم أو من وراء ظهورهم، ويساقون جميعاً وما يعدون من دود الله إلى النار، قال تعالى ﴿يَتَكَبَّرُونَ وَمَا يُعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُّوكُمْ﴾ [الأنبياء ٩٨]، وقال تعالى عن فرعون وقومه ﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا زَرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَنَسَّ الْأَوْرَدُ الْمَوْزُودُ﴾ [هود ٩٨]

تمييز المؤمن من المنافق في المحشر

إذا ذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، ولم يسر إلا من بعد الله من بر أو فاجر كما جاء في حديث أبي سعيد المتقدم «فَيَقَالُ لَهُمْ مَا يَخْبِيكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟» فيقولون ... وَإِنَّا سَمِعْنَا مَنَاجِيًا يَنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَتَنَظَّرُ رَيْتًا قَالَ قِيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا

(١) سعدي حديث رقم ٦٥٧٤

(٢) سعدي حديث رقم ٧٤٤٠

أَوَّلَ مَرَّةٍ يَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ يَقُولُونَ أَنْتَ رَبَّنَا فَلَا يَكْلَمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ يَقُولُ هَلْ يَسْكُمُ وَيَسْتَعِ
 آيَةً تَعْرِفُونَهُ؟ يَقُولُونَ السَّاقِ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ
 لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمَمَةً فَيَنْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاجِدًا^(١)، وفي ذلك يقول الله
 تعالى ﴿يَوْمَ تُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الْقلم ٤٢]، وحسب دفع
 الكرب والشدة على المصافقين الذين عجزوا عن السجود فلا يستطيعونه، ويروى
 الحوف والهول الذي أحده المؤمنين حتى غابوا عن رؤية عوراتهم، وإسما امتحن الناس
 في هذا الموقف بالسجود ليعتبر المؤمن من المصافق

وفي هذا الموقف تبيض وجوه وتسود وجوه ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
 اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَارْكَبُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [وَأَمَّا الَّذِينَ بَيَضَتْ
 وُجُوهُهُمْ فَبِهِ رَحْمَةٌ أَفَلَوْ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] [آل عمران ١٠٦، ١٠٧]، ويقال للمؤمنين الذين
 أحسنوا طاعتهم لله تعالى في الدنيا، وأقدرهم الله على السجود في ذلك الموقف
 يقال لهم «ارفعوا رءوسكم إلى نوركم بقدر أعمالكم، فيعطون نورهم بقدر
 أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل، ودون ذلك، ومثل الحبة، ودون ذلك،
 حتى يكون حرهم من يعطى نوره على قدر إيمانهم، ثم يطفأ نور المصافق^٢، ثم
 ينتقلون إلى منزل آخر وتعشى الناس الظلمة، فيقول المصافقون لئدينا اسوا ﴿تَسْرُونَا
 نَفْسٍ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾، فيقال لهم ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فيرجعون إلى المكان الذي
 قُسم فيه النور فلا يجدون شيئاً، ويجدون أنفسهم قد صرب بينهم سور، قال تعالى
 ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْرِفُونَ وَالْمُسْرِفَاتُ لَئِذَا كُنَّا أَشْرَارًا نَفْسٍ مِنْ نَفْسِكُمْ قِيلَ رَجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
 فَصُرِبَ بَنَهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْتِ بِطَنٍّ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرُ مِنْ فَبَيْنَ الْعَذَابِ ﴿١٢﴾ سَادُّوهُمْ أَنْتُمْ تَكُنْ مَعَكُمْ
 قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَّا فَتَمَّ الْأَمْسَكُ﴾ [التحيد ١٣]

كيفية الحساب وإحصاء الأعمال

بعد إحصاء الأعمال تخرج للناس الكتب التي حفظت فيها الملائكة أعمال العباد،
 ومسحبت فيها لسيئات والحسابات، كما قال تعالى ﴿يَا سَيِّدُ مِنْ قَوْلٍ لَا تَعْبُدْ رَقَبًا

(١) صحري حديث رقم ٧٤٤٠ - الحافظ في صحيح الشاذلي وفي الحديث دلل على أن المؤمنين أو منهم من
 يذهب أول ما حشرو - صحيح الشاذلي شرح حديث رقم ٧٤٤٠

(٢) حداكم في حديثك ٣٧١/٢ وهو حديث صحيح وأيضاً صحيح مسلم ١٧٨

١ قوم يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء في الصحيح قال ﷺ «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْرِقُونَ وَلَا يَنْطَرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١)، وسهم من يدخل الجنة بغير حساب بشفاعته النبي ﷺ كما تقدم في الشفاعة^(٢) اللهم اجعلنا منهم

٢ قوم يحاسبون حسابًا يسيرًا، وهم الذين يُعرضون على ربهم فيعرفهم بدوابهم فيعرفونها، فيتجاوز لهم عنها، وهؤلاء هم الذين يعطون كتابهم يمينهم، ففي الصحيح قال ﷺ «يَذْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَفَّهُ عَلَيْهِ، يَقُولُ أَعْمَلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ يَقُولُ نَعَمْ، وَيَقُولُ عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ يَقُولُ نَعَمْ، فَيَقَرُّهُ ثُمَّ يَقُولُ إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»^(٣)

٣ من كثرت معاصيه وحاهر بها ولم يتب، وأوتى كتابه شماته، فهو الذي ساقشه الباري الحساب، ومن يوقش الحساب عذب، ففي الصحيح قالت قالت قال رسول الله ﷺ «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَمَا تَمَّ أَرْوَكَ كِتَابُ يَمِينِهِ * قَوِّفْ بِحَسَابٍ يَسِيرًا﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّمَا ذَلِكَ الْغَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ»^(٤)، وفي حديث حابر عن النبي ﷺ «مَنْ زَادَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَذَاكَ الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَمَنْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، فَذَاكَ الَّذِي يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ زَادَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَذَاكَ الَّذِي أُوْبِقَ نَفْسُهُ»^(٥)

(١) مسند حديث رقم ٢١٨

(٢) صحيح بخاري ٧٥١٠

(٣) بخاري حديث رقم ٧٥١٤، والكشف الر

(٤) بخاري حديث رقم ٦٥٣٧

(٥) به الحفاظ في فتح الباري ١٩٤/١٤ إلى الحاكم

الميزان

إتماماً لما وعد الله تعالى به من العدل وإحقاق الحق على أكمل الوجوه بسبب الميزان يوم القيامة لوزن الأعمال، إذ لا أحد أحمث إليه العذر من الله، ولذلك أرسل الرسل كما جاء في الحديث^(١) وهو ميزان حقيقي، له كفتان كما دلت الأحاديث، حيث يحول الله تعالى الأعمال إلى شيء محسوس، له ثقل، وتوضع الحسرات في كفة، والسيئات في كفة أخرى، فمن ثقلت كفة حسناته أفصح ونجا، ومن ثقلت كفة سيئاته حاب وحسر، قال تعالى ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩٠) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَفَانِتُونَ بِطَائِفَةٍ [الأعراف ٩، ٨]، وقال تعالى ﴿وَصَحَّحَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَّيَدٌ كَتَابٌ وَثَقَالٌ خَبَرٌ مِّنْ حَرَدٍ لَّيْسَ بِنَسَا حَسِيْبٍ﴾^(٢) [الأنبياء ٤٧]

وورد في لوقا بالمؤمن عند الميزان أحاديث، منها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْعَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُثَرُّ عَلَيْهِ نَسْعَةٌ وَتَسْمِينٌ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ يَقُولُ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ أَفَلَمْ تُعَذِّبْ؟ يَقُولُ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا تَطْلُمُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

(١) أي لا يؤخذ إلا بعد إتمامه الجمعه، انظر فتح الباري ١٧/١٧١

(٢) وأكثر حساء على أنه ميزان واحد وإنما جمع في الآية (موازين) لتعدد لأعمال لم يؤد به

فَيَقُولُ اخْضُرْ وَزَيْنَكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السُّجُلَاتِ، فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُنْظِمُ، قَالَ فَتَوَضَّعُ السُّجُلَاتُ فِي كَفِّهِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفِّهِ، فَطَاشَتْ السُّجُلَاتُ وَتَقَدَّتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللّهِ شَيْءٌ^(١)

(١) مسنن الترمذي حديث رقم ٢٦٣٩

الحوض

قال القاضي عياض «مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به، أن الله ﷻ قد حصن نبياً محمداً ﷺ بالحوض المصروح باسمه وصفته وشرائه في الأحاديث الصحيحة المشهورة، التي يحصل مجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من أصحابه أريد من ثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك، مما صح نقله، واشتهرت روايته»^(١)، فقد قال الله تعالى لنبينا ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر ١]، والكوثر نهر في الجنة، وماء الحوض ممتد منه، والظاهر أن الحوض في عرصات القيامة بعد الحساب، وقبل بعد الصراط، فقد جاء في الحديث «لَيَرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَغْرَفْتُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِغَدِّكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ عَيَّرَ بَعْدِي»^(٢) وفي رواية «يَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَخَذْتُوا بِغَدِّكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمْ»^(٣)، قال

(١) أنكر جورج وسميحه الحوض وتسموا في تاويل الأحاديث الصحيحة على غير ظاهرهما، وهم معجوجون بسيف النبوة على اثبات الحوض وحمله على ظاهره، وذلك بإجماع السلف وأهل له من خلف ومن كان يكره عبد الله بن رباب وند رباب بن أمه، أحد ولاية العراق، وقد دخل عليه أبو برة الأسدي فقال له هل سمعت رسول الله ﷺ ذكره شيئاً يعني الحوض، فقال أبو برة نعم، لا مرة، ولا مرتين ولا ثلاثاً، ولا أربعاً ولا خمساً فمن كذب به فلا سفاهة له، من صحح لي ١٤ ٢٦٣

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ٦٥٨٥

العماء ومثل هؤلاء لا يجاورون الصراط، فدل على أن العرض على الحوص يكون
 قل الصراط^(١)

صفة الحوض

ورد في الصحيح عن النبي ﷺ «حَوْضِي مَبِيرَةُ شَهْرِ مَاءٍ أَيْتُضُّ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ
 أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكَيْرَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٢)، وماءه يأتيه
 من نهر الكوثر في الجنة جاء في الصحيح عن أسر من مائلك، قال «سُئِلَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ دَتَ يَوْمَ يَسُ أَظْهَرُهَا إِذْ أُغْفَى إِعْفَاءٌ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُسْتَمًا فَقُلْتُ مَا أَضْحَكُكَ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أَتُرِلْتُ عَلَى انْفَا سُورَةَ فَقَرَأَ سَمِ اللَّهَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿إِنَّا
 أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاتَّخِذْ ٢ إِنَّكَ شَاغِلٌ هُوَ الْآخِرُ﴾ ثُمَّ قَالَ
 أَتَذَرُونِ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَبَنَى نَهْرٌ وَعَدِيهِ رَنَى ﷺ عَلَيْهِ حَيْرٌ
 كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ابْنَةُ عَدُوِّ النَّجُومِ فَيُحْتَلَجُّ الْعِنْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ
 دَتَ إِنَّهُ مِنْ أُمْنِي، يَقُولُ مَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُ بَعْدَكَ»^(٣)

ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وأول من يرده نبيا محمد ﷺ كما جاء
 في الصحيح «إِنِّي قَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ
 أَبَدًا»^(٤)

ويُطْرَدُ عن لحوص العصاة وأهل الكائن، ويأديهم رسول الله ﷺ، فيقال له
 لا تدري ما أحدثوا بعدك، إياهم بدلوا وعيروا فبئس ما هم، ويقول ألا سحقاً سحقاً

(١) نظر سذكره ص ٣٠٢ والمعهده المطبوعه ص ٢٥٢

(٢) سحدي حديث رقم ٦٥٧٩

(٣) مسلم حديث رقم ٤٠٠، ويصحح أي تحليه الملائكة وتمنعه من ورود الحوص

(٤) البحاري حديث رقم ٦٥٨٥، والفرط الذي يس

الصراط

الإيمان به وصفته

الصراط - الجسر المصنوب على جهنم لعبور المسلمين منه إلى الجنة، ومنه يسقط أهل النار في النار

والصراط مما يجب الإيمان به، لما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة، قال الله تعالى ﴿وَلَدُ تَكْوَرٍ ۖ لَا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رِجْلِكَ حَتَّىٰ مَقْعَدُهَا﴾ [مريم ٧١]، فالورود المذكور في الآية هو المرور على الصراط، كما يفهم من الحديث الوارد في الصحيح، قال ﷺ «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا قَالَتْ بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاَنْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ ثُمَّ تُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا»^(١)

قال كثير من المفسرين المراد بالورود مرور المسلمين على الجسر بين طهريتهما، وورود المشركين أن يدخلوها وفي الصحيح قال ﷺ «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُلْدِ فَيَلِجَ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةُ الْقَسَمِ»^(٢)، يعنى الورود قال الزهري كأنه يريد هذه الآية ﴿وَلَدُ تَكْوَرٍ ۖ لَا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رِجْلِكَ حَتَّىٰ مَقْعَدُهَا﴾

وقد جاء في الصراط وصفته أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما، من ذلك

(١) مسلم حديث رقم ٢٤٩٦

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٣٢ وانظر تفسير ابن كثير ١٣٣/٣

حديث أبي سعيد المتقدم، وفيه • ثُمَّ يَأْتِي بِالْجَنَرِ فَيُخْفِلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ
فَمَا بَا دُشُوا اللَّهُ وَمَا الْجَنَرُ؟ قَالَ مَذْحِجَةٌ مَرَّةً عِنْدَهُ حَطَاطِيْفٌ وَكَلَالِيْبٌ وَحَسَكَةٌ
مُعْلَطَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيْقَاءُ^(١١) وَهِيَ رَوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ • وَهِيَ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ
شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا بَعَمْ، قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ
غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَغْنَمُ قَدْرَ عَظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ تَحْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ^(١٢)، • الْمُؤْمِنُ عِنْدَهَا
كَالْظُرْفِ وَكَالْبُرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالْحَاوِيْدِ الْحَيْلِ وَالرَّكَابِ فَجَاحٌ مُسْتَمٌّ وَدَاحٍ مُخْدُوشٌ
وَمُكْدُوشٌ فِي بَدَنِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ أَحْرَهُمْ يُسْحَبُ سَحَابًا^(١٣)

والمرود على الصراط عام لكل أحد حتى الأسياء، ففي الصحيح من حديث
أبي هريرة المتقدم • وَيَضْرِبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَسْفَلَ وَأَمْسِي أَوَّلَ مَنْ
يُحْيَرُهَا وَلَا يَكَلِّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعَاؤُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَنِّمْ سَنِّمْ^(١٤)

القصاص من المظالم

يُحَسِّنُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ قِطْرَةٍ، قَبْلَ هِيَ الصَّرَاطُ، وَقَبْلَ قِطْرَةٍ أُخْرَى عِنْدَ
الصَّرَاطِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَنْقَاضُوا الْمَظَالِمَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَنْظُمَ، فِي
الصَّحِيحِ قَالَهُ ﷺ «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجْبُونَ عَلَى قِطْرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
فَيَقْصُرُ لِيَنْقُصَهُمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هَذَّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي
دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا أَحْلَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ
فِي الدُّنْيَا»^(١٥) وَهِيَ رَوَايَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ
فِيمَا مِنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ
وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا،
فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُتِنَ مِنْ حَسَنَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ
مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١٦) وَإِذَا مَرَّ النَّاسُ عَلَى الصَّرَاطِ، وَسَقَطَ

(١١) صحدي حديث رقم ٧٤٤٠

(١٢) صحدي حديث رقم ٦٥٧٤

(١٣) صحدي حديث رقم ٧٤٤٠

(١٤) صحدي حديث رقم ٧٤٣٨

(١٥) صحدي حديث رقم ٦٥٣٥

(١٦) مسلم حديث رقم ٢٥٨١

في النار من سقط فيها من الكفار والعصاة، معجى الله تعالى بعد ذلك المؤمنين بعد
 أن يسوفوا، الجراء على حسب أعمالهم، أو يخرجون منها شفاعاة من يشفع فيهم من
 الملائكة والسيين وإخوانهم المؤمنين^(١)

(١) بطر تفسير بر كثير ١٣٤/٣

[الرمل ١٦] وقد تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ طُلُقًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ
نَارًا زُسْفًا وَسُوءُ مَا يَصِفُونَ﴾ [النساء ١٠]

وحرر بهم ليس مثل نار الدنيا، بل يريد عليها أصعافاً كثيرة، فهي الصحيح
قد ﴿فَنَارُكُمْ خُزَّةٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ
لِكَايَةِ، قَالَ فَضَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِشَعَةِ وَبِشِينَ جُزْءًا كُلُّهُمْ مِنْ خَرَّهَا»^(١)

وكما أن في الجنة من العيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب
شر، فإن في النار من الأهوال وأصناف العذاب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ففيها
سلاسل وأغلال ومقامع من حديد وطعام من عسلير، وطعام دو عصة، قال
تعالى ﴿إِنَّ لَدُنَّا أُنْكَالًا وَجَحِمًا﴾ [١٧] وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الرمل ١٢، ١٣]،

وقد تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ [٢٢] طَعَامُ الْآلِيمِ﴾ [٢٣] كَأَلْمُهِمْ يَغْلِي فِي كُطُوبِ
﴿كَعَلَى آخِمْ﴾ [٢٤] حُدُودَهُ فَاسْعَوْا إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَجِيمِ﴾ [الدخان ٤٧]، وقد تعالى
﴿فُطِمَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ نَحِيمٌ﴾ [٢٥] يُصْهَرُ بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَيُخْلَوْدُ﴾ [٢٦] وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج ١٩، ٢١]، وقال تعالى ﴿حُدُودُ صُدُوءِ﴾ [٢٧] نَرْ
الْحَجِيمِ صُدُوءِ﴾ [٢٨] نَرْ فِي يَسْلَفَ دَرْعًا سَبْعُونَ دَرْعًا فَاسْلُكُوا﴾ [الحاقة ٣٠-٣٢]

وفي الصحيح قال ﷺ «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَىٰ أَخْمَصِ
قَدَمَيْهِ حُمُرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا وَمَاخُهُ كَمَا يَغْلِي الْبُرْجُلُ وَالْقَنْعَمُ»^(٢)

وفي الصحيح قال ﷺ «يَقُولُ اللَّهُ -تعالى- لَأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَقْنِدي بِهِ؟ يَقُولُ نَعَمْ، يَقُولُ أَرَدْتُ مِنْكَ
أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبٍ لَدَمْ أَنْ لَا تُفْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَيَّتَ إِلَّا أَنْ تُفْرِكَ بِي»^(٣)

النار لا تغني ولا ينقطع عذابها

كما أن العيم لا ينقطع، وكذلك عذاب النار لا ينقطع عمر جعل الله مصيره إلى
النار يعود إليه منه، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا تَقْصَىٰ عَلَيْهِمْ
فَيَسْأَلُونَ وَلَا يُجِيبُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاثِبٍ﴾ [فاطر ٣٦]، وفي منتهى فيها

(١) مسند أبي حنيفة رقم ٢٢٦٥

(٢) مسند أبي حنيفة رقم ١٥٦٢

(٣) مسند أبي حنيفة رقم ١٥٥٧

عنى الدوم بلا موت، ولا حياة نافعة، ولا راحة، قال تعالى ﴿وَدُّدُوا نَفْسَهُ يَنْفُسَ عَذَابًا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكَ مَكِينٌ﴾ [الزحرف ٧٧]، وقال تعالى ﴿كُنْتُمْ أَزْوَاجًا لَّا تَعْرِفُونَ نَفْسًا مِنْ عَمَلٍ أَعْتَبْتُمْ فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْفَرِيقِ﴾ [الحج ٢٢] وقال تعالى ﴿كُلًّا نَبْصُتْ جُلُودَهُمْ نَبْذَلْنَهُمْ حُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ٥٦]

قال العلماء^(١)، وهذا في أهل النار من الكفرة، أما العصاة فيعذبون، وبعد ذلك يموتون، وقد تختلف أحوالهم في طول العذاب بحسب آثامهم ومعاصيهم، ويدل لذلك ما جاء في الصحيح، قال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِي مِنْ قَالٍ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ قَدْ امْتَحَشُوا وَعَادُوا حُمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ فَيَسْبِغُونَ كَمَا تَبْتَ الثَّجَّةُ فِي حَبْلِ السِّلِ»^(٢)

صفة أهل الجنة وأهل النار

نُصِّبَ في الكتاب والسنة على وجه اليقين، أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الموافقة على الإيمان موصل إلى الجنة، وأن الكفر والمعاصي واتسع الهوى والضلال، موصل إلى عذاب الله تعالى في النار

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة ١٩٧]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة ١٩٧]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة ١٩٧]، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة ١٩٧]

وفي الصحيح قال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ حُلٍّ جَوَاطٍ مُتَكَبِّرٍ»^(٣)، وفي رواية «كُلُّ جَوَاطٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ»^(٤)

(١) نظر سذكره ص ٤١٥

(٢) البخاري حديث رقم ٦٥٦٠، وامتحنوا احترقوا وصاروا فحشا

(٣) البخاري ٤٩١٨

(٤) مسلم حديث رقم ٢٨٥٣، والنسب الحاقلي اعط الشاذ في الحصوصه بالاطل، والمحوط العنصر لمصر

محدث، وروى في النسب الطلح بالثبوت وليس مهم

والمراد بالضعف ليس ضعف العزيمة أو القوة البدنية، فإن المؤمن القوي حير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف كما جاء في الحديث^(١)، وإنما المراد رقة القلب ولبه، وإحاطته وحشوعه لله ﷻ وفي الصحيح قال ﷺ «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ»^(٢)

وفي الصحيح قال ﷺ «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ مِيَاهٌ كَأَنَّابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنَاءٌ كَأَنَّابَاتٍ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْهُمٍ الْبُخْبُ الْمَائِلَةُ لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدَنَّ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا»^(٣)

(١) مسلم حديث رقم ٢٦٦٤

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٢٢ ومعى (لو أقسم على الله لأبره) لو حلف يميناً طمأن في كرمه لله تعالى بأبره لأبره (ومدفع بالأبواب) أي لا يوجد له إذا أراد الدخول لعدم وجاهته عند الناس، نظر شرح صحيح مسلم ١٧ ١٨٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٦٢٨ و(كاسات عاريات) تسر بعض بدنها وتكشف بعضه، أو تسره بناسر من يصف ما تحته اظهاراً له ونحوه وهي كاسه عارية، و(رؤوسهن كأسهم السحاب) تعظم شعورهن وتكريمه حتى يشه في ارتفاعه سام البحر، يلفش بذلك الاساء

الجنة

الجنة موحدة الآن حلقها الله تعالى وأعدّها للمتقين، يدل على ذلكصوص
القرآن والأحاديث الصحيحة، قال الله تعالى ﴿وَسَيُرَوَّىٰ إِلَيْكَ مَعِيرَةٌ مِّن رَّبِّكَمْ
وَحَتَّىٰ عَرَّضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [ال عمران ١٣٣]، وقال تعالى
﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَعِيرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَحَتَّىٰ عَرَّضَهَا كَعَرَّضَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد ٢١]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ رَاَهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣٤﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٣٥﴾
عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [التجم ١٣-١٥] وقد رأى النبي ﷺ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ ورأى عده حنة
الماوى ليلة المعراج، وفي الصحيح من حديث أسد قال قال ﷺ ﴿ثُمَّ انْطَلَقَ
بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ نَاقَنِي سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ فَفَنِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَذْرِى مَا هِيَ قَالَ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ
فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّيْلِ وَإِذَا تَرَاتِبُهَا النَّوْءُ﴾^(١) وفي الصحيح، قال رسول الله ﷺ
«إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ يَقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(٢)، وفي الصحيح من حديث الكسوف «... قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَكَ
تَنَاولْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْتَكَ تَكْنُكَمَتِ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرَيْتُ الْجَنَّةَ
فَتَنَاولْتُ مِنْهَا حُقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَثَ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ
مَنْظَرًا نَّظًّا»^(٣)

(١) مسلم ١١٣

(٢) سنن أبي داود ٣٢٤٠

(٣) سنن أبي داود ٥١٩٧

يُسْتَوْنَ مِثْلًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَوْنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(١)، قال تعالى ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذُوا فَتُنَادُوا لَهُمْ عَسَىٰ أُنَالَهُمْ^(٢)﴾ عَلَيْهِمُ ثَلَاثُ سُدُورٍ حَصْرٌ وَتَسْتَرْقُ وَهَلْوَ أَسَاوِرٌ مِنْ يَصْمُرٍ وَنَسَفُهُمْ رِثْمُهُمْ شَرَابًا طَهُورٌ^(٣)﴾ [الإنسان ٢٠، ٢١]، وقال تعالى ﴿وَأَصْحَابُ آيِي مَا أَصْحَابُ آيِي^(٤)﴾ فِي سِدْرٍ مَحْشُورٍ^(٥) وَطَلْحٍ مِصْرٍ^(٦) وَطَلْحٍ مَدُونٍ^(٧) وَمَا مَسْكُوبٍ^(٨) وَمَكْهَرٌ كَيْفَرٍ^(٩) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْرُوعَةٍ^(١٠) وَثَرْنِي مَرْوَعٍ^(١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا^(١٢) أَتْلَاكَ^(١٣) عُرَا كَرَامًا^(١٤) لَأَصْحَابِ آيِي^(١٥) [الواقعة ٢٧-٣٨]

وما أعطيه أهل الجنة من النعيم والطعام والشراب والذهب والحرير وأنواع الفاكهة والفُرَش، ليس شيء منه يشبه ما في الدنيا، والتشابه ليس إلا في الأسماء فقط، تقريباً للأفهام وصرحاً للأمثال، وتوصيلاً للمعاني بما يعقل الناس ودرجوا عليه من الألفاظ، وإلا فليس بين فاكهة الجنة وفاكهة الدنيا من شبه في النذة والتعم، ولا بين لبها وعسلها وحمرها، وعسل الدنيا ولنهارها وحمرها مقارنة أو شبه

وفي الجنة شيء آخر أحب إلى أهل الجنة من نعيم الجنة، وهو رصود ربهم عنهم، وطرهم إلى وجهه الكريم، ففي الصحيح من حديث صهيب، قال قال ﷺ «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ نَبْضُ وَحُومًا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ فَيَكْثِفُ الْجَنَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ^(١)»، ثم تلا قوله تعالى ﴿يَلْبِسُ أَحْسَنَ لِبَاسٍ وَرِيَادَةً﴾ [يوسف ٢٦]

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه، قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ لَيْسَ رَبَّنَا وَنَعْمَ لَكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَمُطْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ أَجَلَ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا^(٢)»، حسب الله من أهل الجنة والرصود نعمة وكرمه، وأعادنا من سطحه والشار

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٣٨

(٢) مسلم حديث رقم ١٨١

(٣) سعدى حديث رقم ١٥٤٩

أولاد المسلمين وأولاد المشركين

ذكر غير واحد من العلماء الإجماع على أن من مات من أولاد المسلمين قبل النبوة فهو في الجنة^(١)، لأنه غير مكلف، ولما جاء في الصحيح من حديث سمرة في الرؤيا: «وَمَا الرَّحْلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوَصَةِ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَأُمُّ الْوَلَدَانِ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(٢)

واحسب أقوال العلماء في ما يكون عليه حال أولاد المشركين^(٣)، فمنهم من قال: إنهم في مشيئة الله تعالى، لا يعرف مصيرهم، لما جاء في الصحيح «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: اللَّهُ إِذَا حَلَقَهُمْ أَغْنَمَ بِنَا كُنُوا غَنِيمِينَ»^(٤) والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، لقوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتِمْ رَبِّي دَرَجَةً﴾ [الإسراء: ١٠]، قال الحافظ في فتح الباري: «وإذا كان لا بعد العاقل لكونه لم تلعه الدعوة، فلا لا يعذب غير العاقل من مات أولياً»^(٥)، ولحدث سمرة المتقدم، فقد جاء فيه: «فَقَالَ نَعَصَ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»^(٦)، أي مع الولدان الذين هم حول سيدنا إبراهيم ﷺ

(١) انظر شرح مسلم ٢٠٧/١٦

(٢) البخاري حديث رقم ٧٠٤٧

(٣) انظر فتح الباري ٤٨٩/٣

(٤) البخاري حديث رقم ١٣٨٣

(٥) فتح باري ٤٩٠/٣

(٦) حديث رقم ٧٠٤٧

أهل الفترة

المراد بهم من عاشوا في المدة الواقعة بين بعثة نبي من أنبياء الله تعالى ، فكذبوا على فترة من الرسل ، ويدخل فيهم عرب الجاهلية في الجزيرة العربية قبل أن يُبعث إليهم نبي محمد ﷺ ، وكان منهم حنفاء على دين إبراهيم ﷺ ، كورقة بن نوفل ، وعمر بن عتبة ، وزيد بن عمرو بن نفيل

وأهل الفترة في حملتهم إلا من عصمه الله كانوا في ضلال بعيد في العقيدة ، وضلال في الأفعال والسلوك ، الشرك بالله وعادة الأوثان ، وشرب الخمر ، ووأد البنات والصعلكة والافتراء من العارات ، وكان في كل أمة منهم بالإضافة إلى الشرك بالله حسياسة في السلوك اشتبهوا بها ، أراد الله ﷻ إصلاحها وتحبصهم منها بمن بعث إليهم من الرسل ، كتيان الفاحشة في قوم لوط ، وتطيف المكيال والميراث في آل مدبر ، ووأد بنات عبد العرب لكن من كمال عدل الله ورحمته بعده أنه لا يحاسب عباده قبل إقامة الحجة عليهم ، ولا يعذبهم قبل أن يدرهم ويحذرهم ، ويسر لهم الشرائع ، ويرسل إليهم الرسل ، وإن كان فعلهم قبل ذلك يوصف بالقبح ، وبالوحشة ، وبالمسكر ، شرعاً وعقلاً ، ولكن لا لوم عليهم ، ولا عقاب عنى ما فعلوه قبل أن يبعث إليهم الرسول ، فإن العقل يدرك في كل فعل حساً وقبحاً ضرورة ، لكن لا عقاب عليه إلا بالشرع وإرسال الرسل ، قال الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٥] ، وقال ﷻ ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٥] ، وقال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا رَبُّكَ مُهْلِكًا لِّفُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا لِّتُلْوَ عَلَيْهِمْ عَاقِبَةً﴾ [القصص ٥٩]

فمن كان في دابة من الأرض لم تلعه دعوة الإسلام ، أو كان حدث عهد به ، لم يصبه منه ما يصحح الإيمان ، فهو معذور حتى يبلعه الأمر ، وتقام عليه الحجة

الباب الثاني

في السلوك

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

الإيمان والمفاهيم الخاطئة

عزل الإيمان عن السلوك

من المفاهيم الخاطئة التي أحدثت في علم الكلام، ولم يكن لسلف الصالح بها عهد، فصل العمل عن الإيمان، كانوا لا يعرفون الإيمان إلا بالعمل، ومن قصر عندهم في العمل قصر في الإيمان، فكانوا يحشون من نقص العمل نقص الإيمان، وكان لهذا الفهم الصحيح تأثير إيجابي على حياتهم في العهد الأول؛ لأن من خاف نقص الإيمان بنقص العمل شمر على العمل، ولم يتهاون في الطلب، لأن نقص العمل، لنقص يذهب بالإيمان كله، فلا يبقى له أصل ولا فرع، لذا كانت هممتهم معالي الأمور وتحصيل الأعمال النافعة في كل وجوه الحياة، فملكوا الدنيا شرقاً وغرباً، وأسسوا دولته اتّوحيده وأقاموا العدل، ومكن الله لديهم في الأرض، وأبدلهم من بعد حورفهم أمناً، فصلحت بهم الدنيا وصلاح بهم الدين

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي عامله على الحرية «إِنَّ لِلْإِيمَانِ قَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُتَاتًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَحْبَبَ قَسَّيْتُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمِيتَ نَمَّا أَمَا عَلَيَّ ضَعْفَتُكُمْ بِعَرِيصٍ»^(١)

ثم تكل المسلمون في العرون المتأخرة عصور التحلف إلى ما أحدث من الفهم الخاطئ في الفصل بين الإيمان والعمل الصالح، الذي هو أشبه بدعوة فصل الدين عن الحياة، وذلك على خلاف ما تضافرت عليه آيات القرآن ونطقت به، من اقتران الإيمان بالعمل، وصورت كتب الكلام أن الحلاف في هذه المسألة وهي هل لعمل

(١) لبحري، كتاب الإيمان، باب في الإسلام على خمس

الصالح من الإيمان؟ من قَبِلَ الحلاف المظني^(١)، فرجعوا على أعقابهم القهقري، فقهرتهم الأمم، ولم تستقم لهم الدنيا، ولم يستقم لهم الدين

أحلد عامة المسلمين اليوم إلى الاعتقاد السائد أن المكلف لا يزال مؤمناً، مهما عمل من معاصي، وأظهر من فساد، ومهما فرط في حق الله وحق العباد، حتى صار المسم بدلت لا يختلف عن غير المسلم في ارتكاب الموبقات والمحرمات، وفي الإعراض عما كلفه به ربه من العادات يترك الفرائض، ويرتكب المعاصي والمحالقات، يأكل الربا ويأتي الزنا، ويتعدى ويظلم، ويكذب ويغش، ويتكلم بالكلمة الكبيرة في الدين لا يلدي ما هي دون حسيب من نفسه أو رقيب

قصر عامة الناس دور الإيمان في النفوس على المساجد، وأخرجوه من مائر مراق الحياة الأخرى في السلوك والتعامل، وما أكثر ما فيها من فرائض، فليس للإيمان أثر يذكر في التجارة والأسواق، ولا في السفر والرحلات، ولا في السباحة والصيد، ولا في الطب والعلاج والمستشفيات، ولا في الجامعات ومعاهد العلم، ولا في الإدارات والأعمال والوظائف، ولا في الحركة اليومية من حياة الناس

التجارة والمكاسب

في الحارات صفقات محرمة، وعقود فاسدة، وقروض ربوية يسمونها (تسهيلات) من تسمية الشيء بضده، وذلك من تلاعب الشيطان، قليل يتورع، وغالب الناس لا يسأل أبداً، أو يسأل بعد إتمام الصفقة، ونسبة كبيرة من الناس تقف أمام العقود المشوهة شرعاً، المعربة بعروضها طعناً، في مفرق طرق، القلب غير مطمئن والإعراء بلعج، والقناوي متصارعة، وسهولة بذلها من أهل العلم عنى الهوى في المسامحة، وذلك من علامات الساعة وقلة العلم، والمسائل يسأل عن المنشأ، لا ليكشف ويتورع، كما يصح رسول الله ﷺ الأمة «فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ»^(٢)، و«دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٣)، وإنما ليحط عن كدهه المسئولية، ويضعها على كاهل العالم، فيتحذه جسراً

(١) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٠٨/١

(٢) البخاري حديث رقم ٥٢

(٣) الترمذي حديث رقم ٢٥١٨

المال والتعامل

إذا أردت أن تعلم محل الإيمان في قلوب الناس، فلا تنظر إلى رحمتهم على أبواب المساجد، وأماكن المناسك، حجاجًا وعمارًا، وبكائهم وصحيجهم، ولكن انظر إلى تعاملهم بالمال، وإصافهم غيرهم من أنفسهم إذا راحمهم أو جاورهم، أو شاركهم، أو باعهم. التعامل محك يختبر به إيمان المسلم وورعه، ووقوفه عند حدود الله تعالى، وأقوى أنواع التعامل في احتار معادن الناس ودينتهم التعامل بالمال، فالمدل شقيق الروح، وفيه إعراء وإعواء، يصعب معه على صعيد الدين النصبة، وترك ما ليس له، ما دام يقدر عليه ولو بالاحتياال والعش، أو القهر والعدة، والديار والدرهم بقمك على حقيقة الرجال، ولذلك كانوا يقولون اختبروهم بالمروش والمقوش، فقد تجد الرجل يصلي ويصوم ويحج، ويعجبك مظهره ومسه، فإذا ما حالطته في المال رأيت عجبًا، فكأنه إنسان آخر، يحاصم بهائمًا، ويأكل المال بالطل، ويخاصم في المحاكم فجورًا، يبحث عن ثغرة في القوايين، ويستعدي على حصمه بالمحاميين، ليستولى على ما ليس له إذا وجد في القوايين ثغرة، وذلك من قلة الفقه وقسوة القلب، فإن ترك الحرام أفصل من العادة

فما سوء المعاملة بين المسلمين، ووصل إلى حد صار الناس يمدحون به الكفر ويمدون المسميين، فظلم بذلك المسلمون دينهم الذي يقوم على الحق والعدل، ويحبوا أهل الكفر وقوايينهم التي تقوم على الجور والظلم فما يتعقد الله على عمل في العال والكثير أو يتشارك حتى من أولئك الذين يدل مظهرهم على المحافظة على دين الله تعالى وشرعه، والوقوف عند حدوده أمرًا ونهيًا إلا وتسمع عن تعامهم بعد حين ما يسوء ويخيب الآمال؛ مماثلة في دفع الحقوق والديون، خديف في العهود والمواثيق، تحايل على التصل من الالتزامات، كثير منهم لا يراجع عمله مدديته، ليعرف ما إذا كان يتفق مع شرع الله أو يحالعه، فيكون سوء العمل من أساسه على باطل، وما كان أساسه باطلا لا يصير بعد ذلك صالحًا وبعضهم يراجع عمله على الشرع، ولكن يأخذ منه ويترك؛ لأنه يريد كسبًا سريعًا، ويرى أن بعض القيود تعوقه عن الصفقات المعرية، والكسب السريع، فيأخذ من الشرع ما يناسبه،

وما لا يماسيه من الأقوال المعروفة المشهورة في الدين إذا كان محتاجاً إليها يبحث له عن (محل) عن طريق القنوات القصائية أو مواقع الحاسوب، والمهم سوى (وس) قد علمنا لقي الله سالماً)، فصار كل شيء احترافاً، حتى الاستعلاء، أما سوى رسول الله ﷺ للامة في كل عصر ومصر. «دَعِ مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ»^(١)، فليس لها بيسا مكان إلا من رحم ربك

علم الانضباط

حارب المسمون الكفار في كثير من مكراتهم التي يحررها الإسلام، وراة العامة من المسمين على غير المسلمين سببة أخرى، وهي عدم الانضاط في حياتهم، وفي تصريف معاشهم ومعاملاتهم، فكثرت فيهم العش والكذب، والإحلاف والرشوة، والاحياء على أكل المال بالباطل، واستحلال المال العام، والمعنئة على الحقوق، والهرب من الواجبات، والتصل من الالتزامات والعهود، والآسية، واستغلال المراكز والوظائف، والامتيازات والعقود لصالح النفس، والقريب والصدق، والذي يدفع أكثر، إلى غير ذلك من الأمراض الاجتماعية الشائعة في بلاد المسمين، وليس لها حصر ولا عد

انضطت حياة غير المسلمين مع تضييعهم للدين، ثماً وجدوا من فوائد في الانضاط فعودوا أنفسهم على ذلك، وشنوا أولادهم عليه، وأشربوا محبة في قلوبهم، ثم سوا من القوايين ما يحفظ هذا الانضاط، وطقوا القوايين بصرامة على الرئيس والمرءوس، فاستقام لهم بذلك ما أرادوا من الدنيا، وازدهرت لهم الحياة، وتقدمت العلوم، وصدروا للعالم حضارتهم واحتراعاتهم وثقافتهم، واستولوا بذلك على ثروات المسلمين وعلى عقولهم، ورهد المسلمون في العمل الذي هو حرة الإيمان فتحلفوا

ولعدم الانضاط في حياة المسلمين اليوم مظاهر سلبية أكثر من أن تحصن، هي سب تحلفهم ودلهم، وشقاء حياتهم وانتكاساتهم، لتأخذ منها مثالين يشترك فيهما في العالب والكثير عامة الناس، يدلان على ماقيها

(١) المصدر السابق

١- الاستهتار بالوقت

الوقت أعلى شيء عند العاقل، وأرحص شيء عند الجاهل، العاقل يرد كل ذرة منه بمواريث الذهب، والجاهل يبذله برحص التراب، العاقل يحرص على الاستداع به في كل نفس من أماسه، ويحسه بأحراء الثواب

لم تعرف لشربة وصفًا يعبر عن نفاسة الوقت واعتنامه في الحير أبلغ من قول رسول الله ﷺ «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِي أَدْحَنُ قَبِيلَةٍ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِبَهَا، فَلْيَفْعَلْ»^(١). وقد بلغ علماء المسلمين في حساب الوقت مبلغًا لا يوجد له نظير، قال رجل لعامر بن عبد الله بن عبد قيس أحد العباد كرمي، فقال له عامر أمسك الشمس

يقول أبو الوفاء بن عقيل عن نفسه لا يحل لي أن أصبغ ساعة من عمري، إن تعطل لسبي عن مذاكرة أو مذاكرة، وبصري عن مطالعة، أعمد فكري وأد مطرح، فلا أبصر إلا وقد حطر لي ما أسطره، وقد ألف ابن عقيل كتاب (القصون)، قال عنه الذهبي لم يصف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب، يقال بلغ ثمانمائة مجلد وكان يقول كتب أحتار سف الكعك وتحسبه بالماء على مصع الحبر، لأحل ما بينهما من التفاوت في الوقت، حتى تتوفر له ثوان يعتمدها في شيء ينفعه^(٢)

والخطيب البغدادي إذا احتاج إلى المشي في الطريق لا يصيب وقته في المشي دون أن يعود عليه منه شيء، بل كان يمشي وفي يده جرة يطأه، وكان ابن الجوري يجعل أوقات الريات التي لا يقدر على دفعها ليري الأقدام، وإعداد النور، وحرر الكرايس، لأنها أعمال لا بد له منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، حتى لا يصيب شيئًا من وقته دون نفع^(٣)

هذا المقيس الذي يقيس به عامر بن عبد القيس وابن عقيل الوقت، دونه المقيس اليوم في الدول الصناعية المتقدمة، فلم يصلوا بعد إلى احتصار أوقات أكتهم بما

(١) محمد حديث رقم ١٢٥٦٩

(٢) حفيد لأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ٢/٢٤٧. وانظر حاشته شرح عبدفتاح أبي عفة على سانه

المترشحين للمحامي ص ١٤٧

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧، عن عبد الحافظ لابن الجوري

احتصره ابن عقيل إنها الحصار النابعة من الإيمان، التي لا ترقى إليها الحضرات المادية المحددة، فلما خرج السلوك من دائرة الإيمان، ولم يكن هناك قبول رادع، ولا عقاب صارم، صيغ الناس كل شيء، صيغوا أعمارهم وأعمالهم، بالجمع في المكتتب وأماكن العمل بتمضية الأوقات، وبالجلوس في الأسواق والطرفات، ومراقبة الناس، وبما اعتادوه من كثرة الريارات، ويسمون ذلك مواصلة، يمشون فيها أكثر أوقات أعمارهم، في أحاديث لا تعود بظائل، بل إلى النعية والمحادثات أقرب فإن لم يكن شيء من ذلك، فالجلوس الساعات الطويلة لنشاطات الصغيرة، التي لا يكاد يحلو منها شيء، أو يلعب الورق والشطرنج وما استحدث من ذلك في مجالات اللهو واللعب، وهذا هو العس الذي حذر منه النبي ﷺ «يُفْتَنَانِ مَقْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١)

الوقت هو الكلمة السحرية التي إذا أحس استعمالها، وعلا ثمنها، وحسنت بالتوازي والدقائق، عند المسلم ربه، وأنتج القرد، وتقدم الأمم، وسيت الحضرات، وإذا أسىء استعمالها واستوت فيها الدقائق والأيام مع السير والأعمار، وصارت سعر التراب، تعطل الحياة، واصمحت الأمم، وحرب الملاد في الأمم المتقدمة، تقلع الحافلة والقطار في الموعد، ويصل البريد في الوقت المحدد، ويبدأ العامل في الرمن المقرر، وإتقانه للعمل ومستوى أدائه في الخدمة من السحية العصبية والعقلية هو في الساعة الأخيرة من الدوام كالساعة الأولى حين بدأ، وكأنه آلة، لا تكل ولا تمل، وفي الأمم التي لا تحسب للوقت حساباً، تحتفي الحفلات من الشوارع، ويصل البريد المحفوظ بعد شهر، والموظف الأمين من يرور المكتب كل يوم!!

لوحص الوقت عند المسلمين صار المسلم لا يحس بالحرص إن تأخر عن عمله، أو تحيف عن عهده، خصوصاً إذا قال عند العهد إن شاء الله، فوصعت هذه الكلمة (إن شاء الله) التي تعني العزم والتصميم، وطلب العون من الله على السعي، وصعت لسمح إلى الإنكاث، وأصبحت تعني عند صغاف الإيمان تيسب النية مسقاً على الإحلاف، حتى صار أعداء المسلمين، يتدرون بها على المسلمين

(١) البخاري حديث رقم ٦٤١٢

٢- المغالبة على الحقوق

من مظاهر هذه الانبساط المادية لسلوك المسلم الإيماني، المعاملة على الحقوق، لا أقصد الحقوق المادية العينية، كالأموال والعقارات، فتلك لها شأن آخر، وإنما الحقوق التي يغفل عنها الناس، حتى إهم قد لا يعدونها حقوقاً، الحقوق المعنوية المضمنة في المدفع العامة، التي يكتسبها الإنسان بصفة أسقيته إلى الشيء، أو بصفته مواطناً، أو بصفته إنساناً، أو بما وضعته الدولة لرعاياها من نظم وقوانين لتحقيق الصالح العام، مما لا يخالف الشرع، أصبحت هذه الحقوق غير معروف بها عدلاً بين عامة المسلمين، وسلبها والاستيلاء عليها أمر لا يثير الاستنكار ولا الاستعراب، فمن يقدر على شيء بالمراحم والمعالجة، أحذه دون استحياء ولا تردد

الأردحام غير المظم شعار الناس حتى في المقابر للعرء، مع أن الحادث حادث موت، والموت اعتبار، ولكن لا تأثير له على النظام، فإلطف يعذب التطنج لم يعد الناس في حياتهم نظام (الطواير) واحترام الحقوق، لا في المقابر، ولا في الأسواق، ولا في الحج وأماكن العادة، ولا في ركوب الطائرات والحافلات، ولا في العيديات والمستشفيات، ولا وهم يقودون المركبات في الطرقات

فهي الطرق المبدأ السائد هو المعاملة، والاستيلاء على ما لغيره، العذر والضعيف هو الذي يلتزم نظام السير، والباقي يسطو على الطريق من أي جهة كانت، فبذ ما كمنه، أو لم تسمح له بالتعدي سمعت من الكلام ما لا يمكن الصرع عليه، فإن سكنت سكنت عن ظلم وذن، وإن تكلمت أوقف سياسته وأخرج السلاح ليقاتل، وتساءل نفسك. أين أنت؟ لا تعلق ما ترى!! ما حولك من الظواهر والمركبات وهيئات الأشخاص، كلها ظواهر مادية، أهلها مسلمون، والأحلاق؟ إلى المستعدين، لا يمان في القلب يردع، ولا قانون له سلطان على الجميع بعد

المعاملة بالاحتياج والسطو على أوقات الناس وعلى حقوقهم بالسرور والرشوي، أو بالمعروف والوحايات والوسائط، أصبحت اليوم في الأعراف السائدة مشروعة، من يقدر على شيء من جهد غيره أو وقته أو ماله أو حقه أخذه ولا يبالى

السلوك الإيماني في الحفاظ على النظام والأداب العامة وحقوق الآخرين معطل،

يقف السائق سيارته وسط الطريق ليتحدث مع صديقه، ويتوقف بوقوفه الجميع حتى ينتهي من حديثه ولا يحس بالحرج

من احراج إلى الطريق العام لأي طرف من الظروف ركب حبة وسط الطريق، وأعنفه على الناس ألباماً عديدة، لا يستأذن أحداً، ولا يرى أنه اعتدى على أحد، والجميع يجب أن يعنوه، وكان الطريق ميراث أبيه، رحم الله مالك، أوقفه حماد على ظهره الماء في الطريق لمسألة، فلم يجه حتى نحاء عن الطريق، وقال له الطريق منك المسلمين جميعاً، ليست ملك أبي ولا أليك

وإذ كان السب الذي أعلقت الطريق من أحلها تعدياً حصل رواح، أضاف المعتدي إلى مع الطريق مع راحة الجيران، بمكرات الصوت التي تث كلاماً ساقطاً صاخاً، يسمونه عداء، وتمتد هذه الأصوات المكرة إلى فروع العجر، فإذا ما حان وقت الأذان هدأت الأصوات، وحملت الشياطين، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعَثْنَا مَا تُحْسِنُونَ فَقَدْ اخْتَلَوْا بِهِمْ﴾ [الأحزاب ٥٨]

كل حقوق الفرد سواء كانت مادية أو معنوية، سواء كفلها له الشرع، أو كفتها به القوانين الموضوعية للمصالح العام بما لا يخالف الشرع، كقوانين السير في الطرقات والمرور، وتنظيم الأسواق وتنظيم الأعمال والإدارات وغيرها، مما يحقق المصلحة العامة كلها يجب طاعتها واحترامها، وعدم الاعتداء عليها، فلا يجوز المساس بها شرعاً، ومحالها تعد عصياناً، قال تعالى ﴿وَلَا تَسُدُّوا بُرُوجَ اللَّهِ لَا يُحِبَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة ١٩٠]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا النَّجِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَنَسُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ ظُحْرِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى ٤٢]

والحقوى بأوعها مادية أو معنوية لا تونة لمن يتعدى عليها إلا باستحلال أصحابها، قال ﷺ «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١)

(١) البخاري حديث رقم ٢٤٤٩

استحلال المال العام

استحلب القعدة العريضة من الناس المال العام، فمن قدر على شيء منه وأسر
المساءلة تعدى عليه ولم يبال، ولا يرون للمال العام حرمة ولا ضوابط

المال العام فيه حق لكل الأمة، والمعتدي عليه من غير وجه حق متعد على كل
الأمة التي لها حق في ذلك المال، والضرر المترتب على كل الأمة أشد من الضرر
المنوِّب على التعدي على فرد واحد، فمن امتدت يده مثلاً إلى آلة أو جهاز، أو سيارة
في (مصنع) أو مؤسسة، أو مستشفى، أو مرفق يقدم خدمات عامة، فقد عطل تلك
الخدمة، وشلَّ حركة ذلك المرفق، وأوقع ضرراً بالغاً بعامة الناس، يؤدي إلى تعطيل
مصلحتهم، وتصنيع حقوقهم، وقد يؤدي إلى إتلاف حياتهم

النقص في الأجهزة، وفي المواد والإمداد، وفي كل النسخ التي لا تأتي إلا عن
طريق المال العام، وما يؤدي إليه هذا النقص من إصرار بالمحتاجين إليها من أهم
أسباب إمداد الأيدي إليها من (الأموال) عليها في مصدرها الأول، الذين سسحبوا
المال العام، فلا يصرف منها إلى الجهات التي تستحقها إلا القليل، وهذا القليل أصب
لا يسلم منه، بل بباله ما يطوله من الأيدي التي هي الأخرى تسحب المال العام بعد
تسيمة إليها، والجميع يبيعون هذا المال العام بأعلى الأثمان إلى تجار القطع
الحاص

هذا التعدي يُعد من أهم أسباب النقص في السلع والمواد والخدمات في مصدرها
الأول، الذي يقدمها مجاناً كالمستشفيات، أو سعر في المتناول الميسور، كالمصنع
والمؤسسات، وتوفرها خارجها بأصعاف ثمنها، مما لا يقدر عليه عامة الناس
والعامة من عباد الله لا يقدر على إيواء مرضاهم في المصحات الخاصة،
ولا يقدر على شراء السلع والمواد الأولية اللازمة لساء بيت مثلاً، أو تكوين أسرة
من المحلات التي تبيعها بأصعاف ثمنها، ويكون مصيرهم سبب سرقة من تعد
أيديهم إلى المال العام إما إلى اليأس المؤدي إلى هلاك المريض، أو الحرمان
المستمر للمحتاجين، وإما اقتحام الحرام بأكل الربا والرشاوى وانتهاك المال العام
كما ينتهب غيرهم، وتتولد على هذا الانحراف سلسلة من المعاسد، تنمو وتكثر وتوسع
أساليبها في الاحتيال والفساد والإفساد

وكل ذلك يتحمل تبعته وأوراره من تاحر في حقوق العباد وخدماتهم المجدية،
وسمى ماله من السلع المحققة شتى الطرق والوسائل غير المشروعة، كافتعال
الرمائل المرودة باسم الإدارات والمؤسسات، واستغلال التوحيات والمصائب
والنقود، وهو مطلوب عند الحساب بالحقوق من كل من تصرر منه من عدد الله
هدا لون من لتعدي على الحال العام على المستوى الأدنى، من أصحاب الوظائف
الصغيرة، أما على مستوى المؤسسات ومجالس الإدارات، فالبدء السائد بينها إلا
من رحم ريك أن المؤسسة وما تنتجه ملك من أملاك رئيس المؤسسة، ينميه ويأخذ
عمولاته، ويستثمره ويستغله مادياً ومعنوياً للرفع من مستواه، وخدمة أملاكه ومشاريعه
وموارد، وشعله الشاغل الحرص على المصعب، وبذل النفيس والرحيص في الحفاظ
عليه، لأن يفقد يفقد كل شيء، عدا سلوك المؤمن، فإنه غير موحود أصلاً،
فلا يصاب فيه

وقد توعد لبي ﷺ من كنتم مخيطاً من الحال العام، فكيف بما فوفه، فقال «مَنْ
اسْتَمْعَلَكُمْ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكُنْتُمْ مَخِيطًا، فَمَا قَوْفُهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(١)، وأشار السبي ﷺ وهو يمر بالقبيح إلى قر، وقال «هَذَا قُلَانٌ بَعَثْتُ سَاعِيًا
عَلَى بَنِي قُلَانٍ، فَقُلْتُ نِيرَةً، فَفَرَّخَ الْآنَ مِنْهَا مِنْ نَارٍ»^(٢)، ودرع معه ألس عوصها
دردع، وهو الثيب الساعية الكاملة أي ألسها في النار وقال ﷺ «مَا بَالُ الْعَامِلِ
نَسَمِلُهُ قِيَامَتًا يَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أَهْدَيْ لِي، أَقَلَّ قَعْدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
فَنَظَرَ هَلْ يَهْدِي لَهُ أَمْ لَا؟ قَوْلَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَهُ، لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا جَاءَ
بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا، جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً، جَاءَ
بِهَا لَهَا خُورَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً، جَاءَ بِهَا تَغَرٌّ، فَقَدْ بَلَّغْتُ»^(٣)

(١) مسلم حديث رقم ١٨٣٣ وحديث «مَنْ وَلِيَ لَنَا عَمَلًا وَلَيْسَ لَهُ مَتْرَلٌ فَلْيَتَّخِذْ مَتْرَلًا، أَوْ لَيْسَ لَهُ رَوْحَةٌ
فَلْيَبْرُوجْ، أَوْ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَتَّخِذْ خَادِمًا» خرجه أحمد وأبو داود واللفظ له وسكت عنه هو والعلزي، قال
خطابي هو محمود على أحد وجهين أحدهما أن ذلك يكون من عبادته لبي هي أجرة مثله وليس له أن
يرتكب شيء سواه الثاني أن لعمام السكبي والخدمة، فإنه لم يكن له مسكن ولا خادم متوخر له من
يخدمه، فكيف بهه مثله ويكره له مسكن يسكنه مدة مقامه في عمله فصح لرباني على المسد ٩ ٥٦

(٢) سبي السائي حديث رقم ٨٦٢

(٣) البخاري حديث رقم ٦٦٣٦

وتوعد الله ﷻ العال، فقال: ﴿وَمَنْ يَسْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران ١٦٦]، وأحبر النبي ﷺ أنه يتبرأ من العال من أمته يوم القيامة فقال «يقول: أغثنِي، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً»^(١)، وأحبر عمر أحد شملة من المعص قبل القسم أنها تشعل عليه ناراً^(٢)

ولا خلاف بين الفقهاء أن من أخذ شيئاً من المال العام من غير وجه حق، أو أتفعه، لومه رده، أو رد مثله أو قيمته، على القاعدة في ضمان التعدي، وإسما الحلاف بينهم في قطع يده، فمنهم من أوجب فيه القطع، وهم المالكية تمسك بالعموم في بية السرقة، ومنهم من منع القطع وهم الجمهور، لنشبهه، فإن لكل الأمة حقاً في بيت المال، والحدود تدرأ بالشبهات^(٣)

السفر والسياحة

السفر والرحلات، والقنادق والسياحة، ليس هناك فارق يذكر بين ما هي عليه في بلاد المسلمين، وبلاد العرب، ابتداء من اللغة، فليست اللغة العربية لغة سياحة، الكلام بلغة الغرب، ولباس النساء عاملات أو نزيلات لباس الغرب، ضجيج الموسيقى ولاشرطة والمسلسلات لا يفارق المسافر، لا في الحافلة، ولا في الطائرة، ولا في لبحرة، ولا في صالات القنادق التي تعمر ليلها بالحمور والقمار، والعاء والساء، وما إلى ذلك من حائل الشيطان، لا تسمع من يقول سم الله، ولا توكل على الله، ولا من يكبر الله ويوحده، لا هو راكب ولا هو سار، بل استدلو بالدكر والتكبير عند مرور الطائرات التصفيق والتهريج، كما كنت تفعل الحاهية عند اليب بذلك الذكر والصلاة، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْآلَتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال ٣٥] - أي صغيراً وتصفيقاً

وليس في حدود السياحة ومواعيدها مكان للصلاة، فلا إقلاع الطائرات مطور في حسنه إلى صلاة المسلمين التي ربطها الله تعالى بأوقات محددة، ولا في جدول الحافلات مكان للوقوف للصلوات، إلا إذا وافق وقت أكل، أو راحة لسائق

(١) نظر سحري حديث رقم ٢٠٧٣

(٢) سحري حديث رقم ٢٢٣٤

(٣) نظر موسوعة لغة بكونية مادة (بب المال) فقرة ٢٦

والراكب، فعلى من يريد الصلاة أن يتحين تلك الأوقات ويبادر، فيه إن انتظر يأكل، فلا ينتظر ليصلي إلا على مضض وكره، ولو قلت لسائق الحافلة قف لي قليلاً لأشتري شيئاً رأته في الطريق لاستجاب لك، ولوجدت من الركاب قولاً ورضاً، لكن إن حان وقت الصلاة وطلب الراكب من السائق أن يقف ليصلي خوف خروج الوقت سمع بدة من يفعل ذلك لما وجد استجابة إلا على مضض وكره، واستعجاب واستهجان، ولمومه بالشذوذ وقلة الفهم في الدين، لأنه (عطل المسلمين)، فهل هذه أخلاق المؤمنين؟^{١١٩}

الطب والمستشفيات

الطب والعلاج والمستشفيات، لا يختلف حاله وحال العاملين فيه عن العاملين في السياحة والصدى والمستشفيات الأوروبية، فلا الطبيب ولا من يساعده من العاملين والعاملات حتى المصلين مهم يتقيد بتعاليم الشرع والدين، إلا من رحم ربك، وهم من الندرة بمكان. لهم في الاستهتار وعدم الصلاة في كشف عورات المرضى، والحلوة والاحتلاط المحرم ما يندى له العجين، يطبقون في ذلك ما تعلمونه في مستشفيات أوروبا مع المريض، والأوروبيون يبيحون إحلاء الرجل بالمرأة، ويكشفون العورات دون عصاصة ولا حياء، حتى في الطرقات والأسواق، والحمامات، فليس في ذلك عندهم حرج ولا بأس^{١٢٠}

إذا دحبت صالة الولادة في مستشفى من المستشفيات رأيت العجب، ساطر لا يقبها صاحب نفس كريمة، ناهيك بمن له من دين المسلمين نصيب، أجساد نساء شبه عارية تتوحد، هنا وهناك، والداخلون والخارجون من الطنفة والمدرسين والعاملين المنطقلين، والمراحمين، أطباء وغيرهم، أكثر من القائلات والمداوين تعاليم الإسلام تقول المرأة للرجل كلها عورة ما عدا وجهها وكفيها، ولا يجوز له أن يمس شرتها إلا للمصرورة، والمرأة يجوز لها أن ترى من المرأة أعني بدنها وأسمه، ما عدا ما بين السرة والركبة، فهو عورة، لا يجوز للمرأة أن تراه من المرأة إلا للمصرورة

وعليه فالرجل لا يكشف على المرأة ولا يباشرها بيده ما دامت هناك طيبة يمكنها أن تعالج المريضة، لأن الطيبة يجوز لها أن تباشر المريضة بدها، ويجوز لها أن ترى

مبها ما عدا ما بين السرة والركبة فإن كان العلاج يستدعى كشف العورة، فهي حالة الضرورة، الرجل يعالج الرجل، والمرأة تعالج المرأة، فإن تعذر هذه الموافقة، فمع بعد الرجل طبيباً رجلاً يعالجه، ولم تجد المرأة طبيبة تعالجها ووجدت ضرورة، جاز لمرجل أن يكشف عن المرأة، وللمرأة أن تكشف عن الرجل

أما حديث الربيع بن معمر التي قالت: «كنا مع النبي ﷺ نسقي ويداوي الجرحى، ورد القسي إلى المدينة»^(١) فمحمول عند العلماء على أنهم يداوي الأرواح والمجاهد، أو على أنه كان من غير مباشرة ولا من لئد، قالوا ويدل لذلك اتفاق العلماء على أن المرأة إذا ماتت، ولم توجد امرأة تعسلها أن الرجل لا يباشر غسلها بسبب بدنها، بل يعسلها من وراء حائل عند بعض العلماء، وعند أكثرهم يممها، ويسقط عنها فرض العسل^(٢)

والضرورة لتي تستدعى كشف العورة للعلاج يجب أن تقدرها بقدرها، دون توسع أو تساهل وعدم مبالاة، كما هو الحال في المستشفيات التي يسهر فيها في العدة بكشف عورة المريض، وحرمة العورات في تقاليد المستشفيات ثانوية

فمثلاً إذا كان يكفي في علاج الجرح مثلاً كشف الفخذ، فلا يجوز لطبيب أن يكشف ما ز دعيه، وإذا كانت الطيبة أو الممرضة يمكن لها أن تقوم بالعمل وحدها، فلا يجوز لها أن تعرض المريض أو المريضة مكشوف العورة أمام جماعة من رفق المهنة، الذين ليس لحضورهم حاجة في العلاج

وإذا انتهى الطبيب أو المعالج من الدواء أو الكشف، أول شيء يجب أن يقوم به نفسه، هو ستر عورة المريض، قبل القيام بأي عمل آخر، لأنه المسئول عن ذلك، ولأن المريض لا يعلم متى يهي الطبيب عمله، لا أن يترك الطبيب المريض، ويذهب لغسل يديه، وأحياناً حتى لكتابة الوصفة، والمريض على حاله

فعلى العاملين في المستشفيات، الخاصة منها والعامية أن يتقوا الله تعالى في عورتهم المسلمين والمسلمات، وأن يعملوا على أن يسود فيها احترام قديون الشرع في الحفاظ على العورات، التي فرض الله تعالى على المسلمين سرها، قال تعالى

(١) سحري حديث رقم ٢٨٨٢ وفتح الباري ٦/ ٢٢٠

(٢) بقر فتح ساري ٦/ ٢٢٠

﴿قُلِ لِلزَّوْجِ نَعَصُوا مِنْ أَنْصَرِهِمْ وَتَحَفَّظُوا مَرْجِعَهُمْ﴾ [النور ٣٠]، وقال تعالى ﴿وَلَا يَتَّبِعُكِ رَيْبَتْهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور ٣١]، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ»^(١)، وقال ﷺ «... والعينان زناهما النظر»^(٢)

ولا يتم ذلك إلا بتوفير الخدمات النسائية للنساء، بأن تخصص للنساء في العيادة طيبة، وفي التوليد (قابلة)، وفي معمل التحليل أو عرفة الأشعة امرأة تقوم لهم بالخدمة والحضور. حيث تحتاج المريضة لكشف صدرها أو عقبها، وكشف ذلك للمرأة غير ممسوح، لكنه للرجل ممسوح، وبذلك يتخلص من محدود آخر ليس له حساب في عرف المستشفيات، وهو الخلوة بين الرجل والمرأة في عرفة ليس معهم أحد

الطبية المسلمة تحسن بالحرج من عدم مراعاة تجنب الخلوة في المستشفيات حتى إن منهن من تركن المهمة من أحله، وكذلك بعض الأطباء يعانون من هذه المشكلة مرارة، فإن المؤمن لا يطبق التماذي على انتهاك حدود الله والإصرار على ذلك كل يوم، وليس حل هذه المشكلة من الأمر العسير إذا حنصت بية من يدبرون المستشفيات، فإن تخصيص خدمات الرجال للرجال، وخدمات النساء للنساء كفيل بوحود محرج للمسلم من هذا الأمر

وقد حرم النبي ﷺ الخلوة وحذر منها أشد التحذير، قال ﷺ «إِنَّا كُنْمُ وَالِدُخُولِ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَأَيْتَ الْحَمَؤَ؟» أي هل يجوز له أن يغتلي بزوجة أخيه؟ قال ﷺ «الْحَمَؤُ الْمَوْتُ»^(٣)، محذراً من ذلك، ومؤكداً عليه، وقد ﷺ «لَا يَغْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»^(٤)

وكما أن الخلوة ترتفع بوحود محرم للمرأة، ترتفع أيضاً بوجود طرف ثالث ثقة، رجل أو امرأة، ولو غير محرم عند كثير من العلماء، لقول رسول الله ﷺ «لَا يَدْخُلَنَّ

(١) مسلم حديث رقم ٣٣٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٥٧

(٣) بخاري حديث رقم ٥٢٣٢

(٤) البخاري حديث رقم ٥٢٣٣

رَجُلٌ يَمُدُّ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُنْيَةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوْ اثْنَانِ^(١)، وعنده فقداء المريضة في العرفة مع الطبيب بحضور الممرضة مثلاً ترتفع معه الحلوة، ولا يكون مسموعاً^٢ والذي يحل المسألة برمتها أن تترك خدمات النساء طبيبات وغير طبيبات لنساء ويساعد منها الرجال، ولا شك أن في ذلك فائدة علاجية أيضاً علاوة على الفائدة الأخلاقية الدبية، فإن استجابة المريضة إلى امرأة مثلها أسير عيها وأرفع لذكفة، حيث تستطيع أن تروح لها بكل ما في نفسها، الأمر الذي قد يساعد على تشخيص الداء ومعرفة الدواء

وسبب البعد عن هذا المسار الصحيح في إدارة وحدات العلاج والمستشفيات، ووجود الرجال في أماكن خدمات النساء، وأحياناً يكون هؤلاء الرجال المهنيون في الأشعة أو غيرها من غير المسلمين، كالتنصاري والهندوس، فيزداد الأمر بذلك سوءاً. سبب ذلك صارت المرأة المحافظة على حياتها تحسب لدخول المستشفى ألف حساب، وقد تتأخر وتبتاطأ كارهة، حتى يفوت الأوان ولا ينفع العلاج

فرائض الإسلام وسه تعيش عرة داخل المستشفيات، حيث يوقع الحفاظ عيها والتقيدها، لما يشاهد فيها من الاتعاض اليومي المتواصل بالموت والأوجاع والأسقام والآلام هل رأيت طبيباً أو ممرضة واقفاً إلى جنب محتضر يلقيه لا إله إلا الله^٣ وقد خاطب النبي ﷺ جميع المسلمين بذلك فقال «لَقُوا مُؤْتَاكُم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، ثم يعمص له عييه، ويشد له لحييه، كما هي السنة في العمل من حصر أحده

أحبري طبيب أنه حاول أن يشيع ذلك بين زملائه، فوجد نفسه كأنه يحاطب أن جهل، ولا يحاطب مؤمنين، والأسوأ في هذا أن المريض إن حصر أحده فيما يسمى بعرفة لعدي، تحصره في العالب ممرضة يودية، أو نصرانية، لأنه لم يعمل حساب لما يسعى من حقوق المسلم عند الموت

يرك الطبيب عرفة عمله، ويطلب الإسعاف مريض، فلا يُعثر له عني أثر، وتُرط

(١) مسلم حديث رقم ٢١٧٣ والنسخة المرأة التي عاب زوجها

(٢) نظر فتح ساري ٤ ٤٤٨ ومواهب التحليل ٢/٢٥٥

(٣) مسلم حديث رقم ٩١٧

أيدي المريض على السرية بحمل شديد، قد يؤثر فيه ويسبب له عاهة مستدمة لا يبرأ منها، ويترك أحياناً مربوط اليدين موثقاً وهو في الرمن الأخير محتاح إلى أن سل شفيعه بالماء، فلا يجد من يحمل وثاقه، ولا من يباوله الماء، أوثقت الممرضة بأمر الطبيب، وذهب كل إلى حاله، والصباح رباح! أوثقوه حتى لا تمتد يده (الأثمة) إلى أسوأ الدواء، المركب في يده وكفه ، ولكن ما الحيلة، فالمرضى أشبه بالأسير^١ هناك ممارسات متخلقة وسط العاملين في المستشفيات العامة يجرمها القانون، ويحرمها الشرع وكل عرف ودين، وهي تدخل تحت حياة الأمانة، ومنها ما يدخل تحت السرقة والاستيلاء على المال العام دون وجه حق، أو الإهمال أو السب، ويرتب على ذلك ضرر بالغ بعامه الناس وعجز عن علاج ما كان يمكن علاجه، وقد يكون سبباً في إتلاف الأرواح

من هذه الممارسات

١ احتساء لأجهزة والمواد من المستشفيات، نقص حتى في المواد الأولية، كمواد التعقيم، وتصميد الجروح، والمواد اللازمة للتحاليل الطبية، ويتوفر ما احتسب من ذلك في المصحات الخاصة والعيادات

٢ إذا كان عدم إتيان العامل لعمله وتأديته على الوجه الأكمل في سائر المرافق من الإحلال بالعقود التي أمر الله تعالى بالوفاء بها، في قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا إِلَيْكَ مَا مَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة ١]، ومن حياة الأمانة في التكليف الموعد عندها شرعاً، كما قال ﷺ في الحديث القدسي «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ خَدَرَ»^(١)، أي عاهد عهد المسلمين ثم نكث، والتكليف كدها أمانة، والصلاة أمانة، والصيام أمانة، وأداء الواجب أمانة، كل ذلك أمانات فكيف إذا كان هذا التهاون في مرفق يمس حياة الناس وأرواحهم، ويعرضهم لنمو

٣ الطبيب المتخصص يترك مرضاه في المستشفى العام إلى من هو أقل كفاءة، فلا يراهم حتى يخرجوا، أو يفوت الأوان، ويعتني بهم في المصحات الخاصة، ولو حاول أبها المريض أن تكلم هذا الطبيب المتخصص في المستشفى بعد أن

(١) البخاري حديث رقم ٢٢٢٧

ينست من إتيهه إليك لا يقف لك، ولا يلتفت إليك، ولا يرد حتى السلام،
و«يَحْسِبُ آخَرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ»^(١)

٤ المتخصص في التحاليل الطبية أو الأشعة التشخيصية لا يدقق عمله،
ولا يثق به، ولا يعطيه من جهده ووقته ما يصمر صحة النتائج ووضوحها التي عني
أساسها بتقود مصير المريض، حتى صار الأطباء لا يطمئنون إلى النتائج التي تعطيها
لعيانتها، ويطلبون من المريض إعادتها في مكان آخر

٥ المهنيون في الخدمات، كالأشعة والتعريض وغيرها، غير مؤهلين إسهياً قبل
الأنهليل مهياً لتعامل مع المريض، لا يرفقون معاصر ولا متوجع، لا في ثقته ولا في
تحيكه، ولا يسمعون حتى إلى كلامه وشكواه إذا طلب منهم عمل ما يريجه،
أو يعيهم على أداء عملهم على وجه أفضل، لأن جميع المرضى في نظرهم جهال
ومتفعلون بالكلام، فعليهم أن يسكتوا ويسمعوا ويطيعوا، حتى ينتهي الواحد منهم من
عمله بالطريقة التي يريدها، وهم أدرى بمصلحة المريض^{١١}

٦ الكثير من الأطباء والمساعدين والمداوين لا يحسون بالمسئولية الطبية عن
التقصير، وقد يشأ عن إهمال الطبيب أو الممرض وتقصيره جدياً، يرتب عيبه
ذهب من، أو إصانة معاهة مستندية للمريض لا يقوم بعدها، ويحصى الطبيب
أو المعالج تقصيره حتى لا تلحقه مساءلة القانون، وأحياناً يشعر بحطته الذي لا يكون
ظاهراً بجرمه القرون، فيخفيه عن المريض ودويه، ويحسب أنه كسب القضية، والله
تعالى عليم به ما أخفاه، وهو عليه رقيب ولا شك أن كل مظلوم سيقف مع من
ظلمه حين توضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴿وَصَحَّ لَوَيْلٍ الْقِسْطُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا
تُظَنُّمْ نَفْسٌ شَيْئاً وَدَكَكَ مَثْكَالَ حَبْكٍ بَيْنَ حَرْدَلٍ أَيْبَ بِهَا وَكَلَى بِأَحْسَبِيكَ﴾
[الأنبياء ٤٧]، والخطأ يرفع الإثم عن المحطى لقول الله تعالى ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
حُجٌّ بِيَمَّا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب ٥]، ولكن لا يعفيه من دفع الذية إن كان فيما أتته
الطبيب ذية مقدرة، كالنفس والأعضاء، وإن لم يكن في الجزء المتلف ذية مقدرة،
فالواجب الأرض أو الحكومة، وهو التعويض المناسب للمضرر الواقع على المتضرر،
بحكم به أهل العدل والخبرة

(١) مسلم حديث رقم ٢٥٦٤

المصحات الخاصة

هنا بعض ما في المستشفيات العامة، أما المصحات الخاصة، فأمرها العالي
تحرص الصريح، بعض المصحات لا يقل إيواء المريض إلا أن يدفع مقدماً مبلغاً
محترماً، حتى لو كان المريض حالته لا تحتل الانتظار، أو يتألم ويصرخ، عنيك أن
تركه في الاستقبال حتى تحضر المطلوب، لأن تعليمات الإدارة هكذا، ولو رجعت
فوجدت المريض قصي نحه، تكون محظوظاً إذا سلمت من أجرة الكشف

لا أريد أن أذكر أصحاب هذه المصحات معاملات الكمار في البلاد الأوروبية
الذين لا تريد إخراجهم عن إيواء المريض أو حتى عند حروجه وتركه المصلحة عن
أحد عيونه ورقم هاتفه لا أريد أن أذكرهم بذلك فأصحاب المصحات أكثرهم ما
شاء الله درسوا في تلك البلاد، وتخرجوا في جامعاتها، واشتعلوا مع أهدها،
وعلموا سيرتهم في هذا الباب تمام العلم وقد يعتدرون لأنفسهم بأن الناس هناك غير
الناس هنا لكن أريد أن أذكرهم بما يجري حولهم في بلدان العالم الثالث، الذين هم
من حديثنا ولساننا ويسلكون سلوكنا، لم يعرف عنهم اشتراط الدفع قبل إدخال
المريض ولا سمعنا بمن طلبه، لأنه لا معنى لهذا الشرط والمريض داخل لا خارج،
فهو رهينة في ثمن علاجه اجر الأمر، إذ لم يحدث أن أحداً هرب مريضه ليلاً حتى
يكون مبرراً لهذا الشرط، ولو وُجد فهو من الندرة بحيث لا يستدعي تشريعاً من
أصحاب المصحات بتأدي منه الكافة، ويعرض المعتجيين إلى المصلحة إلى الخطر
ومعدة الألم تعطيل إيوائهم وإسعافهم، والمتوقع من هذه المؤسسات الإنسانية أن
مصلحة المريض فوق كل اعتبار، ولتشرط المصلحة بعد إيواء المريض من الضمانات
ما تشاء، فذلك من حقها.

تسويق السلعة للمريض دون أن يستشار

لبعض المصحات والعيادات من الوسائل القابولية وغير القابولية ما لا يحظر على
الناس، المبدأ السائد بينها فرض تسويق سلعتها على المرضى من غير تمييز، من يحتاج
مهم إليها ومن لا يحتاج، لها أدوية وأجهزة ومعامل لابد من تسويقها وتشجيعها بأعني
الأسعار، فكل مريض عليه من الناحية (الإنسانية) أن يسهم في دعمها

من المصحات ما له تقليد (معتبر) صممته الإدارة، تحصيلاً للمصلحة العليا وهو

أن كل من يتخطى عنتها للإبواء، لابد أن يمر بعدد من التحاليل والشحيصات، لا يعفى منها بحال من الأحوال، سواء كانت لها صلة بشكواه التي أوجده المصحة، أو لم تكن، لأن الاحتياط واجب!

بحرح المريض بعد الإبواء بقائمة حساب طويلة مملوءة بخدمات طبية وفحوصات وأدوية، بعضها تسلمه وبعضها لم يتسلمه، أو على الأقل لم يعلم به إلا عند دفع الحساب

وما استلمه المريض من الخدمات لم يستشر فيه، وهذا هو السبب أنه لم يعلم به إلا عند دفع الحساب، وكان المريض من حين سلم نفسه إلى المصحة، سم معها رشفه وأهيمته في التصرف، وحقه فيما يريد وما لا يريد، وأعطى للمصحة الوصاية المطلقة عليه في أن تفعل به ما تريد الشرع والعرف والقوانين المحصورة في الشرع وفي العرب، تحرم أن يأخذ أحد مالا من غيره على خدمة أو عمل لم يعلمه به، ولم يؤخذ إده فيه مسقًا، ولا يعرف هذا في الشرائع المتعددة، فصلًا عن الإسلام، وأي مال يؤخذ من الإنسان على عمل دون إعلامه به، وأخذ رضاء مسقًا، هو من أكل المال بالباطل في دين المسلمين، حرام، لا توبة لصاحبه إلا برده، قال تعالى مشيرًا إلى وجوب التراعى في تبادل المصاعف ﴿يَأْتِيهَا إِلَيْكَ ءَامُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِحُكْمٍ عَنْ رَأْيٍ بَيْنَكُمْ﴾ [النساء ٢٨]، وقد ﷺ «إِنَّهُ لَا يَجِلُّ مَالٌ أَمْرِي إِلَّا بِطِبِّ نَفْسٍ مِنْهُ»^(١)، وقال ﷺ «يَحْبِبُ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَبِرْضُهُ»^(٢)

الواجب على المصحة أن تكتب الدواء للمريض، والمريض هو الذي يشربه، إن شاء منها وإن شاء من غيرها، فقد تكون له مصادر للدواء أقل تكلفة، خصوصًا أن تسعيرة المصحات كلها توضع في قائمة الحساب على سعر السوق السوداء، حتى لو كان مصدر الدواء مخازن الصحة، وعلى المصحة أن تخبر المريض أنه يحتاج إلى التحليل القلاني والتصوير القلاني، وأنه يكلف كذا وكذا، فما وافق عليه عمل له،

(١) مسند أحمد حديث رقم ٢٠١٧٢

(٢) مسند أحمد حديث رقم ٢٥٦٤

وما لم يوافق عليه لا يعمل، لأنه هو الذي سيدفع الثمن، وهو أحرص على مصدحة نفسه من غيره

والواجب أن تُبين الأجرة على ما يقدم له من خدمات سود واصحة، بحسب ما مستقفاً، بحيث لا يباحأ عند الحساب شيء لم يعلمه، فإذا قيل له مثلاً أجرة عرفة العمليات كذا، فمعناه أن كل ما يقدم له داخل عرفة العمليات داخل فيما ذكر، إلا إذا استثنى شيء بعينه وأحمر به، لأن أي عقد لا يكون بهذا الوضوح، واكتفه جهالة أو غموض، فهو باطل شرعاً وقانوناً والعقود الناطلة بسبب الجهالة محرمة في الشريعة لمهي النبي ﷺ عن عقود العرر^(١)

هذا قبيل من كثير مما يجري في المستشفيات والمصحات الخاصة، لو جمع لحرحت منه كرايس، يمر عليها من الكرام على مرأى وسمع ولا يبقى له دال ولا نعم لحكم على الجميع، فما قلناه هو الشائع والكثير والغالب، ولكن من الأطباء والعلميين من له من ديبه وكريم خلقه ما يحرص معه على مصدحة المريض العلاجية والمالية حرصه على أمر نفسه، ويجسه من النفقات والمصاريف غير اللازمة ما وحد إلى ذلك سبيلاً ولا يألوا. وقد رأيت نماذج من ذلك أجلهم وأحترمهم وأكبر فيهم هذا، الحسن، ولهم في نفسى مرلة لما يقدمونه من خدمات في المستشفيات المحانية على مستوى من الكفاية العالية للعامة من عباد الله دون تمييز، فأحر هؤلاء عند الله عظيم وثوابهم حريص، والله لا يصعب أجر من أحسن عملاً

معالج المريض طيب، أو مساعد في علاج، أو مالك مصدحة لو أحسن له عمله، وأتقنه بالرحمة المطلوبة والشفقة المعهودة، فكان في رحمة الله تعالى ورضوانه، ولخرج الله عنه كرب القيامة، التي لا يقدر على دفعها أحد غير الله ﷻ، فإن من فرح عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرح الله عنه كربة من كرب يوم القيامة كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ، فكيف بمن عمله كله تفريح كرب عن مريض المسلمين؟ لكن إن فرط وأهمل، أو استغل المصطري من المرضى والمحتاجين، على نحو غير مشروع، فما أكثر حصومه بين يدي الله تعالى

(١) مسلم حديث رقم ١٥١٣

الجامعات والمعاهد

الجامعات والمعاهد والمدارس، حلت من التذكير بالله تعالى ، وتعليم ما يجب من أحكام الدين، الطلبة والأساتذة والإدارة، يفكرون في القول والرسوم، وساعات العمل والعلاوات والتسجيل والنجاح والامتحان، لكن لا يفكرون في التحصيل العلمي المتدني، ولا في الفضيحة المتردية، ولا فيما يروونه من التهاون في فرائض الله تعالى والتفريط في إقامة شعائره، ثم لا يحركون ساكنًا للإصلاح، ولا لاسهك حدود الله تعالى وحرماته

فهو دحبت ساحة من ساحات الجامعات، لأنكرت نفسك، هل أنت في معهد عمي، أم منهي ليلي؟ لما تسمع من الأنعام الراقصة والصحب والصحيح، والكلام البديء أثناء المحاضرات، ولما ترى من أشكال وجوه السوء، لا تقيم وزنًا لأسد ولا حرمة لعيفة تحتشم وتراعى الآداب، ليسوا من الجامعة ولا من طلابها، جاءوا حصيفًا للسمعة وقضاء الأوقات، واستدراج من كل على نمطهم في الهيئة والماس، والبهود وعدم المسالة

لا تسمع في الجامعة أدانًا ولا ترى صلاة جماعة، بل الأستاذ لا يأذن للطلاب بالصلاة حتى لو كان وقت المحاضرة يستعرق وقت الصلاة كلها، فالمحاضرة في نظره أفيد من الصلاة^{١١}

معظم الأساتذة والطلبة على جهل كامل بكثير من الأساسيات في الدين، وفروض الأعيان، ويريد لأمر سوء، جهلهم بأنهم يجهلون فلو سألت أحدهم عن وقت من أوقات الصلاة متى بدأ ومتى ينتهي؟ وما الوقت الذي يجوز تأخير الصلاة إليه من غير عذر؟ ومنى يحرم التأخير؟ لما وجدت عند أكثرهم جوابًا، ولا يرون في جهلهم بهذه الفروض تقصيرًا، ولا نقصانًا، فسواء عليهم علموها أو جهلوا، فهي في نظرهم لا تقدم ولا تؤخر، لأنها ليست شهادة علمية يترقون بها، أو يتوظفون، وليست عمدًا من علوم الدين تسي المناصب الرفيعة والأماكن المرموقة، ولو اقترحت تدرس هذه الأساسيات في مقررات الجامعة، ليكون شأنها شأن أي علم من العلوم الأخرى التي يحتاج إليها الطالب، لوحدت منهم معارضة شديدة، لأنها ليست من علوم العصر، التي يحتاجون إليها في نظرهم

تعقد دورات التقوية للإداريين والمدرسين والطلبة، في مجالات محتلفة من المعرفة، في التربية، في المحاسبة، في الإدارة، في اللغة العربية، لكن ما سمعنا بعد بدورة تقوية في هذا المجال، لم لا تعقد حلقات لأساتذة الجامعة في تعميم ما لديهم من أساسيات الدين؟^{١٩}

الجامعات الخاصة

وراء حالة التعليم سوءاً بالتساق على فتح الجامعات والمعاهد العليا الخاصة، في كل قرية وكل واد، دون إعداد ولا دراسة، ولا (كوادر) علمية مؤهلة، فمن أراد أن يبنى جامعة أو معهداً أنشأ، فاستوى فتح الجامعة مع فتح الدكان، والورشة، ومحل تأجير لكراسي في المؤهلات والمتطلبات والشروط جامعات لا تدعو إليها حاجة من الحاجة التعليمية، بل قد تفسد أكثر مما تصلح، فالذين يستحقون هذه الجامعات التجارية هم صغار الطلبة، وغير المؤهلين لدخول الجامعات، ليؤسوا بجاحهم الذي يتعذر عليهم في غيرها، ذلك أن المؤسسة التجارية مدرسة أو معهداً، أو جامعة هي من خلال التجربة ملزمة بتصحيح طلابها، وإلا قل الإقبال عليها، وعُدَّ المشروع فاشلاً!!

الموظفون والإداريون

إننا نعاني بصفة عامة من أزمة في الإدارة، على مستوى العالم الثالث الذي منه معظم بلاد المسلمين إن لم تكن كلها، في الدوائر والمصانع والمراكز المحسنة، تسبب وإهمال، وتصيبع للأوقات، وحيانة للأمانة، ورشوة، وفساد للدمم وعدم انصاف، سبها حروج السلوك من دائرة الإيمان، مع غياب القانون الرادع

عنة الدين بين الموظفين والإداريين ما أشدها، التوظيفة في بلاد الروتين، التي منها بلاد المسلمين في الغالب. واحد من اثنين إما وسية من وسائل السمية، أو وسية للاحتيال والسحب والرشوة، والاستيلاء على المال العام، فإن كان العمل من أصحاب المصائب الذين أوتمنوا على المال العام، فأول ما يفكر فيه أن يكون أكثر المال له، والقليل منه لغيره، ويعتبر المؤسسة التي يرأسها من منكه الحاضر، يعميه لنفسه ما دام فيها. حتى إذا ما أحس بإحراجها منها أفرع حريتها، وأعلن إفلاسها، وذهب إلى حالة

إن كان مكفياً بداره عطاءات أو مقاولات أصبحت الـ ٢٠% الخاصة به إن كان مواضعاً لا تقبل النقاش وإن كان في مرفق يحتاج الناس إليه في اسحراح شهداء أو توقيعات عالية الثمن. أو دفع مستخلصات مالية، بماطل ويسوف، ويؤجل ويهرب، إلى أن يضطر صاحب الحق إلى واحد من اثنين إما أن يترك حقه، فيكون الموظف المنتسب له في تركه كالعاصب الذي لم يتمتع بعصه، لا هو حصل منه عني شيء، ولا سم من ورده، وإما أن يضطره إلى دفع الرشوة، التي نحن رسول الله ﷺ أحدها ومعطيها، والواسطة فيها، وهي السحت الذي يسميه الناس عمولة

والرشوة أنواعها وطرقها تعددت هذه الأيام، فقد تدفع بواسطة العملاء، وقد تدفع مباشرة، وقد تدفع عرضاً من المتجدين والمتجرات من الدين والحنو، فتقضى الحاجات ولو كانت محظورة بقضاء الشهوات وقد تدفع مقبضة بالمصالح والخدمات، فقد صار الناس في المقايضة بالخدمات لا يتسرون ولا سحرحون، وأول شيء يوده به عند التعارف، موقع العمل، والخدمات التي يمكن أن يقدمها من يعرف نفسه، فإن كان في موقع له أهمية في الخدمات الحياتية، وجد لقوله استحساناً عند سامعه، وحفظ السامع اسمه وعنوانه وهاتفه، وإن كان غير ذلك، كأن يكون طالت أو مدرساً، صرف عنه النظر وترك لشأنه. وصار الناس بسبب ذلك يصرفون عن الالتحاق بالأعمال النافعة، التي لا ترجى منها مقايضة عاجلة، ويتقننون عني المواطنين الأخرى التي تصلح للمقايضة، ليصل إليها من يصلح لها ومن لا يصلح، ويدلت أقرب معاهد التعليم ومدارسه من المعلمين النابهين

والمقايضة بالخدمات تجرؤ على طلب ما لا تحله لوائح ولا قوانين لأعرانها، فهي سبب بصفة، وكل سلف مردوداً وتكون النتيجة صباغ الصمير، وحيمة المسئولية، صنع المعنويين على أمرهم حقوقهم، والتجاوز بإعطاء من ترجى المقبضة معه ما يصعه القادون

أما الموظف الذي لا يملك توقيعاً غالي الثمن، فالوظيفة له تسية، يحصر مسمى شيء، ويعيب مسمى شيء، ويوكل من يوقع عنه دعااتر الحضور والانصراف، مُسْتَعِدَّة بالساعة والدقيقة دوراً، ثم يبحث عن فتوى لتحليل المرتب إن كان من أنصاف المتدربين، وإلا فهو في عنى عن الحلال، لأنه لم يعد يفكر فيه. وإذا حضر بعد العياب والتأخر

الطويل تجمع مع زملائه، أو زميلاته في غرفة، وقضى الساعات المصعبة في السببية،
 والمؤاساة والحكايات، احتلاط مشوه، وحلوة محرمة، وعزل مطر، ومكلمات في
 الهدف في المكاتب مع السات والنساء لمواعيد اللقاء، من الكبر والشباب على
 السواء، محصور الناس دون استحياء. ولشيوع هذا الحلق القديم، وشيوع المعاصي
 صار العرف لا يستكر ذلك، ويقف صاحب الحاجة وربما كان الوقوف يؤلمه لسه
 أو مرضه على الموظف الرمن الطويل، وهو في مكائفة من هذه المكلمات،
 لا يمتص إليه، ولا يرفع إليه رأساً، بل يعد حضوره في ذلك انوقف مصيبة برلت به!!
 فقد الإحساس بالمسئولية، وفساد الصمير والتسبب، وتعطيل مصالح الناس،
 وعدم إتقان العمل، وتراكمه، وإهماله حتى تصعب الأوراق والمستندات، ويضيع معها
 الحق. صار مظهرًا من مظاهر الوظيفة بين المسلمين يأتي صاحب الحاجة الذي
 لا حول له ولا طول من مكان قريب أو بعيد، ليراجع الموظف الذي وصعت له
 (لافة) عند رأسه تذكره بحديث النبي ﷺ. **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ
 يَتَّقَهُ»** ^(١)، فيجد المراجع اللافة، ولا يجد الموظف، وإذا وحده بجده حسداً،
 بلا روح، عادت قانطاً، لم يسمع بعد بأن الكلمة الطيبة صدقة ^(٢)، مع أنها في حقه
 واحدة وليس صدقة، فهي حرة من عمله الواجب عليه، ولم يعرف أن التسمك في
 وجهه أحيث، لك صدقة ^(٣)، ولا أن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ^(٤)،
 أين الأوراق؟ احص الأوراق، أين الملف؟ ضاع الملف، وإذا احص صاحب الشا
 أو أظهر عدم رصاء، وعرف من حاله أنه ممن لا يقع يرتجئ منه في مكان آخر، سمع
 ما يسوء، وصحت أذنه ما يثير ويعيط، ولو اشتكى الموظف الذي عطل له عمله بعد
 المراجعات المتكررة إلى رئيسه لينصفه منه، ازداد المكر به، وكان كالمستجير من
 الرمضاء بالنار، وعليه أن يئأس من الوصول إلى حاجته بعد الشكوى حتى لو أظهر له
 المدير التعاطف في ظاهر الحال، لأن رئيس الإدارة في بلاد الروتين يعد الشكوى في

(١) رواه أبو يعنى رحمه الله بغير تدقيق وثقة ابن حبان وضعفه جماعة، مجمع تروكيد ٩٨

(٢) حديث خرجه شعاري انظر الشعاري مع فتح الشعاري ٥٦/١٣

(٣) سمرندي حديث رقم ١٩٥٦ و٥٧ - حور غريب

(٤) مسلم حديث رقم ٢٦٩٩

أحد موظفيه طعناً فيه شخصياً! ودليلاً على عدم كفايته، وضعف قدراته على تسيير العمل ونجاحه، فالمسألة مسألة اعتبار!

عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يقف له بلال أو سلمان فيقول له: «لَوْ رَأَيْنَا فِيكَ اغْوِخَاخًا لَقَوْمَنَا بِبُيُوتِنَا، فيقول الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا رأى في أعوجاجنا قومني بسيفه»^(١) وكان من حطة أبي بكر رضي الله عنه عندما تولى أمر المسلمين «إن أحسب فأعيبوني، وإن أسأت فقوموني». والمدير في أيامنا لا يسمح أن يهيم مرءوسه بتقصير، ناهيك أن يتهم هو ذاته!! والسبب أن الموظف لم يؤمن بعد أن الوظيفة تكليف ومستولية، كما فهمها أبو بكر رضي الله عنه والمؤمنون، يوم كان الإنسان حراً من سلوكهم، وليست مزايا ومنافع ذاتية، ولم يؤمن بعد بأن وقته حلال ساعدت عمه مدك وظيفته، وليس له منه شيء لنفسه، وأن أجره ومرته لا يحل له منه إلا بقدر ما أعطى من عمل حقيقى لوظيفته، وأنه يحرم عليه منه إلا بقدر ما أعطى من عمل حقيقى لوظيفته، وأنه يحرم عليه منه بقدر تفريطه وتقصيره، فهو على ذلك تعاقب وأحر نفسه، والوفاء بالعقود واجب، قال تعالى ﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة ١]

لأنه لم يوصل إلى الخدمات اليومية المعتادة في الإدارات من شعاعيات ووحدات ووسائل ومعرفة، ومن لا يقدم بين يدي طلبه شيئاً من ذلك لا يندفع إليه، ولا يؤبه به، وهكذا يفعل التخلف، وضعف الإيمان، وعزله عن السلوك، وغيب القنوب الرادع، والشعور بالنقص فعلة في إفساد أخلاق الناس ومصالحهم، وبطام حيلتهم، والروح بهم في معاناة يومية، تأكل طاقاتهم وأموالهم وأوقاتهم وحساساتهم، وتشدهم إلى تحبب بعض، في الوقت الذي احتفت فيه هذه المفردات الواسطة والشميع والمحسوبة من قواميس الإدارة في البلاد المتحضرة، ليس اختفاؤها ديانة، ولكن لاحترام القنوب، فصم الجميع الوصول إلى الخدمات والحقوق دون عداء، ومن أقصر طريق، ووجهوا طاقاتهم وأوقاتهم وجهودهم الصائفة عند غيرهم إلى عمل ما يفعهم ويقع الناس، فمتى يفيق المسلمون، ويدركون أن في إيمانهم حقيقة مفقودة هي السلوك^(٢)

(١) حاشه ابن مكي ١٢٢/١

فتن كقطع الليل

حاء في الصحيح عن النبي ﷺ «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَإِنَّا نَقْطَعُ اللَّيْلَ الْمُظْلِمَ بِضُحَى الرَّجُلِ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِي كَافِرًا أَوْ يُؤْمِي مُؤْمِنًا وَيُضْحِي كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١)، وقال ﷺ «يَتَأَمُّ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُضْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوُكْبِ ثُمَّ يَتَأَمُّ النَّوْمَةَ فَتُضْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ الْمَجَلِّ كَجَمْرِ دُخْرَجَتِهِ عَلَى رِجْلِكَ فَتَقِظُ فَتَرَاهُ مُشْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَضِيحُ النَّاسُ بِبَيِّنَتِهِ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيَقَالَ إِنَّ فِي بَيْتِي فُلَانٌ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَغْفَلَهُ وَمَا ظَرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(٢)

الفس جمع فتنة، وهي ما ينلئ به الإنسان ويختبر به في دينه، وقد شبهها النبي ﷺ لكثرتها وتدحسها وتعاقبها بقطع الليل المظلم، وبأنها تموح كموح البحر، وأنها تُعرض على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فهي ملحة متكررة متعاقبة، تسد الألف كإطلام الدامس وتعمر الناس كما يعمرهم البحر لا يسجو قلب من العرض عبيد، والساحي من طودها قليل، من الناس من تأخذة أحذة واحدة، ومنهم من تنكت في فمه نكتة صغيرة، ثم لا تزال تكبر وتفسد، وتعفن حتى يصير القلب أسود مرئًا، لا يعرف معروفًا، ولا يكره مكروًا، ومن عصمه الله تعالى منها أنكره، فحرج على قلب أبيض مثل الصفا، كما أحبر النبي ﷺ وفيما يلي نماذج من هذه الفس الممتعة المتكررة في أيامنا التي لا يُتغلب عليها إلا سلاح الإيمان

فتنة الاعتقاد

فتنة العقيدة هي أشد الفتن، وإن كان في غيرها ما يؤدي إليها، وهي أنواع، وعدل ما تكون متاع قوي وطوائف وأحزاب تنكت سواء السبيل، وهي كثيرة تراند أهميتها على السعير، كما أحبر النبي ﷺ، الساحي منها واحدة، وهم من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، وسلف الأمة، إذ لا يشك أحد في أنهم من الطائفة الدحية، المرحومة، المرصى عنها من ربها، ومن كان على طريقهم كان ناجيًا مثلهم وما عدا سيدهم من لسل، مما تسمى باسم آخر اقترب منهم أو تباعد، فاتباعه هو من الفتنة

(١) مسلم حديث رقم ٦١٨

(٢) مسند حديث رقم ٦٤٩٧

في العقيدة، وقربه من رحمة ربه يكون بقدر قربه مما كان عليه سلف الأمة، وبعده عنها بقدر بعده عنهم، فمن شاء أن يسدد ويقارب فليسدّد، ومن شاء أن يباعد فليبعد، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَسْبَاطَ قَوْمِكُمْ عَنْ سَبِيلِ﴾ [الأنعام ١٥٣] والناس عن عقائدهم لا يترحرون، وهم بها فرحون، مهما كانت باطلة أو ناقصة، كما أخبر القرآن ﴿كُلُّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم ٣٢]

مهم العلماء الذي يأخذ من الدين ويترك، ويرى في تحكيم شرع الله وحكمه تحقّق ورجوعاً إلى الوري، ومنهم المفرط المحرف للكلم عن مواضعه، المؤول لوضح دلالات لقوان، المنكر لبيان السنة وتشريعها للأحكام، ومنهم المتشدد المكفر لعامة المسلمين، أو المفسق لهم والمدع، كما كان حال الحوارج، ومن يهيج بهجهم، وقربهم، ومنهم المنتسب المعصر للصحابة، الذين زكاهم القرآن، المدعي حبّ آل البيت، أو المتعلق بالتفسيرات الباطنة للشرعة، المعرض عن طواهرها التي بيها النبي ﷺ بأفعاله وأقواله وتقريراته، ومنهم من يجعل لتدين باطلاً وظاهراً ويجعل لنفسه الحق في تقسيم أمر الدين إلى حقيقة وشرعة

وبالجملة فكل الفرق والاتجاهات الفكرية والعقائدية في العصر الحاضر هي فروع صرحت بصلة ممتدة ومنعت من أصول أسلافها القديمة (سأنة، أو حارحية، أو معرلة، أو جهمية، أو شيعة رافضة، أو باطية، أو إناسية إلى غير ذلك، وإن لم تنسب بتلك الأسماء) وسبيل الله تعالى واحدة، وما عداها فهو من السبل التي أحرر القرآن أنها تفرق عن سبيل الله، فمن عبد الله من مسعود ﷺ أنه قال «قَالَ خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا يَكُونُ، ثُمَّ قَالَ «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، قَالَ ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ «هَذِهِ السُّبُلُ، وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ «وَلَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَتْسَابَ﴾ [الأنعام ١٥٣]

الافتتان بالأضرحة

ومن فئة العقيدة المنتشرة في بلاد المسلمين شرقها وغربها، الفئة بالأضرحة وكراماتها، والأكل باسمها والتعيش عليها، وجعل أعياد سوية لها تشد إليها الرحال، وتدبح عذبة القرائين، وتلتبس عذها الحوائج، مع الزعم أن من حضرها عفرت ذنوبه، وأعطى سؤله، وقصيت حاجته، وشفيت مريضه، وفُرجت كربته، وحُلت

صانفته، إلى أحر مما لا يقدر عليه إلا الرب تبارك وتعالى، ولم يعط قط لمحجوب، بل ردوا على ذلك عجباً، فجعلوا لها تخصصات كتخصص العيادات الطبية، الفسري العلاجي لمرض الرأس والصداع، و(الشقيقة)، وأحر لمرض العين، وأحر (لريشة) وأحر تذهب إليه إن كسب تريد العمرة أو الحج، إلى غير ذلك من الخرافات والكذب الذي لا يصدق شرع ولا عقل قال تعالى في حق رسوله ﷺ ﴿قُلْ لَا أَمِيكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَمَا مَسِّيَ الشَّيْءُ﴾ [الأعراف 188]، وما لا يملكه الرسول ﷺ لنفسه لا يملكه لغيره، فقد قال ﷺ لأهل بيته «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمِيكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»^(١)، وإذا كان هذا في حق رسول الله ﷺ في حياته فكيف بمن دونه من الأموات؟! هذا من جهة الشرع، أما من جهة العقل، فبأنه إذا كان هذا أو ذاك من الأموات قادراً على شفاء مريض، فلم لم يشف نفسه من المرض، وهو حي، فدفع عن نفسه الموت؟

فتنة اللسان

من فتنة القول أن الناس لا يؤاخذون أنفسهم بما تنطق ألسنتهم ولا يحاسبونها، وقد تكون الكلمة كبيرة من موقفات الذنوب، أو تستلزم الشرك، يكررها الدس وبألفه في حياتهم، ونعيش معهم، «يُضَيِّعُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُنْسِي كَافِرًا أَوْ يُنْسِي مُؤْمِنًا وَيُضَيِّعُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(٢)، كما أحر النبي ﷺ، وفي قوله يبيع دينة عرض من الدنيا إشارة إلى أن من هذه الفتى ما يؤدي إليه الطمع والتمنى لمن عده الدنيا، فيريه بكلمة تأخذ منه دينة، مقابل عرض من الدنيا

يجلس الرجل عند من له إليه حاجة، فيجده يتكلم بما لا يجوز؛ يبيع الحرام، ويمدح الباطل، أو يخوض في آيات الله بغير حق، أو يطعن في الشرع باختراعات من عده، فيجمله عليها لأجل حاجته عده، فيبيع عرضاً من الدنيا بدينة، قال تعالى ﴿وَلَوْ رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي بَيْنِنَا فَأَنْعَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَبِيبِ عَرِيَّةٍ﴾ [الأنعام 68]، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا عَلَى كَفَرٍ أَنْ إِذَا جِئْتُمْ بِلَاكٍ لَكُمْ يَكْفُرُ بِهَا وَتُسْتَهْرَ

(١) مسلم حديث رقم ٢٠٥

(٢) مسلم حديث رقم ٦٦٨

بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ إِنَّكُمْ إِذَا يَشْتَمُونَ ﴿١١٠﴾ [النساء ١١٠]،
 وَقَالَ ﷺ إِنَّ الْمَعْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ^(١)، قَالَ تَعَالَى ﴿وَتَحْسَبُوهُ هَيَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور ١٠]،
 «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ
 أَلْسِنَتِهِمْ»^(٢)، فَبِهَا بَعْضُ مِنْ فَتْنَةِ الْقَوْلِ

فتنة الانقياد للشهوات

أما فتنة الانقياد إلى الشهوات ومد العيش إلى زهرة الحياة، فكما فتح على الناس
 من الدنيا ورحمها، فتح عليهم منها باب حديد، قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى
 مَا مَتَّعَتْ بِهِ دُونَكُمْ مِنْهُ ثُمَّ تَرْغَبُ إِلَيْهِ بِمَغْرِبٍ أَلَدٍ﴾ [طه ١٣١]، فتنة جمع المال، وكسبه
 وتصريفه، فتنة لساء وما أكثرها، إغراء بتقليد ما ينفع وما يضر، إغراء في الدس
 والريسة، والتلويح، والاحتلاط، والحروج لحاجة ولغير حاجة، والمرأة راحة،
 وأحب وأم، فما يقع للأاعد منهن يقع للغيران، وما يقع للغيران يقع للأخت
 وللمروحة، فبما أن يطيع الرجل روحه وأهله في رعاتهم، وهي لعب ولهو ورسة
 وتصحر وتكاثروا، وإما أن يكون غريباً مسوداً شاداً معرولاً، وما عساه أن يقدم اليبر،
 وهذا من الفتنة في الأهل ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَاسُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَكْبَرُ
 عَظِيمٌ﴾ [التعين ١٠]

اليوب الف سماع العناء، وتصنيع الساعات الطويلة أمام الشدائد الصغيرة،
 والمسسلات لى لا يرى فيها مهما اختلفت أسماؤها إلا مصمون واحد، تشرك فيه
 على تدبيل أهدافها وتخصصاتها . هو استهلاك الوقت والافتتان بالديب، ومديب
 الحياة وشهواتها، وإشراقها في القلب، حتى تملك على المرء نفسه، فيصيح وبسم
 عبيها، ولا يفكر في غيرها، ولا في الحصول إلا عليها، ليزل بعد ذلك العالي
 والنميس في اقتداء تلك العاديات، والحصول على تلك الشهوات، والحنق بأحلاق
 أهله، والنشبه بهم في لباسهم، وفي كلامهم، وفي سلوكهم، وفي اهتماماتهم
 السيئة، فيبدأ أحسن ما عنده للحصول على أحط ما عندهم

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٨٨

(٢) مسر سريسي حديث رقم ٢١١٦

يبد العرس والشرف، ويبدل الدين والعروة، كل ذلك لتوصل إلى بعض ما أشرته نفسه من الفتن، التي يمسى ويصح عليها، والحصيلة كلها اثر سيئة، أهونها ما تورثه من قسوة القلب وبلادة الحس عند المسلم، والتعلق بسليات الحضارة العربية، بتقييد أهلها في كل ما يفسد الأخلاق ويعلم الجريمة ويرفع الحياء الأم والسات يلبسن القصير والعاري، الذي يكشف الصدور والأكتاف، والأساء داخل البيت مع الأحوات غري الأفخاذ، في لباس قصير محدد، تكرر منه العورة المعطاة، بل يحرقون بذلك الناس إلى الطرقات مع القعة على الرأس، تطبيقاً لما ألفوا رؤوه من حلال الشائت على واقع حياتهن، ومن لم يصل إلى هذا المستوى في الناس العاري، فهو لا يزال متخلفاً!!

الكيس لا يعطى الفرصة لهذه الشائت الصغيرة في السبوت تسرق وقته ووقت أسرته وأطفاله، وتفسد أخلاقهم وسلوكهم، بل يراقبها بحذر، فلا يأخذ منها إلا ما كان محقق لنع، وهو قليل قليل

لأن حر من الفتن، حفلات النساء في الأفراح وأسوع المواليد في الصالات، وفي المادق بالمقوى العائنية بالآلاف الجنيهات - يحضرها النساء كاسيات عذبات، يخدمهن ولدن وشباب من مختلف الجنسيات، والعتديات يشترطن عند إقامة هذه الحفلات أن يقوم بالخدمة فتيات، وينسبن الإسراف والتهاوي والتجسس والنصص (بالكمرات) الخفية السرية، والظاهرة العلنية، الذي لا تأمه المرأة في مثل هذه الأماكن!!

رب البيت الذي جعله الله تعالى راعياً في أهل بيته ومسئولاً عن رعيته، إن سبس له قيدهم، واتقوا الله تعالى وأطاعوه، وميروا بين ما ينعهم وما ينصرهم، فيحمد الله، وهذا هو النادر المستثنى من القاعدة ومن كان على القاعدة والأصل الذي عليه عامة الناس، فإنه إن أراد السلامة ونصح لأهل بيته كما أمره به، ففرص عبيهم داب الإسلام وشرائعه، ومنع عنهم عوائل الشيطان ومصلاته، في ماكنهم وممسهم، ومدخلهم ومخرجهم، وتعليمهم، وحلهم وترحالهم، وترويحهم عن أنفسهم وقضاء أوقاتهم عاش عرة بينهم، واحتاح في مجاهدتهم عن الحق إلى محادثة العدو ﴿يَتَأْتِيهَا الذبِكُ غَمَواً يَكُ مِنْ أَرْوِيكُمْ وَأُولِيكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ

فَأَعَدُّهُمْ ﴿التعابى ١٤﴾، وإن تركهم على ما يهوون هناك وهتكوا، فإن الله تعالى مسئله عن رعيته

ومعنى كونه مسئولا. أن الله سيوقفه للحساب ويسأله عن أهل بيته، هل يدل لهم من الرعية والوقت والصبح والترية منذ أن ولأه الله تعالى عبيهم ما نعمهم الفضائل، وشرع الدين وسس المسلمين، أم تهاون وفرط، وترك الحل عبي العادب، وقضى معظم وقته خارج البيت، في الريارات والحكبات، ومؤاسسة الأصحاب، واللهو والمعب، حتى استفحل الداء، وكسر الأساء عبي سرقة الجيران، وتعاطي المحذرات، وترك الدراسة، ومصاحبة أهل السوء، واتسع الحرق عبي الرافق، ووجد نفسه عاجزا أمام طوفان حار، وانحراف واضح، ومن سلاحة أضسه كما أصلب غيره

تربية أهل لبيب ورعاينهم، وتفقدهم المتواصل الدائم عادة، يؤجر عبيها ولي أمرهم، وأي عادة بطاع الله تعالى بها، وتكون سببا في دخول الجنة، وتدل بها أعلى الدرجات، لأنها من العمل الصالح الذي لا ينقطع إن أحسها وأعطاه حقه، وهي مقدمة على السنن والفضائل، ولو كانت عبادات محصية، كالأدكار والمسابك المدونة؛ لأنها حق واجب عليه، ولا يفرض في الواجب، يأتي بالسلس والمدود إلا السطل العاطل، ومن بعد عن الفلاح جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَّرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَأَسَهُنَّ مِنْ جِلْدِيهِ كُرَّ لَهُ جَعَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وقال ﷺ «... فَإِنَّ لِحَبْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِمَنْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(٢)، وفي حديث مسدد «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَاعط لكل ذي حق حقه»^(٣)

غربة الحق

معنى ما جاء عن النبي ﷺ في الفتر أن الساعة لا تقوم حتى يأتي عني الناس

(١) سنن أبي ماجه حديث رقم ٣٦٦٩

(٢) البحاري حديث رقم ١٩٧٥

(٣) البحاري حديث رقم ١٩٦٨

رمان لا يعرفون معروفًا ولا يكرهون مكْرًا^(١)، وأنه ترجع للدين عرته كما بدأ، ويصح القاصر على ديه كالقاصر على الجمر يستهجر الناس عمنه، ويكر تمسكه كل من حوله، حتى أهله وحيرانه ودويه، فإن صعوبة أن يحمل الإنسان على الحق أهل بيته وحيرانه ودويه، أتت من جهة أنهم لا يكرهون ما أنكره، ولا يستحسنون ما استحسسه. انقلب الموازين واحتلت المعايير، صار المكْر معروفًا، والغريب مألوفًا، والحياء والفصيلة عجزًا وحمودًا، والاحلال تحررًا ورقيًا، والصدق والأمانة عفة وبلاهة، والكذب والخلف دكاء وقطة يقولون عن أنفسهم أليسوا هم مثل الناس؟^(٢) فم لتقيد والانصا، والتحفظ والحرم وحياء الجد؟ على حين أن حياء الحيران، والأقارب والأصحاب لهو ولعب، والاحلال واطلاق بلا قيود، ما قدروا عليه بإمكاناتهم قدروا، وما لم يقدروا عليه وصلوا إليه بإمكاناتهم الألفة الذكر، شتم الدين، وندب العرض، واستعمال مهارات العصر، فما المانع أن نكون مثهم^(٣)

التقليد الأعمى (زي الناس)!!

كلمة شاع على الأفواه، ليس مثلها في اقتحام الشر وتبريره لفظ، سلاح فداك يبرره المحطون أخطاءهم، فدا قيل لأحدهم كيف تفعل هذا؟ ما لا يشك هو نفسه في فساده وإفساده، قال: (زي الناس) ليس أضل ممن عمى الله قلبه، وأضل معيه، فأعرض عن قول ربه، وهدى نبيه ﷺ، واحتج على إعراضه عن ربه بعمل الناس الساطل، وضلالهم الفاسد، قال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَجِيَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وقال سبحانه ﴿مَنْ عَمِلْ خَيْرًا فَلْيَنْتَظِرْ وَمَنْ سَاءَ فَتَيَبْهُ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال ﷺ ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحِينُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا﴾^(٤)

(١) معنى حديث رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٩٢٥

(٢) من الترمذي حديث رقم ٢٠٠٧

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

من شعب الإيمان

فرائض وسنن مضيعة:

عمدة الناس يعرف من الإيمان كلمة التوحيد، والميم بعض الفرائض كالصلاة ولصيام والحج، ويجعلون ذلك هو الإيمان والدين الكامل! كم في الدين من فرائض غير هذه لأركان مضيعة، يفعل عنها المسلمون! وكم فيه من سنن وآداب هي من العمل الصالح، يزهد فيها الزاهدون!

لا يجوز الإقدام على عمل حتى يعلم حكم الله فيه

من الفرائض المضيعة، التي تسى عليها صحة كثير من الأعمال أو مصادها في حياة الناس، مع العمى عنها، أنه لا يجوز الإقدام على أمر حتى يعلم حكم الله فيه الشائع في الناس اليوم أنهم يقدمون على الأمر الذي لا يعرفون حكمه في شرع، ما دم معلوم الكسب، راح الصفقة، ما دامت ترتاح إليه النفس ويشتهه الطمع، أو نحوه النساء، ويرعبه الأهل، وبوافق الأعراف والعادات، ولا يحظر العمل بهذه القاعدة على البال

الإقدام على العمل قبل معرفه حكمه يترتب عليه معاصد لا نحصى، يترتب عليه أن الإنسان قد يمضي أعماراً وأعواناً من عمره لتحل الحرام، أو يحرم الحلال، أو يبدع ما ليس بدعة، ويكر ما هو سنة، قد يعقد العقود الفاسدة، ويأكل أموال الناس بالئثم والباطل، أو يكر ما لا يجوز إنكاره، أو يفتق ماله وجهده في معصية، بطئه قرينة وجهاداً وطاعة، يعتقد أنه يحسن بذلك صنفاً، وهو من الأخسرين أعمالاً، الذين هل سمعهم في الحياة الدنيا، وقد يعرض نفسه للمحنة مما يحبه سنة، على حين أن

المحنة أصابته من جهله بالسنة تمضي السنين وهو على ذلك يصرب في عبادات وأخطاء، عقائد باطلة، أو معاملات فاسدة، أو عبادات محتنة، حتى ألف ما هو عليه، فإن حاول منه تصحيحاً لعصر ما أله، ورافق سني عمره هذا الأمد الطويل، سمعت عجباً، كأنك تأتيه بدين حديد ولسان حاله يقول ما سمعت بهذا في الأمة الأحرى، وهذا تكلم الخطورة، فالبدعة عنده أصبحت ديناً، وفطم الناس عما يألفونه دونه الصعاب والشدائد، وبحب الجبال بالأغلاير أهون من تحويل صاحب بدعة عن معتقده كما يقولون

النصح في الدين من الإيمان

النصح في الدين من الأمور التي كان رسول الله ﷺ يأخذ عليها البيعة، كما يأخذها على عقد الإيمان، ففي الصحيح من حديث جرير بن عبد الله البجلي، قال «دبعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١)، والنصح ضد العش، ومعناه توحى ما ينفع الغير، ويصلح به أمره في دينه ودينه، من قول أو عمل، في الأمور الناطقة، والظاهرة، فالناطقة كحب الحير والمودة للمؤمنين، وفي الحسد ولعصر والكراهية والتكرار عليهم، والظاهرة، بتحذيرهم مما يصرفهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم، وكف الأذى عنهم باليد واللسان

هذا هو معنى النصح لعناد الله الواحد على عامة الناس، الذي كان حرماً من بيعة الإيمان، ولا إحالك واحداً في قانون الشر قاعدة في التعاضل أشمل للحير، ولا أسعد للغير، من هذا المعنى الذي دلت عليه كلمة النصيحة، فهي تقي بما يجب للمسلم على المسلم من حقوق وما يرعب فيه من آداب وسلوك، وتعد كل تقصير في حق الغير، من قريب ذي رحم، أو حار أو أحم في الإسلام عتياً، ونقص لجبراً من البيعة على الإيمان والنصح المخاطب به كل مسلم هو النصح لله ولرسوله ولكونه ولدينه ولعامة المسلمين

النصح لله

النصح لله، يكون بتوحيده، وتربيته، والاستسلام إليه، والالتقيد له، والإيمان

(١) البخاري حديث رقم ٥٧

والحضور لأمره، والتحاكم إليه، وإحلاصه وحله بالعادة دون سواء، وعاداته بما شرع من الدين، لا بما تحبه النفوس وتهواه، ومحبة وتقديمها على النفس والأهل والمال، وتطبيق ذلك كله قولاً وعملاً واعتقاداً، بحيث إذا حكم الله بحكم وقف المسلم عنده، وامثله وطقه على نفسه، وألزم به أهله وبيته، ولا يعداه إلى غيره، فالصالح له ثمرته الإيمان والعمل الصالح اللذان هما الطريق إلى رضوان الله والسعادة في الأولى والآخرة

النصح لرسول الله ﷺ

والنصح لرسوله ﷺ يكون بالإيمان سوته، وتصديقه في كل ما جاء به عن ربه، والشهادة له بالرسالة، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه أكرم الخلق على الله، ومبدأ الأولين والآخريين من عباد الله، في الدنيا والآخرة، والتمس طاعته فيما أمر به ونهى عنه، وموالاته من والآله ومعاداة من عاداه، وتوقيره وتعزيته ومحبة وتقديمها على النفس والمال والأهل، ومحبة آل بيته، وتعظيم سنته وإحيائها بعد موته بالنفقة فيها، والذب عنها، والعمل بها، وشرها، والدعوة إليها، والتحنن بأحلافه الكريمة، واعتقاد أن كل حسنة وحير وفلاح يفعلها أحد من هذه الأمة، هو سيئه ومصدره والداعي إليه، فله من الخير مثله من غير أن ينقص من أجور العامين من أمته شيء والنصح لأئمة المسلمين بطاعتهم في الحق، ومعاونتهم عليه، وتذكيرهم به

النصح لكتاب الله

والنصح لكتاب الله، يكون بالإيمان به، وتحسين تلاوته، وتدبر سوره، وتوقيره وتعظيمه، والحاكم إليه عند الشارح، وحمل نصوصه على الدلالة الواضحة الصحيحة، لئى تحمل عليها ألقاظ الشارع دون تمحل وتكلف، أو تأويل فسد وعند اختلاف الدلالة وقابلية الاجتهاد، يقدم الفهم الذي عليه حير القرون، الدين شهد لهم رسول الله ﷺ بالفصل والخير

وأهل العلم في هذا أعظم شأنًا من غيرهم، فإنهم المعيون بهذا الأمر، كما قال تعالى ﴿سَيُنْزِلُ الْغَائِبَاتِ وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران ١٨٧]، وأشد من كتمان العلم، تحريف الوحي وتأويله على غير وجهه، فمن حرف كلمًا عن مواضعه، أو أوله على غير وجهه ليدى، أو هوى في نفسه، كان ممن لا حلاق لهم في الآخرة، ولا ينكسهم

الله، ولا ينظر إليهم، ولا يركبهم ولهم عذاب أليم

النصيحة الملقاة على كاهل العلماء

من الإيمان أن يصح أهل العلم لدين الله، ويرهوه عن الأقوال الداطنة المداغمة
لما بعث الله به رسوله من اليبات والهدى، وأن يفتوا الناس بالصحيح من الأقوال،
ويحسموه على الحق، ولا يوافقوهم على جهالاتهم وأخطائهم وأهوائهم،
فيكسبهم موافقتهم إياهم على باطلهم بحصوره معهم، وإقرارهم عليه،
أو الدعوة إليه مشروعية في أعين الناس، يصلون بها كثيرا منهم، وبدلت بحسب
أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم، قال تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِسَافَةِ وَمِنْ
أَوْزَرِ الَّذِينَ يُفْتَلُونَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِسَافَةِ مَا يُرْزَوْنَ﴾ [التحل ٢٥]

ومن من في الإسلام سنة سيئة فعلية وررها وورر من عمل بها إلى يوم القيامة،
وكل من هو مسوب إلى أهل العلم ويقتدي به الناس مع أن يصون نفسه عن حضور
الشهاد، لله المخالفات والمحرمات، ولا يتأول له من المحارج ما يتأول لغيره من
العمامة؛ لأنه يمثل الشرع الشريف، وهو قدوة المسلمين، فإنه أحق من يتبره ويأبى
نفسه عن بدله في كل موطن، لأن الله ﷻ احتاره واصطفاه لحمل شريعته، وتبني
دينه، فليحذر الصواب والأحوط في أقواله وأفعاله، فإنها عند الناس القدوة والشرع

لا يسعى لمن علمهم الله علما أن يجاملوا العامة في أعمالهم الحاطنة، ومعتقداتهم
الفاصلة فيقروهم عليها، ولا أن يبرروا للمجتمعات، متمدة كدت أو مخرقة،
حروحا عن أحكام الشريعة، تحت ضغط تعيرات العصر، ومتطلبات المدينة،
أو دفا لهمة التحلف، التي لا ينفك أعداء الإسلام عن رمي المسمين بها،
ليسخنوه على الاقتراب من مفاهيمهم المخلطة، وشعاراتهم غير الدينية، تحت مدأ
اليسير ورفع الحرج، أو التأويل للنصوص بما يلائم العصر، أو اسدأ إلى إراء في
الفقه متأخرة، خلطت العقائد والتعبيدات بكثير من الخرافات، في كتب تحتاج هي
داتها إلى تمحيص وتحقيب، لمرارة ما حاء فيها، ومحالفة لما تصدرب عليه
النصوص، وما فهمه منها الأولون، وما دبو به في الكتب المتقدمة، خصوص أن كثيرا
من هذه الآراء المناخرة صدرت من أصحابها في عصور اتسمت بالركود العلمي،
وشطط فيها الحرافات في المعتقدات، وانتعد الناس فيها عن صانع التشريع، وما

كان عليه الأئمة المتقدمون الأعلام، فلا يجوز التعلق بما جاء فيها، والإعراض عما سواه من اليباب الواضحة في هدي حير العباد، وهدي حلقائه وأصحابه، وأئمة الدين الذين هم يقتدى، والنقل عنهم صحيح بالسند المتصل فالأخذ بمثل هذه الآراء والأقوال العريضة المتأخرة في مقابل ما ذكر من النصوص الواضحة المسددة خصوصاً في مسائل العقائد من أعظم الخطر في الدين

والعقل من عمة الناس من التجار والعمال والصناع لا يفعل ذلك في مسألة من أمور الدنيا، والخطب فيها هين، إذ لو عرض له أمران أحدهما مأمون السلامة، والآخر يحتمل السلامة والخطر، فإنه لا يرضى لنفسه إلا بصفة مأمونة، فكيف بأهل العلم الذين نصرهم الله تعالى بدينه، وأخذ عليهم الحيثاق ﴿لَيَنْتَهِنَنَّ بَنَاتٍ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران ١٨٧]، كيف يتركون الواضح المنقول بالسند الصحيح عن المعصوم، وعن حير القرون، إلى أقاويل متأخرة، مخالفة لهم؟ ليس فيها لنفسي بها رواية ولا إسناد^(١)، ولا تدري ظروف أصحابها عند صدورها عنهم، ولا ما إذا كانوا قد تركوها أو أقاموا عليها، ثم هي بعد ذلك قول من لم تثبت له عصمة، يؤخذ من قوله ويترك

والواحب علي من أعطاه الله تعالى علماً أن يذل النصح للمسلمين، لا يذكر على ما علق بمعتقداتهم وعاداتهم من مخالفات، وتسيبهم إلى ما نحن معدلاتهم وعقودهم من فساد، لا يقرأهم عليها، والبحث لهم عن المبررات والمعددين، فهو داعية إلى الله ورسوله، وأولى الناس بالنصح لعباد الله، ورسالته إحقاق الحق، ودعوة الناس إليه، وتصحيح عقائدهم وأعمالهم ابتغاء رضوان الله تعالى، وليس مؤولاً يؤول لنصوص، ويبرر الأخطاء، ويبارك ما تهواه النفوس من العوائد والتقاليد، فإن رصا الناس غاية لا تدرك كما يقول الشافعي رحمه الله «فعبث بالامر الذي يصحح فالومه، ودع ما سواه ولا تعانه» ومن اتلى معتوى فأول ما يبدأ به نفسه فيحذرهما، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرَٰثَوْهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ٦٤]، كتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنه «سلام عليك، أما بفد: فإنني سمعتُ

(١) من قبل لا تدري من وشهره به الكتب إلى أصحابها أعب عن رويته ولا إسناد، هذا هو الصحيح.

وكرر ذلك لا يتم إلا بعد التحقيق ومقابلة المطوع بها على مخطوط محمد

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ التَّمَسَّ رِضَاَ اللَّهِ سَخَطَ النَّاسُ كَفَاءَ اللَّهِ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَاَ النَّاسِ سَخَطَ اللَّهُ وَكَفَّلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ^(١)

واحب أهل العلم أن يحملوا العامة على الحق، ويسكروا عندهم جهالاتهم، ويدلوا جهدهم في تعليمهم لتصحيح أعمالهم، لا أن يمرعوا وسعهم في الاعذار لهم، والمحتل لتصحيح أخطائهم وعمل من يفعل ذلك عمل العاشر غير الناصح، المفرط فيما أوثمن عليه، كالطبيب الذي يطمئن المريض ويوهمه أنه صحيح لا يحصح إلى دواء والداء في أحشائه يسري، حتى يقضي عليه^(٢)

تحري الفتوى بصحيح الأقوال

من الأمانة لعلم ألا يأخذ العالم بالتسليم كل ما يجده في كتب المتأخرين، فإن فيه الحق والباطل، والعت والسمير، وليعرض ما وجده في هذه الكتب من كل ما هو من الدين، ويتقرب به إلى رب العالمين، يعرضه على ما فهمه الأولون والأئمة الذين يقتدى بهم من سنن الإسلام وهدى، يأخذ به، ويترك ما تركوه، فإنهم كانوا أكثر الناس عتاً وأقلهم تكلفاً، وأبعدهم عن الخرافات والإحداث في الدين، وألزم بقوى الله تعالى، وهدى رسوله ﷺ من غيرهم، فأصول العلوم الشرعية عن عهدهم قد دوت وأسس، وما أتى به من بعدهم فهو تسيط وتوسيع لما قعدوه ويبين على ما هم أسوء، ويبين لما أحملوه، وما خالفهم أحد في شيء يقول على مخالفة

وما حد من النوازل لا يسمع من النظر فيه، لكن ينظر فيه على طريقة المهتدين المبهدين، طريقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيما جد عليهما، كان أبو بكر رضي الله عنه إذا حد عليه أمر ينظر، فإن وجد فيه لرسول الله ﷺ حكماً حكماً به، فإن لم يجد جمع ما كان معه من الصحابة ومشايرهم فاجتهدوا. وعمر كان يعرض النازلة على ما حكم به رسول الله ﷺ، فإن لم يجد له فيها حكماً، نظر هل حكم فيها أبو بكر شيء، فإن حكم بها فلا يتعدى حكمه، فإن لم يجد جمع من معه من الصحابة واجتهدوا هذه سيرة من أمرنا رسول الله ﷺ بالافتاء بهم، فينعي لمن تأخر عنهم أن يستد

(١) الترمذي حديث رقم ٢٤١٤، وقد اختلف الترمذي في وجهه ووجهه. وصحح من حاد تحديث مروغداً، نظر

تحفة الأحوي شرح حديث رقم ٢٤١٤

(٢) انظر الملو في السير، مؤلف من ٥

مستكنهم، فينظر فيما فهمه أهل القرون الأولى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مما له تعنى بالدلالة باستنساخ أو تخريج عليه، فلا يتعداه، خصوصاً إذا اتفقوا، كما في مسائل الاعتقاد، فالمجاة لا تكون في اتساع غير سيلهم، فإنهم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالفصل، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ التَّوْحِيدِ لَأُولَٰئِكَ مَا تَأْتِي وَتُنْفِئَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥]

النصيحة المطلوبة من عامة المسلمين

والصالح لعامة المسلمين المطلوب من كل مسلم أن لا يظلمهم ولا يسمهم، ولا يعصهم ولا يحسدهم، ولا يعشهم، ولا يخونهم، أو يتخونهم، ولا يعصهم، ولا يعتد بهم، ولا يشهد عليهم برور أو كذب، ولا يدعى عليهم باطل، ويوصل إليهم حقوقهم، ولا يحسدوا، ويعين محتاجهم، ويرفق بصعيبهم، ويصبر مطبومهم، ويعود مريضهم، ويعفو عن مسيئتهم، ولا يقطع لهم رحماً، ولا يؤدي جازاً، ويدعو لهم بظهر الغيب، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويبدأهم بالسلام، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه هذا بعض النصائح للمسلمين التي قدس به إيمان المؤمنين، وهو من حصال الإيمان وشعنه، انظر كم فيه من فرائض مصيبة، ومن مهجورة، وكان الكلام عليها صار ضرباً من الخيال، لعدده عن واقع الناس الذين جعلوا الفرائض لا تتعدى أركان الإسلام الخمسة، إلا من رحم ربك

الحب في الله والبغض في الله

الحب في الله هو محبة أحد لصفة فيه تقرب إلى الله تعالى، كاتصافه بالإيمان والتقوى، أو الصديق والعمل الصالح، أو لعلمه الذي يرجئ به هداية الناس ومعهم في الآخرة. والحب على هذا الوجه من الإيمان، وهو راجع إلى محبة الله تعالى ورسوله، فمن أحب أحداً لهذه الصفات، فبما أحبه لأجل الله، وذلك من طاعة الله ﷻ

وكل مسلم مأمور بمحبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين ممن كان عنى صفة من صفات الإيمان والعمل الصالح، سواء كان حياً أو ميتاً، فمحبة الأموات من الأسيء والصحة والتعين والعلماء والعاد الصالحين، واجبة كمحبة الأحياء من أهل الإيمان والطاعة ومن أحب المرء لا يحبه إلا لله وجد حلاوة الإيمان، وكان ممن

يطلبهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ومن أحب مسيماً لإيمانه وطاعته في الله لا شيء آخر، قال له الملك إني رسول الله إليك بأن الله أحسن كما أحسنه فيه، كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ^(١)

وكما يجب الحب في الله يجب العص في الله، وانترك في الله، فمن أحسنه لطاعته واستقامته ونفعه لعاد الله بما يعود عليهم في صلاح دينهم، عليك أن تبعض غيره في الله لمعصيته وظلمه وتفريطه ويعطى كل مسلم من المحبة والعص بقدر ما فيه من خير أو شر، فالمسلم لو لم يكن فيه إلا الإيمان فإنه يحب لإيمانه ويصبر لإيمانه، ولا يجوز حدلانه وموالاته الكافر عليه، فمن فعل ذلك يوله الله تعالى ما تولى ﴿وَمَنْ يُوَلِّمْ يَنْكُرْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ [المائدة ٥١]، وهو وعيد شديد أكده الله تعالى في آيات كثيرة من القرآن، نفى فيها الإيمان عن ماصر كافراً عنى مسيماً، أو أبده عليه وتوالاته والتأيد المعنوي أو المادي أو الانضمام إلى حلفه وجره بما يقوي شوكرته ويسقط يهوده وشره قال تعالى ﴿تَرَكْنَا كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُوَ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة ٨٠]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة ٢٢]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٧١]

ويبعض المسم لعصيانه وظلمه بقدر ما فيه من ظلم وعصيان والعص يكون بالقلب، ويكون بالفعل والهجر والأصل في الهجر والعص للمعصية حدث الثلاثة الذين تحنصوا عن عروة توك، فإن النبي ﷺ أمر بهجرهم وترك كلامهم وسددهم حتى صاقت عليهم الأرض بما رحبت، قال تعالى ﴿وَعَلَّ أَلْسِنَتَهُ لِيَلْزِمَ الْخُلُوفَ حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة ١١٨]، ولكن الهجر مشروع بقدر ما يوقع منه من تقليل المعصية أو دوالها، فإن كان يؤدي إلى نقانها أو قوة المسك بها، فلا يكون مشروعاً وتركه أولى، فقد هجر النبي ﷺ أقواماً وتآلف آخرين، وكما تعظم محبة المسم بعظم الطاعة، يعظم بعصه بعظم المعصية، فليس بعص كعص

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٢٥٦٧

هجران أهل البدع

من الدين والإيمان هجران المستدع الداعي إلى بدعته، وهجران الفاسق والعاصي المحاهر بنسقه، قال تعالى ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسِكُمُ النَّارُ﴾ [هود ١١٣]، قال القرطبي إنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحتهم كفر أو معصية، إذ الصحة لا تكون إلا عن مودة^(١) وقال تعالى عن المنافقين ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِلَّا إِذَا يَبْتَهَمُ﴾ [النساء ١٤٠]، قال الصحاك دخل في هذه الآية كل محدث في الدين مستدع إلى يوم القيمة، وقد أمرت الآية باحتسابهم والقعود معهم ومجالستهم، لأن من لم يجلسهم يكون قد رصي معهم، والوصف بالصلال صلال، فكل من جلس مجلسهم ولم يكر عبثهم يكون شريكاً لهم في نور^(٢)، وقال تعالى ﴿وَلَا تَأْتِ الْيَهُودَ يَحُضُّونَ وَإِنَّا فَأَنزَلْنَاهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام ٦٨]، قال ابن العربي وهذا دليل على أن مجالسة أهل الكسائر لا تحل، وقال ابن حوير ممداد مع أصحابا مجالسة الكفار وأهل البدع، وألا تعتقد مودتهم، ولا يسمع كلامهم، ولا ماظرتهم

وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي: اسمع مني كلمة واحدة، فأعرض عنه، وقد ولا نصف كلمة ومثله مروى عن أيوب السخيتي، وقد الفصيل بن عياض «من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأحرج نور الإسلام من قلبه، ومن روح كريمة من مستدع فقد قطع رحمها»، أي لأن المستدع يطلب هجره^(٣)

وكذا يقولون: لا تجالسوهم وإن ذبوا عن السنة، لأنهم لا يفعلون ذلك إلا لترويح باطلهم، ولو اعتقدوا محبة السنة حقاً ما أقاموا على البدعة قال مالك ولا يُسَمَّ عبثهم، وهجرهم إما هو لإلجائهم بالهجر إلى اعتقاد الحق وليأدب بدلت غيرهم، وقد ترك النبي ﷺ الصلاة على المدين والعات، وحالهما أحسن من حال المستدع الدعية، وبهي الناس أن يكلموا الثلاثة الذين تخلعوا عن الجهاد لمجرد أنه خاف عليهم الصق

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩٣/٩

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦ ٢٩٧

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٧

ولا عية في المستدع الداعية، والمجاهر بالمعصية، مذكر حالهما بالفسق لمن سأل
عنهما، فإن كان المستدع غير مجاهر بدعته، فإنه يصح ويكفي عسى أن يوب،
ولا يجتنب ولا يشهر به، فإن الستر على المسلم مطلوب، وهو من الإيمان، ومن سر
عن مسلم ستره الله يوم القيامة كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ
فيسعي هجر لمستدع الداعي إلى بدعته، وعلى أهل الفصل أن يهجره حين وميض،
ولا يشيعوا حديثه رجلاً لأمثاله^(١) وكان السلف يهون عن النظر في كتب أهل البدع
والاستماع إلى كلامهم والمقام معهم، لما يورثه من الظلمة وفساد القلب، قال
ابن القاسم سمعت مالكا يقول لا يحل لأحد أن يقيم بلد يسب فيها السلف^(٢)

ولهجر المبتدع شرطان

- ١ أن تكون البية في هجره طاعة لله تعالى ، كراهية لبدعة داتها، لأنها معصية
وطعن، لا لأمر آخر من أمور الدنيا
- ٢ أن يكون في الهجر مصلحة، إما لأن هجره يجره ويرجر أمثاله، أو يقوي به
إيمان من هم على الحق إذا رأوا صاحب البدعة مهجوراً، فإن لم يكن في الهجر
مصلحة بقوي به الحق، بأن كان لا تأثير له أصلاً، أو كان الهجران يؤدي إلى مسكر
أشد لم يكن مطلوباً، فصاحب الحق مع صاحب البدعة كالمطبيب مع المريض، يحذر
له أسبب الأدوية بالمقدار الذي ينفعه، حين يظن أنه ينفعه ويحقق مصلحة الدين، فإن
كان الدواء يبيح على المريض أوحاشاً أخرى كامة في بدعه، ولا مصلحة معه، ففي
إعطائه إياه هلاكه^(٣)

قال ابن عبد البر «في حديث كعب في قصة الثلاثة الذين حلفوا دليل على أنه
حائز أن يهجر المرء أحاه إذا بدت منه بدعة، أو فاحشة يرجو أن يكون هجره تأديتاً
له ورجحاً عنه^(٤). وفي زاد المعاد^(٥) وفيه أي حديث الثلاثة الذين تحلفوا عن

(١) انظر الآداب الشرعية ٢٢٩/١، وموسوعة الفقه الكويتي، مادة (سب)قرة ٣٧

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤٨٤/١

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٢١٢

(٤) التمهيد ٦/١١٨

(٥) ٢٤/٣

عروة تنوك دليل على هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يسوجب العيب، ويكون هجرانه دواء له، بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يريد في الكمية والكيفية عليه فيهنكه، إذ المراد تأديبه، لا إتلافه.

ولهجر لعص الناس أضع، والتأليف لعصهم أضع، وقد كان النبي ﷺ يبالغ قوماً، ويهجر آخرين^(١)

إمالة الأذى عن الطريق

قال ﷺ «الْإِيمَانُ يَضَعُ وَيَسْبُحُونَ أَوْ يَضَعُ وَيَسْتُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَالَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(٢) وفي الموطأ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «يَتِمَّا رَحُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ حُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَفَقَرَ لَهُ»^(٣)، وفي لفظ آخر «حوسب رجل فلم يوجد له من الخير إلا حصن شوك نحاء عن الطريق ففقر له»^(٤)، وفي لفظ عبد مسلم، فقال «وَاللَّهِ لَا نَحِيَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ»^(٥)

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا، تَقَلَّبَ فِي الْحَنَةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَمَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»^(٦) وعن أبي هريرة، قال «قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَذْرِي لَعَنَى أَنْ تَمْضِيَ وَأَبْقَى بِعَدُكَ، فَرَوَدْنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «افْعَلْ كَذَا، افْعَلْ كَذَا، أَبُو بَكْرٍ نَسِيَهُ، وَأَمِيرُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(٧)، وفي رواية قال قلت «يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَلِمَنِي شَيْئًا أَنْتَعَمَ بِهِ قَالَ اغْرِزِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»^(٨)

وعنى هذا، فهم أصحاب رسول الله ﷺ الإيمان وحصانه، إمالة الأذى عن الطريق

(١) نظر مجموع سنن أبي داود ٢٨/٦-٢٠

(٢) مسلم حديث رقم ٣٥

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٦٥٤

(٤) سنن أبي داود ٢٢/١٣

(٥) مسلم حديث رقم ١٩١٤

(٦) مسلم حديث رقم ١٩١٤

(٧) مسلم حديث رقم ٢٦١٨

(٨) مسلم حديث رقم ٢٦١٨

عندهم من الإيمان، لأن دفع الضرر عن المسلمين وإزالة الخير لهم هو مقتضى الدين والصيحة والمحنة للمؤمنين، وهذه الخصلة من الإيمان التي شكر الله فاعبها ووعد الجنة هي على صعرها تشرح صدر المؤمنين، لأنها تدل على حضارة هذا الدين مد أن أكرمهم الله ﷺ على لسان نبيه ﷺ، وما تحمله رسالته الحادثة لمشرة من نظم الحياة الرقية، بالمفهوم المعصري المرقى، التي شملت فيما شملت المحافظة على نظافة الإسكان، ونظافة البيئة، وإزالة الأذى عن الطريق، بتحسينها، وتمهيدها، وإصلاح المسد منها، وإقامة المعوج، وإصاعة المظلم، وتوسيع الضيق وإزالة كل عائق يصد بهاء وحمالها، وطيب هوائها ونقاها، فإن ذلك وغيره مما يوفر الأمن والراحة الدنية والنفسية للسالكين فجاءها، راكبين أو ماشيين، كله داخل في إمطة الأذى عن الطريق، الذي هو من شعب الإيمان، يؤجر عليه العبد وثب وتعمر به دنوه، ويقلب به في نعيم الجنة

وكان المسلم حين يحافظ على هذه الشعبة من الإيمان، بهذا المفهوم الشامل الكامل يسير في شوارع أرقى مدن العالم حضارة ونظافة وجمالاً، حيث سسحي الممر أن يصبى تحت قدميه، لما يخشى من تلوث الطريق، ولما يخشى من الاشمزاز من فعله والإنكار عليه

أين هد الإيمان الذي يؤكد عليه حديث إمطة الأذى عن الطريق مما عليه تصرفات المسلمين في أكثر بلاد المسلمين؟ إنهم لا يحسون بمسئولية تقصير في هذا الجانب الإيماني في حياتهم اليومية، يحرج الجار كرامة بيته بما تضمنه من عفونات وروائح كريهة فيبقىها وسط الطريق ولا يبالى، هذا إن كان مع جاره على مودة ووافق، وإلا فلا يجاوز بها باب حارة على عقلة منه، فيدخل فيمن لا يأمن جاره بوائقه، ويكون ممن حرم الله تعالى عليه الجنة كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ^(١)، يدل أن تدحبه إمطة الأذى عن الطريق الجنة

وشأ عن هذا التهاون حائل من الأوساخ والمخلفات والعفونات في طرقات المسلمين، وضطروا لحرقها بالنار داخل المدن ووسط السكان، وبذلك تصل سمومها ودخانها وروائحها الكريهة كل بيت، فتلوثت البيئة، ودفع الجميع النثر

(١) البخاري حديث رقم ٦٠١٦

بعضاً، بظهور أمراض بينهم استعصت على العلاج

فبيته من به شيء من التهاون في هذه الشعة من الإيمان إلى أن الله لا يعرب عنه مثقال ذرة، ولا يحصى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وكل شيء عنده في كتاب، يصعق الموارد القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وأن من ادعى المسممين في طرقهم، وشأ عن أداء صرر مباشر أو بعيد، مما لا يحصى عن عدم الله هو مستوفى عما صنع، ومقتضى منه لمن ظلمه، فانظر يا من تؤدي المسممين في طرقهم كم من حصماء لك بين يدي الله تعالى ١

الإتفاق في السفه والبخل في الواجبات

تعق الأسرة أموالاً كثيرة هي إلى السفه أقرب منها إلى الرشاد، ليست من ضروريات الحياة ولا من لوازمها، منها ما الإتفاق فيه من الكناثر وصرح الحرام كالخمر والمحدثات والربى والنساء والإتفاق على معاصي أخرى، كأشرطة العدا والحلاعة ولعري، ومشاهدة الدعارة والصورة العارية التي صارت بفصل القوات الفضائية ومواقع الحاسوب في تناول كل من يريد

ومنها ما هو منع وتسلية بعضها مباح، وأعله محرم أو مشوه، لا تكاد تجد بيت في الأحياء ذات الدحل المحدود غير مشترك في الث الث الفضائي، أو لم يصب صاحب ينقطع به محطات الحر الليل، أو لا ينفق على السجائر كل يوم ديناراً عنى الأقل، في الوقت الذي يترك الماء الأسود وغير الأسود يجري من بيته إلى الطرقات، ويرمي حرق المحابص وبراز صغاره خارج بيته على خطوات، ولا يستقطع من نفقته الطائشة من يؤجره على نقل ما يكف أداء عن المسلمين أي سفه وتفریط في حقوق المسممين أيس من هذا ٢٢٢ المؤمن الذي يستحق وصف الإيمان يستقطع من قوته الضروري، من حيز يومه، مكثفياً بنصف ما يستح حاجته من الطعام لمن يقوم له بهذا الواجب المتعين، لا أن ينفق ماله على السفاقة، ويرمي بعبه على عباد الله، فيأبى الله المشكى

الصبر من الإيمان

ليس كالصبر عون على إتقان العمل، وأداء الحقوق، وتقديم الواجبات عنى أحسن وجه وأكمل، لنا كتاب أكثر حصال الإيمان وشعه داحدة تحب الصبر، حتى ورد أنه نصف الإيمان

الصبر على العمل ابتداء ودواما

ما من عمل من الأعمال الصالحة بأنواعها، في العادة والمعامرة، إلا ويصح إلى الصبر في مراحلها الثلاثة، قبل البدء، وفي الأثناء، وبعد الانتهاء. ففي البدء يكون الصبر بتصحيح الية، والإخلاص، وتصفيته من شوائب الرياء، وهوى النفس، وحب الشاء والمدح، وإطلاع الناس، ولا أشق على النفس من معالجة ذلك، ولعل هذا من أسرار تقديم الصبر على العمل في قوله تعالى ﴿لَا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود ٩١]، وقد تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة ٥].

والصبر في الأثناء هو الصبر على العمل بعد الدخول فيه، وذلك بإتقانه وإكماله وأدائه على أحسن وجهه، وأفضل صورته، ومراعاة كامل أذانه وفضائله، ولعل هذا من أسرار وصف المستحقين لأحور عملهم بالصبر في قوله تعالى ﴿يَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [التكوير ٥٨، ٥٩]، أي على إتقان العمل وإتمامه، فكثيرا ما يصيب العامل فتور وتطيف وقصور، وأحيانا تفرط وإهمال، لقلة الصبر في العمل، فالتفرط والإهمال، عادة ما يكون عند ضعف الإيمان، مع غياب القابول الرادع في الإحلال بالأعمال التي يتقاضى الناس عليها الأجور، ولا تعود عندهم حسرتها بطريق مباشر إذا أهملوها، كعمال الحكومات، والمصانع، والمؤسسات، في البلاد التي ضعف فيها إيمان المؤمنين وصبر العاملين أو غاب

وأم الأمور ولقصور، مع المحافظة على هيئة العمل وصورته، فيظهر جيب فيما كان من العمل عادة لله حالصة، لا يتنظر العامل فيها مودة صديق، ولا مكافأة دي حبه وسطون، فقد يصلي المصلي، ويصوم الصائم كيفما اتفق، فلا يحسن ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها، ولا يترك في صومه الدعو والرفث، فلا يصبر على ذلك كله، فإذا ما دعاه صديقه أو ولي نعمته من العباد لأن يقوم له بعمل، صبر عليه، وبدد وسعه في أن يكون العمل على أتم وجه وأحسنه وأتقنه، وتمنَّه سكف الاعداء به، ليرصيه ويحصل على ثباته، مع تهاونه في أداء ما وجب له عليه، والله بذلك أحق، ولصبر على أداء ما يستحقه أوجب، مع ما فيه من الجراء الحسن، ووفاء أجر الصابرين بغير حساب

والصبر على العمل بعد الفراغ منه يكون بعدم ذكره وعدم التحدث به، وترك العمل

والشهرة والإعجاب بالنفس، وتحليصه من السمعة والرياء، وكل ما يبطئه ويحطئه، قال تعالى ﴿وَلَا تُطْلَوْا أَعْدَكُمْ﴾ [محمد ٢٣]، وقال تعالى ﴿لَا تُطْلَوْا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى﴾ [القرة ٢٦٤]

الصبر على المصيبة

من الإيمان الصبر على المصيبة، والصبر على المصيبة معناه التحمل والسجود، وصبر النفس، والسيطرة عليها، وعدم إظهار الجرع والهلع، وذلك بتعيب باعث الدين في النفس، على باعث الشهوة والرعة العاجلة وقد ذكر الله تعالى الصبر في أكثر من سبعين موضعا في القرآن، ومدح الصابرين مدحا لم يجعله لغيرهم، فجمع لهم ثلاث حصال شاء الله تعالى عليهم، ورحمته، ووصفهم بالمهتدين، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [القرة ١٠٧] وما من قوة إلا وأحرها بتحديد ومقدار، إلا الصبر فقال ﷺ عنه ﴿يَمَّا يَوْفَى الصَّبْرُونَ أَكْرَمَهُمْ بِمَنْزِلَتِهِمْ﴾ [الزمر ١٠]، ولا يتم الصبر إلا بمطابقة القلب للسن والأعمال، فلا يقع التحمل باللسان، والعمل مخالف، أو القلب جارح بما فيه، متطوع لشهوة المحرمة، وطاعة الشيطان، فإذا قال المصاب بلسانه إنا لله وإن إليه راجعون، عليه أن يكون في نفسه تسليم لله بقضائه حقا، وعمله على مقتضى الأمر صدق، فلا يصدر منه لفظ اعتراض ولا لوم ولا استعجاب بما قص ذلك، فلا يقول مع الأسر حرج سم يا رب؟ ولا كيف حصل هذا لي؟ أو لم لا يحصل لغيري؟ أو لم أتوقع حصول ما حصل لي، ولا يصدر منه عمل مخالف، كلطم الخدود، وشق الجيوب، أو الإحلال بواجب فإن ذلك يتضمن الاعتراض على القدر المأبى للصبر

والصبر على المصائب لا يقيد صاحبه إلا إذا تجمل به عند الصدمة الأولى، أول بروز المصيبة، فمن صبر عندها رزق الهداية والرحمة، وشاء الله تبارك وتعالى عليه، قال ﷺ ﴿إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدمةِ الْأُولَى﴾^(١) وصبر العاقل في أول لحظة، وصبر الأحمق بعد ثلاث، ولا مرة للصبر بعد ثلاث فكل الناس بعده يصبر ويحرج عن مقام الصابرين من أظهر الكائن والجرن غير المتعاد في مدس، أو فراش، أو مطعم، أو أهل عملا أو نكاحا، أو غير ذلك من كل ما هو داخل تحت احتيظه،

(١) البخاري حديث رقم ١٢٨٣

لِقَاءَنَا وَرَمُوا بِمُحِبَّةِ الدُّنْيَا وَالطَّمَاثُوتَ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ لَنَا سَإِرٌ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس ٨، ٧]

ويأتي أبص من جهة سيات أن ما أعطيه الإنسان منها من مناع وولد ونعم هو
عارية، قد يُسلنه ويقفده في أي لحظة شاء الله تعالى ذلك، ومع سيد هذه الحقيقة
يحرع الإنسان أشد الجرع إذا مسه الضر، ويتصور وقوع المصيبة كأنه اعتداء عليه،
لا قدر يجب التسليم له، يعقل المنسخط عن أن أصل النعمة هبة أعطيت له بعد أن
كان لا شيء عنده، كما يعقل عن الحقوق الواجبة عليه إراءها، كتشكر والذكر
والركة والصدقة، والمجدة، والمعروف، وإعانة الملهوف بالمال واليد واللسان،
وهذا هو السر في أن الابتلاء بالنعم أشد من الابتلاء بالقم، لما للنعم من حقوق
وتعبد، ولأن الضر على الجوع عند فقد الطعام أحف من الضر عليه عند حصوره،
ومن العصمة ألا تجدد.

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

حماية التوحيد

سد ذرائع الانحراف في العقيدة:

أقدم للإسلام أول ما أقام في نفوس المسلمين التوحيد، وأركان الإيمان، فلما استقر ذلك واكتمل شرع من الأحكام ما يحمي التوحيد والإيمان، ويحققه على أكمل وجه، وذلك بسد أبواب نواقضه ومفاسده التي تؤدي إلى الشرك وعنده غير الله وبذلك أكمل الله تعالى الدين، وأتم على عباده النعمة، فلم تترك الشريعة باباً من الفصول يرسخ لتوحيد، وتقوي الإيمان إلا فحسبه، ودعيت إليه ورعيت فيه، ولم تترك باباً منحرافات والمفاسد يحل بالتوحيد وينقص عرى الإيمان، أو يذهب به لا سده، وحذرت منه أعظم تحذير، بالنهاي الصريح، أو بصرب الأمثلة وأخذ العبرة من الأسم السابقة، ممن خرجوا عن طريق الحق، وما آل إليه حالهم من الكفر والعصيان، وما برل بهم من العذاب، في سداعاب ظنوها في نادى أمرهم عذاب وطاعة تقرب إلى الله تعالى.

وفيما يلي التبيه على أهم التطبيقات العملية السلوكية، التي شرعت لحماية الإيمان والتوحيد في عقيدة المسلم

إخلاص العمل لله ومراتبه:

إخلاص العمل لله معناه: ألا يقصد به غيره. وقصد غيره بالعمل معناه الرياء، والرياء لا يقبل الله تعالى معه عمل، فإن الله ﷻ يقول للمرائين «اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءَوْنَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَعْبُدُونَ عَنْدهُمْ جَزَاءً»^(١) فمن كان عمله لله وإدار

(١) مسند أحمد حديث رقم ٢٣١١٩

الأجرة، كان سعيه مشكوراً، وأجره موفوراً، وعمله مقبولاً، ومن كان عمله لحظ نفسه وريته الدنيء وإرضاء العباد، عجل الله تعالى له من الدنيء ما كسبه له منها، وليس له في الأجرة من نصيب قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ لِحَبِوةٍ لَدُنِّي وَيَتَّبِعْ يُوفِ إِلَهُمُ أَجْرَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْصُونَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحُطِّبَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبُطِّلَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود ١٥، ١٦]، وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ آجَالَهُ سَيَنْفِ لَمْ يَهْأَلْ مَا نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَوْ جَهَنَّمَ يَصْنَعُهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الاسراء ١٨، ١٩]، وقد تعالى ﴿مَنْ كَانَتْ تُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَمْ يَفِ حَرْثُهُ وَمَنْ كَانَتْ تُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُزَتْ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَفِ الْآخِرَةُ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى ٢٠]، وليس على النفس شيء أشد من الإخلاص؛ لأنه ليس لها منه نصيب، وكان بعضهم يقول كم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه سب فيه على لون آخر^(١)

وكان من دعاء مطرّف بن عبد الله اللهم إني أستعفرك مما تبت إليك منه، ثم عذب فيه، وأستعفرك مما جعلته لك عن نفسي، ثم لم أوف به لك، وأستعفرك مما رعمت أني أردت به وحبك، فخالط قلبي منه ما قد علمت^(٢)

وأكمل العمل ما قصد به وجه الله ابتداءً ودواماً، ولم يحصل منه لنفس حظ في الدنيا أصلاً، من شهرة، أو مال، أو ذكر حسن، لا ابتداءً ولا انتهاء، وهي المرتبة الأولى في الإخلاص، مرتبة من أنفق حتى لا تعلم شمائله ما تنفق بميمه، فبمع من الإخلاص عذبه، ولم يرح من غير الله شيئاً

ويحقق هذه المرتبة وإن كانت دويها من كان عمله لله خالصاً، ثم ألقى الله به الناء الحسن في قلوب الناس، وفرح بفصل الله ورحمته واستشعر، دون أن يعبر ذلك عنه وإخلاصه لله، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال قيل لرسول الله ﷺ «أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَمْعَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(٣)، وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال. يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يَمْعَلُ

(١) جامع هود و يحكم من ٢٤

(٢) جامع هود و يحكم من ٢٤

(٣) مسلم حديث رقم ٢٦٤٢

الْعَمَلُ قَبِيرُهُ فَإِذَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَضَجَبَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ أَجْرَانِ، أَجْرُ السُّرِّ وَأَخْرُ الْمَلَانِيَّةِ^(١)

المرتبة الثانية أن يكون أصل العمل لله، ثم تطرأ على صاحبه بية الردء والإعصاف بالنفس، فإن كان مجرد حاطر ودفعه عن نفسه، فلا يضره، ولا يفسد العمل اتفاقاً، وإن استرسل معه فيحتاج إلى تجديد بية إن كان العمل لا ترتبط صحة أوله بآخره، كالقرعة والذكر، وإشفاق الحال وتعليم العلم، فإن لم يجدد نيته لله كان العمل الطارئ باطلاً

أما العمل الذي ترتبط صحة آخره بأوله، كالصلاة والحج، فقيل - طرق الرياء أثناءه بفسده، لدخول الرياء عليه، وقيل لا يفسده، عملاً بأصل البية الصحيحة، ويدل على عدم الفساد ما رواه أبو داود في المراسيل عن عطاء الحراسبي أن رجلاً قال يا رسول الله، إن بنى مسلحة كلهم يقاتل، فمهم من يقاتل لندبنا، ومهم من يقتل نجدة، ومهم من يقاتل ابتغاء وجه الله، فأبهم الشهيد، قال كنههم، إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا^(٢)

المرتبة الثالثة أن يكون الناعث على العمل وجه الله وحمد الناس، بأن يريد صاحبه الدار الآخرة وعرض الدنيا، فهذا من العمل الناطل، حرج السنائي من حدث أبي أمامة رضي الله عنه قال «حَاءَ رَحُلٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَرًّا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا شَيْءَ لَهُ، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا شَيْءَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَنِي بِهِ وَخُفَّهُ»^(٣)

التحذير من الغلو

مما حمى به الإسلام التوحيد، أنه حذر من الغلو والإفراط في كل ما يعتقد أن مودته من الإيمان، ومحنته من الدين، كالغلو في الأسياء والأولياء والشيوخ، والعبو في الكرامات وحمل لكل شيء ميراثاً، إذا طعنى وجاوز حده تحول إلى صده، فأوجب

(١) سريدي حديث رقم ٢٣٨٤

(٢) جامع خلوة و حكمه من ٢٣

(٣) سريدي حديث رقم ٣١٤٠

محبة الأسياء والصالحين والتصديق بكراماتهم، وجعل محبتهم من الإيمان، لأن من أحبهم أحب الله تعالى وأحب طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، ولكن محبتهم ليست هي العبودية، فمحبتهم طاعة، والعلو فيهم معصية، والفرق بين المحبة والعبودية يلتبس على الجاهل والعافل، لكن لا يلتبس على العالم، والمؤمن الميسر.

والعلو فيهم مجاوزة الحد في مدحهم وإطرائهم، ونسبة أمور إليهم هي من خصائص الربوبية، ولم يجعلها الله لأحد من خلقه. والمغالي لا يقف به العبود عند حد، بل يبدأ غلوه صغيراً، ثم يتدرج به حتى يجعله يعتقد ما لم يشرعه الله تعالى، فقد غالى النصارى في عيسى عليه السلام، واستهين بهم الأمر إلى أن جعلوه رباً، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ [النساء ١٧١]، وقال ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُفِّرْنَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُو فِي الدِّينِ»^(١)

التحذير من الغلو في رسول الله ﷺ

مما جاء في كلام وفد بني عامر حين قدموا على رسول الله ﷺ «فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ «الْيَدُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -» قُلْنَا وَأَنْضَلْنَا قَضَاً وَأَعْظَمْنَا طَوْلًا، فَقَالَ «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَغْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَنْجِرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»^(٢). نهاهم عن المبالغة في المدح، وقال لهم تكلموا بما يحصركم من القول، ولا تتكلفوا، كأنكم وكلاء للشيطان، تنطقون على لسانه. وقال ﷺ «لَا تُظَرُونِي كَمَا أَظَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٣)، وفي المسند عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال للبي ﷺ «يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ مَا أَحَبَّ أَنْ تَرْفَعُونِي قَوْقَ مَنْزِلِي الَّذِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ ﷻ»^(٤)

فليس من محبة رسول الله ﷺ وتوقيره المبالغة في إطرائه بما لا يحب، أو طلب

(١) ابن ماجه حديث رقم ٣٠٢٩

(٢) أبو داود حديث رقم ٨٨٠٦

(٣) البخاري حديث رقم ٣٤٤٥

(٤) مسند أحمد حديث رقم ١٢١٤١، مسنده صحيح ورجاه ثقات

شيء منه هو من حصائص النبوية، بل ذلك مما يعصّب الله ﷻ ورسوله ﷺ

الغلو في الأولياء وتعارضه مع التوحيد

على الناس في الأولياء، وفي الخوف منهم، حتى اعتقدوا أنهم يحرقون من قودهم، ويحصبون مع أهل (الحصرة) في الأصرحة، وأن لهم تصرفاً ومقامات، يفعلون من تنهى إليهم، ويصرون من يعترض عليهم، حتى صاروا يحشونهم ولا يخشون الله تعالى، ويهونونهم ولا يرهون الله تعالى، ويقدمون لهم الدور، ويطلبون منهم الحاجات، ويعتقدون فيهم النفع والنصر ويحشونهم بحبب الواحد منهم بالله كاداً، ولا يخشون سطوته وانتقامه، ولا يحببوا لولي كاداً، خوف من أن يكسر الولي ظهره، أو يخلى له داره، أو يفقده ولده، أو يصيبه بداء لا يقوه منه

وقد أدب الصالحات في تعظيم الأولياء إلى أن صارت مكانة الأولياء في قلوب العامة عند بروز المكروه أقرب إليهم من الناري ﷻ، فإذا ما سئل الواحد منهم صرّ فرع إلى الولي دليلاً والاستعانة، (يا سيدي فلان)، دون شعور ولا تردد، فطر كيف لعب الصالحة في التعظيم فعلها في العقلة عن الحي القيوم

والذين يبدون للولي ويستعينون به، ويأدونه لتفريح الكروب، وتحبب المصائب ورفع الشدائد، إذا قيل لهم إنه لا يُرْحَى غير الله تعالى، فهو وحده الذي سفع ويصر، وأن المدد والدعاء عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله، وافقوا على ذلك، وقالوا هو له، والولي واسطة لا ينفع ولا يضر، لكنه أقرب منا إلى الله، وله دلالة على مولاه، لذا نتقرب به إلى الله، فإن نُعِدّا عن الله تعالى ومعاصيه تحجب عن إحاطة الدعاء

لو سلمنا أن هذا هو حالهم حقيقة، وأنهم لا يقصدون مع الله غيره، مع أن أكثرهم لا يسم من اعتقاد أن للولي تأثيراً وتصرفاً، خصوصاً عندما ينادي الولي ويستعين باسمه عند بروز المكروه، فإنه لو لم يعتقد له فعلاً لما ناداه، لأن بداء من لا يقدر على دفع الضرر عند بروز الضرر، لا يصدر من عاقل، تدليل أنك لا تجد أحداً يستعين بماسن، أو ينادي عند الشدة ظالماً، لجرمه بعدم مع الماسن والظالم

أقول حتى لو سلموا من هذا الاعتقاد على بُعد السلامة منه، فإن ما يفعلونه يؤدي

إلى مفاسد، وهي أنه مخالف لما طله المولى ﷺ من عباده، فإنه سبحانه لم يطلب ما أن تتوسط بأحد إذا اتجهنا إليه لسمع دعاءنا، أو يرفع صرنا، بل قال سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [احقر ٦٠] ودعاء الأسياء في القرون ربا، ربا، بدون واسطة، وقد أمرنا ربا بالافتداء بهم ﴿فَيُهْدِيهِمْ أَفْقَدُ﴾ [الامام ٩٠] ويتر لنا المولى ﷺ أن الاستعانة لا تكون إلا به وحده لا بغيره، فعلم في فاتحة الكتاب التي يكرزها كل يوم في صلاتنا ﴿يَنَّاكَ نَعُوذُ وَإِنَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥]، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، وإلى ذلك أبصأ أرشدنا ووجهها رسول الله ﷺ «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١)، فما دلت شكك عن هدي الله تعالى وهدي رسوله ﷺ إلى تحرصات ليس عليها أثارة من علم!

شجبت كتب المناقب والكرامات عند المتأخرين، كمجمع الأسرار في مناقب محمد بن عيسى، ومختصر الرموز في مناقب عبد السلام، بحرايات وادعاءات لا أول لها ولا آخر، بسوها إلى بعض الأولياء، زورا وبهتان من غير تمحيص ولا تحقيق عمي، ولا عرض على الشريعة، وفيها ما هو كفر صريح، بشرها عمي العامة الذين بدعون حب الأولياء، ليرداد التعلق بهذه الكرامات، ومن سمت لها سبب أو دعوى وفائدة ذلك عند الذين يعيشون على هذا الأمر، انوصول إلى أموال الناس والهيمة عليهم باسم بركة الولي القلاي، وكرامات الولي القلاي، وأدى ذلك إلى أن صارت الألسنة تلجح بتمجيدهم وتعظيمهم، وبالعو في أمرهم، حتى بسوا إليهم أن من لم يعتقد فيهم، ويسلم لهم فيما قالوه من حق وباطل، يسلب منه الإيمان، ويموت عمي الكفر، أو تخلص داره، ويروون في ذلك حكايات، وقعت لفلان، وفلان من الناس، سلب من أحدهم الإيمان لاعتراضه على الشيخ بظاهر الشرع، إلى أن جاء تائيد ويريدون بذلك أنه يجب التسليم بكل ما يسبوه إلى الولي، سواء كان ما بسوه إليه مشروع بحدود قوله، أو كان منكرا من القول وزورا، فلان من التسليم، وإلا جاء المدير وهذه لحكايات هي من كيد إبليس وجوده، لأن الاسلام إليها وبشرها يؤدي إلى إبطال الشرع، يصنعها المتعيشون على أبواب الأصرحة من الحدم

(١) الترمذي حديث رقم ٢٥١٦ - ٥٥ - حسن صحيح

والأنتاع، الدين صدروا من أثرياء الناس، دون كسب ولا صفة
 يروي الشعراي أن شخصاً أنكر حضور مولد الشيخ أحمد الندوي، فسُب
 الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحر إلى دين الإسلام، فاستعاث بالشيخ، فقال شرط أن
 لا تعود، فقال: نعم، فرد إليه إيمانه^(١)

هذا الكلام وشبهه وأشد منه كثيراً، منسوب إلى عبد السلام الأسمر، ومحمد بن
 عيسى، وغيرهما من الأولياء وكل مسلم يعرف قدر الأولياء، ومرونتهم عند ربهم،
 لا يردد قطعاً في أن كل ولي لله تعالى بريء منه، لأنه يستحيل على ولي من أولياء
 الله تعالى محب لله ولرسوله وللمؤمنين، أن تكون كراماته سلب الإيمان عن
 المؤمنين وإحراجهم من الدين، ومحبة أن يموتوا على الكفر، أو محبة إخلاء ديارهم،
 أو إهلاك دررهم وأموالهم، فإن هذا من الفساد في الأرض، الذي لا يصح لأولياء
 الرحمن، ولا يصلح إلا لأولياء الشيطان، وقطاع الطرق

ومن سب إلى أولياء الله تعالى هذه الكرامات، فقد ظلمهم وأعدى عليهم،
 ونقص قدرهم، واتهمهم بالتعاون مع الشيطان، في إحراج الناس من النور إلى
 الظلمات، ومن إيمان إلى الكفر ﴿أَفَهُ وَبَىٰ إِلَيْكَ مَأْمُورًا نَحْرُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَأَنْتَ بِكَ كَفَرُوا أَوْلِيَانَهُمْ﴾ الْفُحُوتُ نَحْرُهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴿[القرة ٢٥٧]

ومن سب إلى أولياء الله هذا الظلم لا يكون من أوليائهم، ولا من محبيهم،
 ولا من مرديهم، ولا من أتاعهم، وإن رعم ذلك، بل حليق به أن يكون من أعدائهم
 ومعصيهم، لأنه سب لهم فعل ما لا يجوز شرعاً، وما هو كبيرة من المعاصي، إن لم
 يكن كفراً وقد ذكر العلماء في باب الردة إن من قال لغيره أمانته الله كفراً، وكان
 قصد، لذلك، فإنه يكفر، لأن الرضا بالكفر كفر، وإن قصد مجرد التعييط، فهي كفره
 خلاف^(٢)

فتكون سبة مثل هذه الكرامات إلى الأولياء من الشرور، والباطل الذي لا يرصده
 الله تعالى لأوليائه، ومن نسب لهم ذلك فقد عاداهم، وقد توعد الله تعالى في
 الحديث القدسي أن من عادى له ولياً فقد نازله بالحرب

(١) طبقات كبرى ص ١٦٢

(٢) انظر الحرشي مع حاشية الندوي ٦٥/٨

فمثلاً في مختصر البرموي المشار إليه انما من القصائد والكنيات المسبوبة إلى عبد السلام الأسمر أو غيره من الأولياء، لو كانوا أحياء، وهم على ما يُظنّ بهم من الولاية والعلم ما رصوا بسنتها إليهم، ولأوجعوا قائلها ومروج نشرها وتوزيعها نكالا وتأديبا، بل لأقاموا عليه حد الردقة، لما في بعضها من نشر البدع المفرط في تقدس الذات، ومشاركة الله تعالى فيما علم يقينا اختصاصه به من العلم والقدرة مما يوجب اعتقده لعبير الله تعالى الردّة واستتابة قائله، كالصعود إلى السماء، وإلى الرب تعالى كما يأتي في الكلام المنسوب إليه

قال حليل المالكي في باب الردّة، وهو يعدّد ما يكون به المسلم كافرا «كإلقاء مصحف في قدر أو ادّعى أنه يصعد إلى السماء، أو يعانق الحور»، وفي الشفاء لنقاضي عياض «وكذلك من ادّعى مجالسة الله والعروج إليه، ومكالمته، يعني أنه كافر بإجماع المسلمين»^(١)

فهل بصدى عاقل أن وليّا من أولياء الله تعالى يقول للناس في قصائده التي يطلب منهم أن يردّوها ويتعدّوا بها، يقول لهم فيها إنه صعد إلى العرش وسدرة المنتهى، وأنه صعد إلى الرب تعالى^(٢)، وأن رب العزة تجلّى له، وأنه يعلم ما في السماء وما تحت الأرض، وما في اللوح، وما كان وما سيكون، وما هو مشيت في الموح ومسوح^(٣)، وأنه يعلم ما في الكون والملكوت، وأنه يُبْري ويصر، وأحب إليه الموتى على يده^(٤)، وأن الشرق والعرب والعرب والعجم في قبضته^(٥)، وأنه يحصر لأتباعه عند المرج، فيقودون بحسن الخاتمة

وأن له في الجنة والنار أمرا وبهيا، وأن له علوما لا تقاد لها^(٦)

كل واحدة من هذه الدواهي توجب الردّة والكفر لمن نسبها إلى غير الله تعالى ، فكيف إذا اجتمعت

(١) مواهب الجليل ٢٨٠/٦

(٢) مختصر كتاب روضة الأرهار لمعلوف ١٠٣ والأصل (روضة الأرهار) لبرموي غير مطبوع

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق

(٦) مختصر البرموي ص ٩٩

أليس هذا من الدناس في الدين على الأولياء والصالحين؟ ألا يبقى الله ﷻ من يرد مثل هذه القصائد والحكايات، ويقتني الكتب التي اشتملت عليها، ويشربها ويبيعها ويظن أنه يتعبد بها، وهو يجعل لله ندا؟

ألا يبقى لله من يجلس إلى هذه الحكايات والقصائد، أو يسمع من يرددها، ولا يكر عليه ويحذره؟ إن التأليف المشتملة على مثل هذا الكلام، حتى لو صحت نسبتها إلى أصحابها، لا يجوز شرعا تداولها، ولا قراءتها ولا بيعها، ولا يقتدى بأهلها فيها باتفاق الأمة، لما تؤدي إليه من الفساد في الدين

وبعض هذه الكتب اشتملت مع ما فيها من الباطل على كلام من الحق، كالأمر بدفع القرون والسنة، والافتداء بهدي النبي ﷺ، والتوصية بالأدكار المشروعة، والأوراد القلبية

وهي بذلك تكون أخطر على الناس من الكتب التي تجرد لباطل وتمحست لفساد، لأن هذا يعظم الاعتزاز بها، والركون إليها، لما اشتملت عليه من الحق، وذلك لعدم تردد الناس في مصادة ما كان باطلا صرفا، ليس فيه وجه حق، فالريف المحض سرعان ما يصمحل، بخلاف المحتلط بالحق، فإن له ثباتا لما يصح من تنبئ حتى يبقى عنه أهل الحق انتحال المظللين، وجهل الغائبين

تخويف الناس بالكرامات وإفساد العقائد

الناس بحاجة إلى تعلم التوحيد تطبيقا وعملا، لا تعلمه مجرد دروس نظرية محسب، تجد الواحد حتى من الدارسين في التخصصات الأدبية يدرس مادة (التوحيد) في كتبه المشتملة على ما يجب الإيمان به، وما يجب لله تعالى من التوحيد، وإفراده بالتأثير والقدرة المطلقة، والإرادة المطلقة، والعلم الذي لا شريك فيه أحد وليس له حد، يدرس كل ذلك وغيره من صفات الباري وكمالاته

ولكنه في الجانب العملي التطبيقي في حياته يساق مع معتقدات العامة، بحرف الأموات والأصراحة، ويسب إليهم من الأفعال والأقوال والنعيبات والتأثيرات مما يسميه كرامات ما يتفانى مع ما تعلمه في معاهد العلم، ومع ما يتفانى مع إيمانه، فيتطير وينشأ، ويخاف الصر والنقع من غير الله تعالى، ويحسب ألف حسب لكنة من مدح لمبركة في عقله حلل، تريا يرى المجاديب وأهمل نفسه، ولو أراد هذا الأخير أن

يسب منه ماله لسله ولا يقدر أن يمتنع، خوف أن يضييه منه صر، فسوى من تعمد ومن جهل، وصار المتعلم سلوكه حجة للجاهل يستند عليها ليقيم على حبه، ولا يسمع من أحد نصحا ولا تعليما

الحلف بغير الله

مما شرع لحماية التوحيد الحلف تعظيماً للمخلوق به، والحالف إما يحلف بأعظم شيء يعتقد، ولما كان الله ﷻ أعظم شيء عند المؤمن، كان حبه المشروع إما هو بالله أو بصفة من صفاته، ولا يجوز له الحلف بغير الله، لأنه لا شيء غير الله يعظم تعظيمه. ومن حلف شيء غير ربه فكأنه عظمه تعظيمه، فسب مع الحلف بغير الله تعالى الخوف من أن يعظم المخلوق تعظيم الحائن، فكيف إذا سب بجرؤ على أن يحلف بالله كادبا، ولا يحسن انتقامه؟ ولا يحلف كادبا بأحد الأمور ممن يعتقد فيهم الإصلاح خوف أن يحل له داره، ويعاجله بالعقوبة، نس الجهل بمقام الله العظيم، سبحانه الله!! لا أحد أصبر على أدنى سمعه من الله

ومن فعل ذلك جاهلا بمقام ربه، غير متعمد لتعظيم غيره عليه، فإنه يؤدب تأديب سبعا، أما من قصد ذلك فجعل منزلة العبد فوق منزلة الرب فقد حرج عن الإسلام، ففي الصحيح من حديث عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «أَلَا، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ خَالِفاً فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فْلْيَضُمَّ»^(١)، وفي رواية «أَلَا مَنْ كَانَ خَالِفاً فَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٢) وفي حديث عبد الرحمن بن سمره، قال قال رسول الله ﷺ «لَا تُحْلِفُوا بِالطَّوْأخِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ»^(٣)، وفي حديث أبي هريرة، قال قال رسول الله ﷺ «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٤)، واللات اسم صنم كانوا يعبدونه في الجاهلية

وبذلك يعلم التحذير مما يجري على ألسنة الناس دون أن يقصدوه من الحلف بما طهره الخروج عن الملة، كهو يهودي، أو نصراني، أو برّيء من الإسلام، أو من

(١) البخاري حديث رقم ٦١٠٨

(٢) بخاري حديث رقم ٣٨٣٦

(٣) مسلم حديث رقم ١٦٤٨

(٤) البخاري حديث رقم ٤٨٦٠

القرآن، ومن قال ذلك وحنث لا يرتد إن قصد باليمين مجرد الامتناع عن الشيء، ولم يقصد الإخبار عن نفسه، فإن أحرى بذلك عن نفسه في غير يمين، وقال: هو يهودي فهو ردة، ولو كان هارلاً أو حاهلاً^(١)، قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا»^(٢) وقوله: فهو كما قال، قال المنذري: ليس على إطلاقه في نسيته إلى الكفر، بل المراد أنه كذب ككذب المعظم لتلك الجهة، ولا يكون كافراً إلا إن أصر ذلك في نفسه، وهو قول ابن عباس وأبي هريرة وعطاء وقتادة، وجمهور الفقهاء، وقوله: «فمن يرجع إلى الإسلام سالماً»، أنه لن يرجع من الإثم ولو مرّ فيه، لما في هذا الحنف من الاستحسان ولا مبالاة.

أما قسم له تعالى بمخلوقاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلَيْسَ لَكَ بِاللَّيْلِ﴾ [البقرة ١١]، ﴿وَلَيْسَ لَكَ بِالنَّهَارِ﴾ [البقرة ١٢]، وقوله تعالى: ﴿لَمْ تَكُنْ لَهُمْ شُرَكَاءَ فِي شَيْءٍ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر ٧٢]، فهو مما لا يقاس عليه، لأن الله تعالى أن يقسم بما يشاء من الأمور التي تدل على قدرته وعظمته، وليس ذلك لعير الله، ومن العلماء من يرى أن في هذه الآيات حدوداً تقديرية ورب لصحي، ورب الليل... الخ.

وأما قول النبي ﷺ: «أَفْلَحَ وَأَيُّهُ إِنْ صَدَقَ»، الذي ظاهره الحنف بسط الألف، والجواب عليه أن لفظة (وأَيُّهُ) غير محفوظة في الحديث عن يحتج به، كما قال الحافظ بن عبد البر، فقد روى الحديث مالك وغيره من الحفاظ بدونها، ومنهم من رواه بلفظ «أَفْلَحَ وَاللَّهِ إِنْ صَدَقَ»، وهذا أولى من رواية من روى (وأَيُّهُ)، لأنها لفظة مسكرة، ترده الآثار الصحاح، وعلى فرض صحة ثبوت هذه اللفظة، فهي مسبوحة لنهي النبي ﷺ عن الحلف بها في الحديث المتقدم^(٣)، ولم يرد بعد النهي بإحالة، ولذلك قال عمر وهو يروي الحديث بعد موت النبي ﷺ: «فَمَا حَلَفْتُ بِهَا ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا»^(٤).

(١) انظر الشرح الكبير ٢٨/٢

(٢) صحيح أبي داود حديث رقم ٢٧٩٣

(٣) انظر التمهيد ٣٦٧/١٤ و ١٥٨/١٦ والمعين ١٧٨/٨

(٤) اسناري حديث رقم ٦٦٤٧، (ذاكراً) أي من نفسي، (آثراً) أي ما ظلا عن غيري بأد أفعال ذاتي

نسبة الاختراع والإبداع لغير الله

الإبداع والاختراع معناه الإشاء والخلق على غير مثال سابق، فله سبحانه وتعالى هو الخالق المبدع قال تعالى ﴿أَنْتَ يَدْعُوا لَخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [النمل ٦٤]، وقال تعالى ﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الفرقة ١١٧]، ولا يجوز إطلاق هذا اللفظ بهذا المعنى على غير الخالق سبحانه ، فلا يقال . فلان مبدع، ولا فلان مخترع على معنى نسبة الفعل والتأثير له على الحقيقة ففي حديث ريد بن خالد الجهني قال «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْيَةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ - هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ - أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ف ذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ يَنْزِلُ كَذَا وَكَذَا ف ذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(١)

ترجم القرطبي في (المفهم) لهذا الحديث . (باب نسبة الإحراق لغير الله حقيقة كفر)^(٢) ، وذلك يعنى أن من اعتقد أن خلق الأشياء أو إبداعها من فعل غير الله حقيقة، أو اعتقد أن المطر من فعل الكواكب، كان بذلك كافراً، أم من اعتقد أن الله تعالى هو الخالق والمبدع على الحقيقة، وهو الممرر للمطر على الحقيقة، ولكنه تكلم بذلك دون أن يقصد أن لغير الله تأثيراً، كما يشيع الآن على ألسنة كثير من الكذابين في الصحف والمقالات والإذاعات دون وعي ولا إدراك، متأثرين في ذلك بغير المسلمين، أو بمن يتسبون إلى الإسلام اسماً فهو محطى من جهنم من جهة محالسه لشرع لدي حذر من إحراء هذا اللفظ على الناس، ومن جهة تشبهه بمقالة أهل الكفر الذين أمرنا بمخالفتهم قال ﷺ «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ»^(٣)، وقال ﷺ «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى»^(٤)

ولا يدخل في النهي الإخبار عما يتوقع حدوثه ساء على الأسباب التي يبيحها العلم، أو تعرف من التجارب، كأن يستدل باتجاه الرياح أو انحناءها على توقع

(١) البخاري حديث رقم ٨٤٦

(٢) المفهم ٢٥٨/١

(٣) البخاري حديث رقم ٥٨٩٢

(٤) سنن أبي داود حديث رقم ٦٥٢

ربوب المطر، أو مرودة الجو، أو حرارته، إلى غير ذلك، وقد روي «إذا شأت بحرية
ثم تشاء مم فتدث عين غديقة»^(١)

تسمية المخلوق بالرب والمولى والسيد

لفظ الرب والمولى والسيد معرّفًا بالألف واللام لا يطلق إلا على الله تبارك
وتعالى، فلا يجوز إطلاقه على المخلوق^(٢)، كأن يقال فلان الرب ويجوز إطلاقه
على المخلوقين مضافًا، في موضع الإخبار والتعريف والوصف، كما في حديث «أن
تد الأمة ربّتها»^(٣)، وكما في قوله تعالى حكاية عن يوسف **﴿أَدْكُرِّي عَبْدَ
رَبِّكَ﴾** [يوسف ٤٢]، وقوله **﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ﴾** [يوسف ٥٠]، لا في موضع الدعاء
والبداء، فلا يقال للمخلوق يا ربّي

ويجوز استعمال لفظ الربّ مضافًا إلى غير العقلاء كالجماد والحيوان، فيقال رب
الدار، ورب لبانة، ومنه قوله **﴿فَإِنْ مَعَهَا جِدَاءَهَا
وَسِقَاءَهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ، حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا﴾**^(٤) ولا يجوز أن يحدث
الإنسان بذلك عن نفسه، كأن يقول السيد لعبد اسق ربك، أو أطعم ربك، أو يقول
المملوك لسيد ربي، أو ربّي، ولا أن يقول السيد عبدي وأمي، بل يقول
المملوك سيدي ومولاي، ويقول السيد فتاي وفتاتي، وعلامي وحارسي، لأن
حقيقة العبودية لا تكون إلا لله تعالى، وحقيقة الربوبية لا يسحقها إلا الله،
فلا تجوز المضاهاة، لما فيها من التشبه والتشريك، ولا فرق في ذلك بين الحر
والعبد، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي **﴿قَالَ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ
أَطْعِمُ رَبِّي، وَصِي رَبِّي، اسْقِ رَبِّي وَلَيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي
أَمْنِي وَلَيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَعَلَامِي﴾**^(٥)

(١) عراه الهشي إلى الطبراني في الأوسط، وقال تعريده النوادي. قال الهشي في نوادي كلامه وقد وثقه
عمر واحد، وبه رجاله لا بأس بهم، وقد وثقوا أقوال من نوادي مروءة كما في تعريف بغير مجمع
بروائد ٢/٢٢٠ والمعجم ١/٢٦٠، وتعريف التهذيب ٦١٧٥

(٢) تفسير بحر المحيط ١/١٨٢

(٣) صحاح حديث رقم ٥٠

(٤) ٢٤٢٨

(٥) البحاري حديث رقم ٢٥٥٢

وفي رواية «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَحَارِثَتِي وَقَتَايَ وَقَتَايَ»^(١)، قال الخطابي سب المسع أن الإنسان مربوب متعدد بحلاص التوحيد لله، وترك الإشراك معه، فكره له المصداقة في الاسم، لئلا يدخل في معنى الشرك^(٢)

واحداً، القرطبي في المفهم أن المقصود من الهمي الوارد في الأحاديث السابقة هو الإرشاد إلى اختيار أحسن الألفاظ في الاستعمال، واجتناب المشترك منها، حتى لا يقع المتكلم في الاحتمال، وهو إرشاد عنده وأدب من غير إيجاب ولا تحريم^(٣)

سب الدهر

الدهر: معناه الليل والنهار وتقلبهما، وتصريفهما، وسب الدهر كان عادة في أهل الجاهلية، وجرى مجراهم كثير من أهل العصر، كان أهل الجاهلية يسبون الأفعال إلى الدهر، فجرى على ألسنتهم من مثل قولهم تَأْ لِلدَّهْرِ، وقد فعل بي كذا، وفعلت بي الأيام كذا، تأ للأيام، يا حية الدهر، فيذموه إن حصل لهم ما سوءهم، ويمدحوه إن حصل لهم ما يسرهم، وقد حرم الله ذلك ونهى عنه أشد النهي، ولدي سب الدهر إنما يسبه لاعتقاده أن له فعلاً وتأثيراً، فهو في الحقيقة كالذي سب الله ﷻ، لأن الفاعل على الحقيقة هو الله تعالى، ولذلك جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «قَالَ اللَّهُ ﷻ يُؤْذِنُنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ يَا حَيَّةُ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا حَيَّةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»^(٤)، وقال ﷻ «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٥)

وليس الدهر من أسماء الله تعالى، فإن أسماءه توقيفية، وليس منها الدهر، ومعنى فبني أن الدهر أي أنا الذي أفعل ما يسووه إلى الدهر من التأثير، فإن الدهر ليل ونهار، وأن أقلبهما وأصرفهما

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٤٩

(٢) فتح الباري ٥/٤٨٨

(٣) المفهم ٥/٥٥٥

(٤) مسلم حديث رقم ٧٤٩١

(٥) مسلم حديث رقم ٢٢٤٦

ومن نسب شيئا من الأفعال إلى الدهر واعتقد تأثيره حقيقة كان كافرا دون شك، ومن جرى سب الدهر على لسانه دون أن يعتقد تأثيرا ولا خطر سأل أنه سب الله تعالى، فليس بكافر، ولكنه تشبه بكلام أهل الكفر، وفعل ما بهي الله تعالى ورسوله عنه، فالواحب عليه التوبة والاستغفار، وأن يتعلم من أمور دينه ما يصحح به اعتقاده وعمله

التألي على الله

التألي على الله معناه التحكم عليه بفعل شيء أو تركه، وهو لا يجوز، فإن الواحب البادع مع الله ﷻ في الأقوال والأحوال، وعلى العبد أن يعمل بنفسه بكامل العبودية، ويعطى للمولى قدره، وما يجب له من أحكام الربوبية، فلا يتألى على الله شيء، ولا يتحكم عليه بأنه يفعل كذا أو لا يفعل كذا، طمأ وتحرص فإنه ﷻ يحكم على عباده ولا يحكمون عليه ويقصى على الخلق ولا يقصون عليه شيء، وممن من الناس ولا يمتكون عليه، ويجير على عباده ولا يجار عليه، قال تعالى ﴿وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ﴾ [الأنعام ١٨]، ﴿وَرَبُّكَ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [قصص ٦٨]، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البروج ١٦]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «أَنْ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ لَا يُغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَخْبَطْتُ عَمَلَهُ»^(١)

والمألي على الله على هذا النحو، إن كان مستحلا لنفسه حتى التحكم على الله، غير معدود باحتياط خاطئ فهو كافر، ويكون إحباط عمله الوارد في الحديث، لأجل الكفر وأما إذا لم يكن مستحلا لذلك، وإنما قال ما قال لما عذب عليه من الخوف من معصية الله، فحكم بإفاد الوعيد على العاصي فليس بكافر، ولكنه مرتكب كبيرة، ليأسه وقبوطه من معصية الله، وحمله بمقام الألوهية، فيحمل إحباط عمله على أن هذه الكبيرة التي قترفها ذهب بأعماله الصالحة، ورجحت عنها، فكأنه لم ين له عمل صالح يعتد به^(٢)

أما إذا كان الحلف على الله على جهة حس الظن بالله، ممن يعظم الله ويحشده

(١) مسلم حديث رقم ٢٦٢٦

(٢) نظر فيهم بعد أشكر من تلخص كتاب مسلم ٦٠٧/٦

ويتفيه، فدلث حائر، وقد وقع ذلك مع علم الله صدقهم وإخلاصهم من عباده المحسرين، وهو معنى قوله ﷺ «رُبَّ أَشْعَثَ، مَذْقُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»^(١)، وقد قل أسس من النصر لرسول الله ﷺ عندما أراد القوم القصاص من الربيع «وَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ، لَا تُكْسِرُ نِيَّتَهَا»^(٢)، فأمر الله قسمه، ورصي الطلب بالدبة بعد أن كانوا يريدون القصاص، وكان الرءاء من مائلك من النصر أحو أسس أحد هؤلاء الدين لو أقسموا على الله لأبرهم، قال يوم حصص تُستر حين اشتد القتال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم والحقتي سيك، فأمر الله قسمه واستشهد^(٣)

التشريك في المشيئة والقدرة

مما حمى الإسلام به التوحيد أنه لا يجوز أن يُشرك مع الله غيره من المحبوبات في مشيئته أو قدرته، فلا يقال ما شاء الله وشاء فلان، ولو لا الله وفلان، وأن بالله وبث، كل هذه لألفاظ ورد النهى عنها، لما فيها من تشريك غير الله معه في المشيئة والقدرة

والصواب أن يقال ما شاء الله ثم ما شاء فلان، ولو لا الله ثم فلان، وأن بالله ثم بث، لما في العطف دلم من تقديم مشيئة الله تعالى وقدرته على قدرة غيره ومشيئته، بخلاف العطف بالواو، فإنه مبهى عنه، لأنه يقتضي التشريك، فقد حرج السائي أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال «إِنَّكُمْ تُنَادُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ وَالْكَفَى . فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَخْلُقُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبُّ الْكَفَى، وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»^(٤)

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ «إِنَّا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَلَكِنْ يَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»^(٥) وفي رواية «أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ

(١) مسلم حديث رقم ٢٦٢٢

(٢) صحاري حديث رقم ٢٧٠٣

(٣) اعتر الترمذي ٦٩٢/٥، والإصباح ٢٨٢/١، والمعجم ١٠/٦

(٤) السائي حديث رقم ٣٧٧٣

(٥) سنن ابن ماجه حديث رقم ٢١١٧

وَبُشِّرَتْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَذْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَذَهُ^(١) وإدراك الشريك نواو العطف في قولهم (لولا الله وأنت) مهيى عنه، فما دلت من لا يذكر الله أصلا ولا يخطر له على بال؟ فيقول لمن أسدى إليه معروفاً لولاك لما كان كذا، أو ليس لي غيرك! فكم في استعمالات الناس للألفاظ اليومية من جفوة ومجانبة للأدب في حق الباري ﷻ!

التوسل الجائز

الوسل ولوسيلة له في اللغة معان، منها الرعة في الأمر والتقرب بالعمل الصالح، كما في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَدْعُوكَ مَخْفُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ التَّوَسِّلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، أي يتساقون في القرب من ربهم بالأعمال الصالحة ويرعون في ذلك، ومن معانيه أيضا أن يتقرب المتوسل بحرمة أصرة تجعل المتوسل إليه يعطف على المتوسل.

والتوسل الجائز هو التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح ليستجيب دعاء الداعي وهو حائر بالاتفاق، وله وجوه، منها تقديم الصدقة بين يدي الدعاء، ومنها الدعاء في السجود، لقول النبي ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٢)

ومنها التوسل إلى الله ﷻ بعمل سابق أحلص العبد فيه ثمره، كما في حديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة في العار، فتوسل أحدهم بما كان عليه من بر والديه، فأبرأهم الله، وتوسل الثاني بالعمة حين طأوعته أمة عمه على نفسها، فأبرأه الله بعد أن جلس منها مجلس الرجل من المرأة وقام، فأبرأه الله فتيلا عما كادت عليه، وتوسل الثالث بنعمة الأمانة لصاحبها دون علمه، فبرح الله عنهم^(٣) ومن التوسل الجائز في الدعاء التوسل بدعاء عبد مؤمن حاصر، أو يظهر العيب، لقول الله تعالى: ﴿وَسَلِّ عَلَيْهِمْ إِذْ سَلُّوا سَلَامًا﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي ادع لهم عبد أحد الركعة، ومنه قول النبي ﷺ حين أتاه عبد الله من أبي أوفى بركته: «اللَّهُمَّ صَلِّ

(١) مسند أحمد ١٨٤٢، وضع سنن ٢٤٧/١٤

(٢) مسند حديث رقم ٤٨٢

(٣) البخاري حديث رقم ٢٢٧٢

عَلَى آلِ أَبِي أَوْسٍ^(١)، ولما جاء في الصحيح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رَحْلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ، يُقَالُ لَهُ أَوْسٌ، لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمِّ لَهْ قَدْ كَانَ بِهِ تِيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَنْعَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ اللَّيْتَارِ أَوْ اللَّزْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَنْفِرْ لَكُمْ»^(٢). وتوسل عمر رضي الله عنه بدعاء العباس عم النبي ﷺ في الاستسقاء، وقال: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَيْتَا فَتَنَيْتَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَيْتَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيَقُونُ»^(٣) وقال النبي ﷺ لعمر: «لَا تَتَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَايِكَ»، قال عمر: «فَقَالَ كَلِمَةً مَا يُرْثِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا»^(٤)

ومن التوسل الجائر أيضا بالاتفاق التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته المعنى، لقول الله تعالى: ﴿رَبِّهِ الْأَسْمَاءُ الْكُسُوفُ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا كِبِيرَ بَلَدِهِ﴾^(٥) وَاسْمُهُمْ مَسْجُودٌ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ^(٦) [الأعراف ١٨٠]، وفي الحديث عن أسس رضي الله عنه: «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَالِيًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَتَانُ بِيَعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٧)

«وَسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَحْلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٨)

التوسل المختلف فيه

من التوسل المختلف فيه التوسل بذات النبي ﷺ وجهه عند ربه، بأن يقول

(١) صحاري حديث رقم ١٤٩٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٥٤٢

(٣) البخاري حديث رقم ١٠١٠

(٤) مس أبي داود حديث رقم ١٤٩٨

(٥) أبو داود حديث رقم ١٤٩٥

(٦) الترمذي حديث رقم ٣٤٧٥

الداعي اللهم استجب لى دعاء نبيك محمد ﷺ، وهذه الصيغة في الدعاء لم تكن معهودة عند الصحابة، ولا التابعين، ولا متعارفا عليها بينهم. فمن العلماء من معها، وقد لو كانت حادثة لأرشد النبي ﷺ إليها أصحابه، ولقدّموها بين يدي دعائهم، ولنفس إليه، لأنه لم يترك باباً للخير إلا ودلهم عليه، ولم يرد عنه ﷺ ما يحمل أن يدل عليها إلا حديث واحد، وهو حديث الصريير، فعن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضرييراً البصر أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادع، قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجّهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فقمه في^(١)

هذا الحديث، صححه أكثر الحفاظ، ومن العلماء من أعده، سداً ومسا، لعدة أمور؛ منها جهالة أحد رواه^(٢)، ولأن في قصته «وأن عثمان كان يحجب عن رعيه»، وعثمان رضي الله عنه لم يكن يحتجب عن الرعية، بل كان يجلس على المصططب بعزم الناس الوضوء، ومنها قول الرجل للنبي ﷺ عند اس حريمة والحاكم اللهم شفعه في شفعي فيه^(٣)، وهذا خطأ ظاهر، إذ كيف يشفع الرجل في النبي ﷺ؟ إلا أن يكون المراد بالشفاعة سؤال الدعاء، بمعنى أن الرجل يدعو نبي ﷺ، والنبي ﷺ يدعو للرجل ببرد بصره، فيصح الكلام، ولا يكون في الحديث حيتد دلالة على المطلوب؛ لأن التوسل بدعاء الغير حائر بالاتفاق، وقد روي عن الإمام أحمد في هذا النوع من التوسل بالنبي ﷺ خاصة قولان بالسمع والجوار، وقيل رواية الجوار عنه محمولة على السؤال بالإيمان به ومحضته، لا بذاته، فلا تكون من محل الرابع^(٤)

التوسل المحظور

منع الشريعة العلن بغير الله في كشف الضر وتغريح الكرب، وسعت اتحاد

(١) الترمذي حديث رقم ٣٥٧٨، وانظر تحفه الأحادي ٢٥/١٠

(٢) وهو أبو جعفر، قيل هو الحطمي، وهو قه وقيل هو الراري وهو صدوق سي، لحفظ نظر تحفه

الأحادي ٢٤/١٠، وتقريب التذهب رقم ٨١٩

(٣) صحيح ابن خزيمة ٢/٢٢٥، والمستر ١/٤٥٨ تحفه مصطفى عبد قدير

(٤) انظر فاعلة حده في التوسل والتوسل من ٩٣ ٩٤

الوسائط والشفعاء من دون الله، قال تعالى ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ مَكِينًا لَا يُمْكِنُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ثُمَّ مَثَلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الرسم ٤٣، ٤٤]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعَيِّ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم ٢٦] والشفاعة معها الطلب من الله عن طريق غيره، فمنعهم القرآن من ذلك وأمرهم أن يطلبوا الشفاعة ممن يملك الأمر كله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الرسم ٤٤]، وبين لهم أن شفاعة غيره لا تعي شيئاً إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

ومن قال: إن هذه الآيات وأمثالها خطاب لأهل الجاهلية الذين يعدون الأوثان، وليس في أهل التوحيد من يعبد الأوثان، يقال له: نعم، هي لهم، ولكن القرآن ذكر ما كانوا عليه لسحدير من عملهم، وللاعتار بحالهم، فلا يجوز لمستم أن فعل فعلهم، ويشبه بهم، فقد قال ﷺ «خالقوا المشركين»^(١)، وقال ﷺ «خالقوا اليهود»^(٢)، فمن فعل فعلهم أو شابههم في أحوالهم أصابه ما أصابهم، والقرآن ليس حاصداً بامة من الناس، ولا يعصر من العصور ﴿لَا تُدْرِكُهُ يَدٌ وَهُمْ بَلَمٌ﴾ [الأنعام ١٩]، إلى قيام الساعة، وقد قال الله تعالى خطاباً للمؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتِ عِيسَى عَنِ قَائِلٍ قَرِيبٍ أُنْجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَاكَ﴾ [النقرة ١٨٦]، فلم يرشد المؤمنين أهل التوحيد إلى شفعاء وسائط إلى الله تعالى، وقد حاطب النبي ﷺ ابن عباس، وهو من أهل الإيمان، فقال له «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(٣)

إن الداعي لا يحتاج إلى واسطة لسمع الله تعالى دعاءه، مهما كان بعده من ربه في العصور، إن الشيطان بعد أن طرد من رحمة ربه وأبعد، دعا ربه بدون واسطة وأحيب، ولم يلبجئ إلى الملازمة بتقرب بهم ليحيب الله تعالى دعاءه، بل ﴿قَالَ أَطْرِقْ إِلَى يَوْمِ تُعْشَوْنَ ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الحجر ٣٧]، والمشركون ﴿دَعَا اللَّهَ مُخِصِّينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْسَ أَمْنًا مِنْهُمْ لَكُمُ مِنَ الشَّيْءِ﴾ [يونس ٢٢]، فاستجاب الله

(١) سحري حديث رقم ٥٨٩٢

(٢) من أبو داود حديث رقم ١٥٢

(٣) من الترمذي حديث رقم ٢٥١٦

تعالى لهم، كما أحبر سبحانه ﴿وَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ إِدَّاهُمْ يَسْتَوُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَنِّ الْحَقِّ﴾ [يونس ٢٣] والمؤمن مهما كان ضالاً فهو أسعد حالاً برته، وأرجى لرحمته من إديس وحبوده

ومن مقاصد الالتجاء إلى المخلوق فيما هو من شأن الحادث أنه حتى مع التسليم بما بدعيه أولئك من أفراد الله تعالى بالصر والنع، فإن التوسط بالشفعاء فيه تشبه بأهل الشرك والجاهلية، فإنهم أيضاً كانوا يقولون عن الأوثان ﴿مَا عَبَدُوهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر ٢٣]، ولم يكونوا يعتقدون قط أن للأوثان قدرة على الحق والصر والنع، ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَ اللَّهُ﴾ [لقمان ٢٥]، ثم إن شدة التعلق بالوسائط والشفعاء من الأولياء والتماذي على ذلك بحيث تنهض بهم الألسنة كما هو مشاهد ويذكرون وينادون ويستعاث بهم ويسئ الحائق تدرك وتعالى يهديه أن يصل بأهله إلى ما وصل إليه حال أولئك الذين ذكرهم الله ﷻ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَفْثِرُونَ﴾ [الزمر ١٥٠] وذلك الشرك بعينه

الاستغاثة بالمخلوق

لا يجوز لأحد أن يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، فلا يستغيث المسمم بالنبي ﷺ ولا بالملائكة، ولا بالصالحين، فلا يجوز لمن وقع في كرب أو ضيق، أو محنة أن يقول يا محمد، ولا يا عبد السلام، ولا يا بدوي، ولا يا ابن عيسى، قد تعالى عن المشركين ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الْعِبْدُ فِي النَّارِ صَدًّا مِنْ دَعْوَى إِلَّا إِلَهًا﴾ [الإسراء ٦٧]، وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [الزمر ٣٦]، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَسْكُوتُ مِنْ قِطْعٍ ۖ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۚ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُبَشِّرُكُمْ مِنْ حَبِيرٍ﴾ [فاطر ١٤]، وقال ﷻ ﴿إِذَا سَأَلَ فَسَأَلَ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَاثَ فَاسْتَعَاثَ بِاللَّهِ»، وفي الحديث الصحيح إن العال يأتي يوم القيامة يقول يا رسول الله، أغثني، فأقول لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك^(١)، فالاستغاثة بعير الله تدفع الضر لا تجوز بحال من الأحوال، وأهل الجاهلية على كفرهم وشركهم كانوا يعد الكرب والضرع

(١) البخاري حديث رقم ٣٠٧٣

يحبسون البناء له، ولا يدعون معه غيره، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتَ فِي الْقُبُورِ وَخَرَّيْنِ رِيمٍ رِيحٌ يَلْفُحُوها مِنْ جَانِبِهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُخِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْسَ أَعْنَاهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ لَكُوفٌ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾^(١) فلَمَّا أَعْنَاهُمْ بِهَا هُمْ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَنِّ الْحَقِّ ﴿يُوسُ ٢٣﴾﴾، هذا حال الجاهلي المشرك عرف قدرة الله عند الصيق، وأنه لا ينجيه من كربته سواء، فكيف يرتكب المسم ما لم يقله قلب الجاهلي؟ ويدعو المخلوق لينقذه أو شفيه، أو يعطيه، المحبوى عاخر ميت، لو كان يملك لغيره شفاء، أو حاجة تُنفع نفسه وأحررها.

تشديد الأصرحة وبناء القبور

مما شرع لحماية التوحيد بهي النبي ﷺ عن تشديد الأصرحة، وساء القبور، وأمره بهدم المائل منها وتسويته بالأرض، حتى لا يؤدي ذلك إلى تقديسها وتعظيمها والمسح بها، والتوجه إليها لقضاء الحوائج، كما هو مشاهد اليوم في كثير من بلاد المسلمين، ففي الصحيح من حديث أبي الهياح الأسدي قال قال لي عن النبي ﷺ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ. «أَنْ لَا تَدْعَ بَنِيالَا إِلَّا طَمَنَةً، وَلَا قَبْرًا مَشْرُفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(٢) وفي الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ «وَأَنْ يُقَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُتَنَى عَلَيْهِ»^(٣)، وفي رواية «وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا»^(٤)، فلا يحل لمسلم وهو يسمع هذا النهي أن يشيد قبرا، أو يسي عليه، قال الله تعالى ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا أَنْفُسُكُمْ أَلَمْ تَكُونُوا أَقْدَامًا فَخُتُّوا وَمَا جَاءَكُمْ عَنْهَا مُنْقَاطًا﴾^(٥) [الحشر ٧]

اتخاذ القبور مساجد

بهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وأن يصلى إليها أو تتخذ عيداً يجمع الناس عندها تعظيماً لها، لعبادة أو غيرها، وذلك حماية للتوحيد، وقد أخبرنا ﷺ بما أدى إليه تعظيم القبور في الأمم قبلنا من الشرك تحذيراً لأمتهم

(١) مسلم حديث رقم ٩٦٩

(٢) مسلم حديث رقم ٩٦٠

(٣) مسر سريدي حديث رقم ١٠٥٢

(٤) انظر تفصيل المسألة في كتاب (المعلو في الدين) للمؤلف ص ١١٢

خرج مالك في الموطأ عن النبي ﷺ أنه قال «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١) وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ في مرصه الذي لم يقم منه «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» لولا ذلك أُنْزِرَ قَبْرُهُ، غير أنه حشي أو حُشِيَ أَنْ تُسَحَّدَ مِنْحَدًا»^(٢)

وقال ﷺ «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٣)، وقال ﷺ «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(٤) وعندما ذكر أم سمة وأم حبيبة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كيسة رأتها في العشة فيها تصاوير، قال «إِنْ أُؤْتِيتُ إِذَا كَانَ بِهِمُ الرَّحْلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَتُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرِ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥)

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الأصم التي عدها الناس في الجاهلية (وَدَّ وَسُوعَ وَيَمُوثَ وَيَمُوقَ وَنَسْرَ) كانت أَسْمَاءَ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَيَّ مَجَالِيهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَشَّحَّ الْعِلْمُ عُذِّتْ^(٦)

وقد تهلك العامة على تعظيم القصور وإقامة الأعياد عليها، اتساعا للمألوف وهوى النفوس، وترويض العاطلين، وعود الجاهلين، معرضين عن هدي النبي ﷺ، غير ما ليس بتحديده وبهية، قال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التور: ٦٣]

(١) حوطاً حديث رقم ٤١٦

(٢) مسند حديث رقم ١٣٩٠

(٣) حوطاً حديث رقم ٤١٦

(٤) مسند حديث رقم ٥٢٣

(٥) مسند حديث رقم ٤٢٦

(٦) مسند حديث رقم ٤٩٢٠

النذر للأضرحة والذبح عندها

حذر الإسلام من الذبح عند القبر، وجعله من عادات الجاهلية، فلا يجوز لمسلم أن يسوق حيوان ليدبحه في مكان من الأمكنة، تركا بذلك المكدر، لا سدر ولا بغيره، إلا إلى مكة في حج أو عمرة، قال ﷺ «لا غفر في الإسلام»^(١)، ودلت حمية للتوحيد، لأن النذر والتقرب بالذبح عبادة، والعادة لا تكون إلا لله، فمن توجه بها إلى غير الله فقد صل صلا لا عبدا، وسب هذا الداء ما يشهد في بلاد المسلمين من تعظيم الأضرحة، والتأكل باسمها حتى صار حراسها يتقدمون على حرائنها، وعلى الدور التي تقدم إليها من الجاهليين والعافيين

فيحب على العلماء وعلى كل من أعطاه الله فهما وعقلا من عمة المسلمين إنكار تشييد هذه الأضرحة، وما يقام فيها من احتفال وعادات، واستدخه، والرحر عنه أشد الحر قبل موت الأوان، فلا يجوز لمسلم فعل ما ذكر، ولا حضوره ولا الرض به، ولا السكوب عنه ما أمكه ذلك، لأنه من المكر العظيم، الذي يؤدي إلى الهدم بعقائد المسلمين، ويباقر التوحيد

(١) مسر أبي دود حديث رقم ٣٢٢٢

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مآذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

من مظاهر ضعف الإيمان

التطير والتعاؤل:

التطير أصله: الشيء المكروه من قول أو فعل، أو رؤيه شيء لُمرء، فبتشام من ويوقع حدوث المكروه به. وكان أهل الجاهلية يعولون في مجريد حياتهم على هذا الداء كثير، وبرون الأقدار تبعاً لما حصل لهم من تشاؤم أو تفاؤل، فكانوا يتعمرون الطيبي والطائر وهي السوانج والبوارج إذا أردوا أمراً له بال كسفر ونحوه، فإن أخذت عند انطلاقها ذات اليمين تماءلوا واطلقوا، وأقدموا على أمرهم، واعتقدوا فيه الخير والربح والنجاة. وإن أخذت السوانج والبوارج ذات الشمال أحجموا وتركوا ما عزموا عليه، واعتقدوا فيه الشر والهلاك. وكان تصدهم ويشي عرثهم كمة سمعونها لا تعجبهم، أو طير غير من فوقهم، وإذا سقطت الهامة، وهي طائر البوم أو غيره على بيت أحدهم تشام به، ورآه داعياً إليه نفسه، أو أحداً من أهله، فقال لهم النبي ﷺ: **«لَا عَذْوَى وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ»** ^(١)

كما كنت تصدهم الأرقام التي كان لها أيضاً حظ في اتحاد فراديتهم، فإذا حرحت قطعة الخشب (نُرم) من الوعاء مكتوباً عليها، امص، بمص إلى سبيله، وإن حرحت مكتوباً عليها لا تمص، لا تمص في أمره مهما كانت حاجته إليه شديدة، وبرى في محاولة الرلم الهلاك المحقق، وكل ذلك من رحس الشيطان الذي أمر الله تعالى
باجتنابه

والتطير والتعاؤل ماف لتوكل على الله وماف للإيمان بالقدر الذي سقى في عدم

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٢٠

الله أن سيكون، وأنه لابد أن يكون كما علمه، لا يتأخر ولا يتقدم، لا يوقعه تطير ولا بدفعه تصاد، قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب ٣٨]، وقال تعالى ﴿بَنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الأنعام ١١] وقد قال تعالى ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصِيرَ مَا كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْأَلْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحزاب ١٧].

وقد حرم الله تعالى التطير على هذا النحو، وشرع للأمة التوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة، وترك الوسائل الممنوعة، كما شرع لهم فيما السس عليهم أمره من الأمور الجائرة الاستحارة بالالتجاء إلى الله، والاعتماد عليه والثقة بحبيبه، والحجج من عهدة النفس، والتبري من الحول والظول، إلى حول الله وقوته ومروءته، فكان النبي ﷺ يعلمها أصحابه في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن^(١)

وقد بقي في الناس بعض من تطير الجاهلية، فأهل المدن يستدلون بالأرلام التطيع في الأبراج والحظ، ويتقيدون بما قاله المنجم والمتنبئ الكذاب، حتى إن من الصحف والمجلات التي يتولاها من له في معتقدات الجاهلية نصيب لها رواية شائعة، بعنوان (حظك هذا اليوم). وأهل البادية يكثر فيهم ما يسمونه فتح الكتاب، وحظ الرمل، وما يسمونه (السَّير) العادة المتبعة ومعناه أن الواحد لا يستطيع أن يفعل أمراً معه (لشئ) على الرغم من مشروعيته، ويعتقد أنه لو فعله لوقع له مكروه، وكذلك يحب عليه أن يفعل ما أوحى عليه (السَّير) مع أنه غير واجب، لأنه يخشى من وقوع المكروه لو لم يفعله.

فمثلاً لا يستطيع أحدهم أن يصع حجر الأساس لسا بيت إلا إذا أسال الدم عليه، ودبح دجاجة ولو دجاجة، فأحلف أساساته بالنجاسة، وهو ما يؤكد أن العمل من الشيطان، لأنه يحب الحشوش وسكى أماكن النجاسة، ويبر من الطهارة وكذلك لا تدخل الروحة وهي عروس بيت الروح إلا إذا دُبحت تحت قدميه شاة، ولابد أن يأكلوا يوم المولد عصيدة، وإلا وقع المكروه.

وعادات الناس في ذلك كثيرة، لا يحصرها عد، وكذا من صعب الإيمان

(١) حديث الاستحارة في البخاري مع فتح الباري ٤٣٨/١٤

ومحتمل الجاهلية، والواحب على المؤمن بالله وحده الحاصص لقصدته وقدره، أن يترك ذلك كله ليسراً من التشبه بأهل الجاهلية، ومعتقداتها الفاسدة، ويعتصم بالله وحده لا شريك له، فإنه لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع الشر إلا هو، ولا يقدر أحد غيره على أن يقدره أمراً أو يؤخره، أو يوقع صراً، أو يدفعه، فلا يقع شيء في الدنيا، ولا في الآخرة إلا ما علمه وقدر وقوعه في الوقت الذي أراد، ولا يدفع شيء إلا ما دفعه، ﴿ثُمَّ يَنْجِ اللَّهُ الْتَّابِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ فَلَا تُشْرِكُ لَهُمْ وَمَا يُشْرِكُ فَلَا تُرْسِلَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر ٢١]، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ بِقَوِّهِمْ سُوءَ مَا مَرَدُّ لَهُمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد ١١]، ولو سأل أحد ممن يعمل الأعمال السابقة لأقر لك بهذا التوحيد، وبالإيمان بالقضاء والقدر، وسلمه تسليماً كاملاً، ولكنه عند التطبيق يترك ما علمه، ويطلق ما ألهه وورثه عن ذويه، دون أن يعيه

ومن دفع الحرج في الشريعة أن الله تعالى عما يحظر على السال من التطير لأول حادثة سبب أمر من الأمور، لأن إزالته عن النفوس غير داحضة في الاستطاعة، ودلت شرطه أن يسارع المكلف إلى الإعراض عنه، ويتكل على ربه لينجو من أثره، ففي حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «الطَّيْرَةُ مِنَ الشَّرِّكِ، وَمَا مِثْلُهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنَجِّبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»^(١)

ولما قال معاوية بن الحكم لرسول الله ﷺ: «... ومنا رجال يتطيرون، قال ذلك شيء يحدونه في صدورهم فلا يصدنهم»^(٢)، فمن وقع له شيء من التطير في صدره، ولم يعو عن عيه بل مضى في سبيله متكلاً على ربه لا يؤم عيه، وعيه أن يقول كما أرشد رسول الله ﷺ عندما ذكرت عنه الطيرة، فقال: «أَحْسَهَا الْقَالَ، وَلَا تُرَدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَخْشَاهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(٣)

أما ما ورد في حديث عبد الله بن عمر وعيره أن رسول الله ﷺ قال: «لَا عَذْوَى

(١) مسر. سنن أبي حنيفة رقم ١٦١٤

(٢) مسند حديث رقم ٥٣٦

(٣) مسر. أبي داود حديث رقم ٣٩١٩

وَلَا طَبِيرَةَ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ، فِي الْقَرْسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْمَذَارِ^(١)، فليس هو على معنى ما كذب تعتقده الجاهلية من أن الطيرة تؤثر بذاتها، وإنما المعنى أن هذه الثلاث الدار والمرأة والفرس، أشد ما ينشأ من الناس به عادة وطعنا، لملازمتها لهم، ومن وقع به شيء منها، كأن كره الدار، لما سمعه عنها ممن سكنها قلبه من إصابتهم بالأذى، أو كره المرأة ولم يتقبلها لسبب من الأسباب، أو الفرس لأنه يصرع راكبه، وتشاءم بما ذكر وتطير، فإن الشرع أباح له أن يترك ما تطير منه على خلاف القاعدة في التطير، ولا يكرهه الشرع على المقام في بيت، أو مع امرأة يكرهها، فإن ذلك من الصرر اللين، لكن مع اعتقاد أن الله تعالى هو الفعال لما يريد، وليس لتطير منها أثر في جلب نفع أو دفع ضرر^(٢)

المنافق المشروع أن يستبشر المرء ويستر عند رؤيته ما يحب، ويتوقع قدر الله تعالى على وفق ذلك، فقد كان النبي ﷺ يعجبه الغال الصالح والاسم الحسن، وكان يعجبه إذا حرج لحاحته أن سمع يا راشدا، يا نجيح^(٣)، وكان إذا بعث أحدا أو جاءه رسول سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به، فعندما أرسل المشركون يوم الحديبية في المرة الثانية سهيل بن عمرو، ليفاوض المسلمين، استشر النبي ﷺ وتفاء، وقد «لقد سهل لكم من أمركم»^(٤)، وذلك لأن الغال الحسن تشرح به النفس، ويستتر به القلب، فيحسن الظن بالله تعالى، ويتوقع قدره على ما تحبه النفس، قد الله تعالى في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي»^(٥)

المدوى

كان أهل الجاهلية يعتقدون أن المريض إذا دخل على الأصحاء واختلط بهم، مرضهم فعلة وتأثيره، والشبهة الحاملة لهم على ذلك ذكرها قاندهم نبي ﷺ بقوله

(١) صحاري حديث رقم ٥٧٧٢

(٢) نظر حقهيم ٥ - ٦٣٠

(٣) نظر سمرندي حديث رقم ١٦١٦

(٤) صحاري حديث رقم ٢٧٣٤

(٥) صحاري حديث رقم ٧٤٠٥

الإحبار بما سيحدثه الله من موت فلان، أو رواجه بفلاته، أو طلاقه، أو سفره، أو عده، أو فقره، أو علاء الأسعار، أو وقوع فتس أو قتل، أو دوام منس أو انقطاعه، أو حدوث حذب أو حصص، إلى غير ذلك من أحوال الناس وأسرارهم لا يعلمه إلا الله. وكذلك ما تعلق بالماضي، مما وقع من أحوال الناس وأسرارهم التي ستروها عن غيرهم، كالإحبار عن السحر، أو موضع السحر، أو عن السرقة، إلى غير ذلك.

والدليل على أن الغيب يشمل ما تعلق بالماضي كما يشمل المستقبل ما بني
 ١ أن الله سمى ما وقع من عدم اطلاع العج على موت بني الله سيمان ﴿الغيب﴾ وهو أمر متعلق بالماضي، فقال تعالى ﴿فَلَمَّا قَسَيْبًا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَفَعَهُ عَلَىٰ مُوْبِهِ إِلَّا دَبَّهُ الْأَرْضُ تَأْكُلُ يَسَافِرُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ لِقَارُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا يَشُورُ فِي الْعَذَابِ لَكُمْ﴾ [سبا ١٤]، والآية تدل على أن العج أيضا مثل الإس، لا يعلمون الغيب، فلا يجوز سؤالهم عن أسرار الناس وأحوالهم، ولا يجوز الجرم بصدق ما أحسروا به، لأنهم يكذبون، وفيهم أشرار، وفيهم كهنة كما في الإس، لا يجوز تصديقهم، قال تعالى مخبرا عن قول العج ﴿وَمَا يَمْنَأُ الصَّيْحُونَ وَمَا دُونَ ذَلِكَ كُنَّ طَرِيقَ مَدَدٍ﴾ [العج ١١]، وقال سبحانه ﴿وَأَنْ يَمْنَأُ الصَّيْحُونَ وَمَنْ تَعْلَمُونَ قَسَمَ أَنْتُمْ فَأُولَئِكَ يَخْرَوْنَ رُسُلًا﴾ [الحج ١٤]

٢ قد تعالى عما أعطاه لعيسى عليه السلام من معرفة ما نستره الناس في بيوتهم ﴿وَأَنْبِئَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْجُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٤٩]، فجعل الله تعالى إحبار عيسى عليه السلام، عما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، معجزة له من دلائل سوته عليه السلام، التي لا يطلع عليها إلا من أوحى الله إليه، فهو كاد ادعاء معرفة ما وقع بين الناس ممكنا لأحد الناس، ولا يعد من التعجب بالغيب، لما جعله الله آية لنبيه، ومعجزة دالة على صدقه.

أما حكم استطلاع الغيب بالحساب وتزويل الحاتم وحط الرمل والظر في (الفصاح) والمجوم، فالذين يفعلون هذا هم الكهان الذين أضلهم الله، وأعواهم الشيطان، فاتبعوا سبيله، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان، فقال «فلا تأتوا

الكهان^(١)، فلا يجوز الذهاب إليهم، وإن كانوا يقرءون القرآن، فقد يقرأ القرآن من لا حير فيه. ومن أُنْهَم معتقدا صحة ما يخبرون به، فقد كفر بما أمر الله به محمد ﷺ كما ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ

أما هم أنفسهم، فمن ادعى منهم مشاركة الله تعالى في علمه، بواسطة صرب حص، أو تنجيم، أو تزييل حاتم، أو غير ذلك، فقد كفر بالله وكذب قوله، قال تعالى ﴿قُلْ لَا يَمْلِكُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل ٦٥]، وقال تعالى ﴿وَمِن دُم مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام ٥٩]، وقال تعالى ﴿عَيْنُ لَغَيْبِ فَلَا تُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ لَمَدًا ۖ﴾ [يونس ٢٦]، وقال ﷺ «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»^٢ ولا يعتبر أحد بما يخبرون به مما يوافق الواقع، فإن إخبارهم بشيء من المعينات، هي جمل تلقيا إليهم الشياطين، قليل منها يوافق الحق، فيمررون به ما يشاءون من الكذب يضللون به العباد

فلا حائر أن يخبر أحد غير الأنبياء صلوات الله عليهم، بشيء من المعينات، على وجه الحق والصدق، إخبارا متواليا فيه تفصيل ووصوح، من غير أن يحسنه عنط وكذب، ولد من عادة الكهان أن يعطوا جملا مقتضة، وأخبارا مجمدة، محمنة لوحوه محتمة، كما وقع لابن صياد اليهودي حين حثا له النبي ﷺ شيئا من سورة الدخان في كُفِّهِ، وهو قوله تعالى ﴿قَرِيبٌ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان ١٠]، وكان ابن صياد يتكهن ويدعي النبوة، فقال ابن صياد هو الدح أي الدخان فقال له النبي ﷺ «أخا فلن تغدو قلدرك»^(٣)، يريد إنك لا تقدر على أكثر من ذلك، ولا يمكنك أن تأتي بالأشياء على تفاصيلها، كما يحجر الأنبياء الموحى إليهم، وإنما تلقى إليه الكلمة تصادف العيب فإذا طلب منه أكثر منها، أصدف ما شاء من الكذب، فإن من صياد لم يقدر على أن يأتي بأكثر من كلمة الدخان ناقصة، فقال الدخ

(١) مسلم حديث رقم ٥٣٧

(٢) مسلم حديث رقم ٧١

(٣) مسند حديث رقم ١٣٥٥

ومثله أبيض ما وقع له رقل وكان كاهناً، وقد أصبح ذات يوم حيث النفس فسأله عن ذلك فقال: «لاني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر»^(١)، أي عيب، فقد أخبر بهذا الخبر المجمل الذي حيره وقص مصعبه، وحشي منه على منكه، ولم يقدر من حجة الكهانة على معرفة أريد من ذلك، كعنة النبي ﷺ وصفته وظهر أمره، وما ينتهي إليه شأنه ومتى يكون ذلك

وصعيف الإيمان إذا ألقى إليه العراف والكاهن الكلمة المبهمة المحممة، فسره على الوجه الذي يريده من الإحار بالعبث، ووقع في قلبه تصديقه في كل ما أخبره به بعد ذلك من الكذب والتخليط، وربما حووه من وقوع أمر له إن فعل كذا، أو لم يفعل كذا، وربما فرض عليه مالا، فدفعه حائفاً أن يقع له المكروه، فيعتقد بذلك بعم العراف وضربه

فحذر من تصديق أمثال هؤلاء، واحتياط أمرهم، وليكن لدى المؤمن من اليقين والإيمان ما يرد به كيدهم، مقتدياً برسول الله ﷺ في قوله لابن صياد: «أخاً قلن تعدو قلدرك» وله كفيلاً أن يكفيه باليقين والإيمان كل مكروه

وأما قول الله تعالى: ﴿فَكَفَّرَ نَظَرَهُ فِي النَّجْمِ﴾ ﷻ فَقَالَ ابْنُ سَقِيمٍ: [المصادات ٨٩]، فليس هو من الكهانة في شيء، وإنما معناه أن إبراهيم عليه السلام نظر إلى السماء والنجوم، وفكر في عكوف قومه على عبادة الأوثان، فقال لهم ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، معتذراً عن الخروج معهم في يوم عيدهم، كما قال أهل التفسير، يُفْرَعُ في عيشتهم لكسير أصنامهم، مستعملاً في ذلك معاريف الكلام، التي فيها صدوحة عن الكذب

فقد عسى هو سقيم ما أصابه من العم، من عكوف قومه على عبادة الأوثان، وإعراضهم عن عبادة الله، وهموا هم من السقم، المرض الجامع من الحروح معهم فعذروه، وهو معنى ما ورد في الحديث «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، اثْنَتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ، قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وَقَوْلُهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا كَرِيمٌ هَذَا﴾^(٢)، اثْنَتَيْنِ مِنْهُمَا فِي ذَاتِ اللَّهِ، إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، فليس المراد حقيقة الكذب، وإنما هي المعاريف يُتَقَى بها الكذب، ويُوصل منها إلى العرص

(١) البخاري حديث رقم ٧

(٢) البخاري حديث رقم ٢٢٥٨

وأما قول معاوية بن الحكم السلمي للمسيح عليه السلام «... وما رجال يخطون»، فقال له المسيحي عليه السلام «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»^(١)، فقد اتفق العلماء على أن الحديث بعيد تحريم الخط، والمبني على لا إباحته، فإن معناه إذا عظم نقيب موافقة الخط لمعيب، كما علمه ذلك المسيحي بخطوا، وهذا لعدم لا سبيل له إليه، فلا يكون الخط مباحا في حقا، لأنه معلق على أمر متعذر الحصول

(لو) تفتح عمل الشيطان

الرضا بالقضاء من أركان الإيمان، والمسلم قبل وقوع القضاء مطالب بأمرين

١ الاستعانة بالله والتوكل عليه، والالتجاء في كل أمر إليه

٢ لأحد لأسباب محرم وذلك بالجد والحرص على ما يفعله في أمر دينه ودينه، فلا يعجز ولا يتعذر بالتقدير، ولا يفرض في ما يقدر عليه من عمل، بل تكون همه عالية وعزمته قوية، وإرادته صلبة، في تحقيق ما يفعله بنفسه ويضع الناس، وسهص بأمر المسلمين. قال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخْرِصْ عَلَى مَا يَفْعَلُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ» أما بعد وقوع القضاء، فالواجب هو الرضا بالقضاء، والتسليم لما قدره الباري عليه السلام، والإعراض عن الماصي وعدم داب من نعم، أو وقع من ضرر، قال تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [التعبيد ٢٣]، وقال عليه السلام «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢) فيكف المسلم نفسه عن التكبر فيما فاتته وفي أسنانه، ويقطع عنها وسوس الشيطان، فإن استرسال الفكر فيه يؤدي إلى التسخط ورد القضاء، ولا يزيد القلب إلا هما وحربا، لأنه يفتح على النفس باب اللوم والندم والأسف، وتصح به (لو) عمل الشيطان، لو فعلت كذا لكان كذا، فيسد بذلك التأثير إلى فعله وقدرته وعمله وعلمه وحيرته، ويسبى قدرة ربه كما كان حال قارون، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِزِّي﴾ [القصص ٧٨]، وكما كان حال الصافيين يوم أحد ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران ١٥٤]، فظنوا أن فعلهم بالحروح أو عدمه بمعهم

(١) مسلم حديث رقم ٥٣٧

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٦٤

من الموت، فرد الله تعالى عليهم. ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُؤْتِكُمْ لَمَرًا لَبَيْنَ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ
لَقُلُّوا إِلَىٰ مَكَلِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

المسلم بعد وقوع القصاص، عليه أن يبادر إلى الرضا والسبب، لكن بقية قبل
لسانه، ويكون قوله باللسان قدر الله وما شاء فعل تعبيراً عما أصلاً به فيه من
الإيمان والرضا، ولا يقول لو كان كذا لكان كذا، فإن لو تصح عمل الشيطان،
والسحرة على القصاص

واستعمال (لو) ليس دائماً مذموماً، وإنما يكون مذموماً إذا كان في سياق
الاعراض على قدر كما تقدم، أما إذا كان العرض الإرشاد وبيان الحكم لما يقع في
المستقبل، فلا خلاف في حواره، فقد طلق به النبي ﷺ قال «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي
مَا اسْتَنْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْ لَا أَنْ مَعِيَ الْهَدْيَ لَأَخْلَلْتُ»^(١)، وقال ﷺ «لَوْ كُنْتُ
رَاحِجًا أَحَدًا بِغَيْرِ بَيْتَةٍ لَرَحِمْتُ فَلَانَهُ»^(٢)

لا يقال هلك الناس

من الجهل بالله الناتج عن ضعف الإيمان الحكم على الناس جميعاً بالهلاك، وهو
من الحكم على الله تعالى بوقاظ الناس من رحمته، والناس لا يهلكون جميعاً إلى
أن تقوم الساعة، ولا تزال طائفة من الأمة على الحق كما جاء في الصحيح^(٣) وفي
الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ
النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»^(٤)، روي بضم الكاف (أهلكهم) ومعناه أن القدر أحق بالهلاك،
وهو أشدهم هلاكاً إن قال ذلك محقراً لهم ومعجاً بنفسه ومذكياً لها

ويروى (أهلكهم) بالفتح، ومعناه أن الذي قال ذلك هو الذي أهلكهم، ولم يهلكهم
الله تعالى، وهو متأثر على الله تعالى، ومقط للباس من رحمة الله ﷻ، وموقع
لهم في الهلاك

(١) سنن أبي داود حديث رقم ١٦٥١

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٢٥٥٩

(٣) مسلم حديث رقم ١٥٦

(٤) مسلم حديث رقم ٢٦٢٣

قد القرطبي في المفهم «ولا يدخل فيه من قال ذلك على جهة الشفقة على أهل عصره، وأبهم دلالة إلى من تقدمهم من أسلافهم كالأهاليين، فإنها عادة حارية في أهل الفصل والعزم، يعظمون أسلافهم ويلومون بالتقصير والتعريض من بعدهم في باب التدكير والموعظة، ليقنّدي اللاحق بالسابق كما قال الحسن عليه السلام لقد أدركت أقواماً لو أدركتموهم لقلتم. مرضي، ولو أدركوكم لقالوا. هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب»^(١)

وهذا الحديث فيه رد اعتقاد الخوارج وأهل التكفير الذين يقولون بهلاك الناس جميعاً، فلا يصلون معهم الجماعات، ولا يعتدّون لهم بعمل ويرون الحروح عليهم وقيلهم، فإن القائلين ذلك هم الذين أهلكوا الناس ظلماً وتحكماً على الله تعالى، وليس الله هو الذي أهلكهم، لأن الله تعالى حكم بأنه لا ترال طائفة من الأمة على الحق لا يضرهم من خالفهم، وهؤلاء يكذبون ذلك ويحكمون بهلاك الأمة^(٢)

تعليق الدعاء على المشيئة

المسلم مأمور في جميع ما يريد فعله أن يتراء من حوله وقوته، وأن يعقنه على مشيئة ربه، كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا شَاءُوا إِي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا﴾ [الكهف ٢٣]، ويستثنى من ذلك أمور الإيمان والدعاء، فلا يقل أحد أنا مؤمن إن شاء الله، ولا يقل اللهم اعمر لي إن شئت، فحق الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَحْزَمَ الْمَسْأَلَةُ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَمَةَ لَهُ^(٣)، قال ابن عبد البر «لا يجوز لأحد أن يقول اللهم أعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا، لأنه كلام مستحيل لا وجه له، لأنه لا يفعل إلا ما شاء»^(٤)

وسبب النهي عدم الجرم بالدعاء وتعليقه على المشيئة أن التعيين يتضمن فور الرغبة في المطلوب، وعدم المسالاة بما إذا حصل أو لم يحصل، فكان الداعي مستعز عن ربه لم يتحقق من حاله الافتقار والذل والاضطرار، وهذا حال من قسا قلبه وضعف

(١) المفهم ٦/٦٠٨

(٢) انظر المفهم ٦/٦٠٩

(٣) البحاري حديث رقم ٦٣٣٩

(٤) فتح الباري ١٢/٤٢٧

إيمانه، وقل أكثرته بدينه وحاحته إلى رحمة ربه وإذا كان الله ﷻ لا يسجيب دعاء من قسب عادل لاه كما ورد عن النبي ﷺ، فكيف بمن قل أكثراته بما عد ربه؟^(١)
 قُلْ ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قُلِبَ عَاقِلٍ لَآهِ^(٢)

طاعة الشيطان بتنفيذ ما يوسوس به

أحد الشيطان على نفسه العهد أن يصل العباد ويعتصم كما أحرر عنه القرآن
 ﴿فَجَعَلْنَا لَأَعْيُسِهِمْ أَلْحَبِينَ ۖ﴾ [٨٣] ﴿إِلَّا بِإِذْنِكَ مِنْهُمْ الْخَافِعِينَ﴾ [سورة ص ٨٣]، ﴿قَالَ يَبْنَ
 أَعْيُنِي لَأَفْقِدَنَّ لَمْ صِرْطَكَ السَّعْيِ ۖ﴾ ثُمَّ لَا يَرِيهِمْ مِنْ يَدٍ أَيْزِيهِمْ وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ
 شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٦، ١٧]

وللشيطان في الإغواء لإصعاف إيمان المؤمن أو الذهاب به طريقين طريقين
 المعصية، والإغراء عليها، وتحسيسها إلى النفس، وتسهيل آثارها عليها، بعدم المصلا
 بها، حتى تصير هيئة يتقلها القلب ولا يبرعح منها كأن يزين له الزنا ووسائله من
 النظر، لما فيه من المتعة المؤقتة التي يعقبها ندم عاجل، أو يزين له العيش في السبع،
 أو أحد الرشوة، لما فيه من تهيؤ الحصول على المال سهلا سريعا أو يزين له الكذب
 والورود والمهمة والعبية لما يوهمه في ذلك من المصلحة أو الصيحة، إلى غير ذلك
 من أنواع الحرام التي يريها الشيطان، فإن استجاب له اكتفى منه بذلك، واطمأن إلى
 أنه حقق منه ما يريد

وإن لم يجد الشيطان استجابة من العبد من هذا الطريق، بأن وجده قوي الإيمان،
 عالما بمكره وكيده، حريصا على دينه، لا يفرط فيه ولا يتهاون به، ولا يقصد إليه،
 أتاه من الطريق لأحر طريق الوسوسة والتشكيك في دينه، فيهمج عليه بالأفكار الرديئة
 الحبيثة في معتقده، أو يشككه في عبادته، بحيث إذا فعل منها شيئا قال له لم تفعله؟
 ليحزنه ويغمه، فإن كان العبد على فقه وبصيرة ولم يعأ به، واستعان عليه بربه، رجع
 الشيطان حاسنا مدحورا، وإن لم يكن كذلك اشتدت وطأة الوسوسة عليه حتى يمل ويأس
 من إصلاح نفسه ومن عمله، وبذلك يكون قد استجاب للشيطان ونال منه ما أراد

(١) انظر المعجم ٢٩/٧

(٢) الترمذي حديث رقم ٣٤٧٩

أنواع الوسواس

الوسواس قد يكون في العقيدة، بالشك في الإيمان به، أو بإلقاء
الخواطر والافكار الرديئة بسببها إلى الله ﷻ أو إلى رسوله، وملائكته، وقد يكون في
العبادات بالتعمس فيها، وفعل ما لم يطلب الشارع فعله من العباد ولا كفهم به،
تكرار العمل في الوضوء، أو الغسل مرات ومرات، بحيث كلما غسل الوسواس
بعيد، ويقول: إنه لم يغسل مع أنه معمس في الماء، أو بتكرار الطق بالتكبير،
أو الية عند دخول الصلاة، أو تكرار السلام عند الخروج منها، ويعالج ذلك حتى
يصبح بالمعط أحياناً إذا اشتد عليه الأمر، ما طفاه كالحيوان، وذلك من نيسب إندس عليه

الوسوسة في العقيدة

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا
نجد في أنفسنا ما يتعاطم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال:
ذاك صريح الإيمان»^(١)

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سئل النبي ﷺ عن الوسوسة، قال:
تلك مخض الإيمان»^(٢)، وفي الصحيح: «لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال هذا
خلق الله المخلوق، فمن خلق الله؟ فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمست بالله»^(٣).
وفي رواية: «إذا وجدت شيئاً من ذلك، فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم»^(٤)

وفي حديث ابن عباس: «أن أصحاب النبي ﷺ، قالوا: يا رسول الله، إن أحدنا
يحدث نفسه بالشئ، لأن يكون حمة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال: الحمد لله
الذي لم يفتن منكم إلا على الوسوسة»^(٥)

دللت هذه الأحاديث على أن الوسوسة في العقيدة، وورود الخواطر الرديئة عن

(١) مسلم حديث رقم ١٣٢

(٢) حيدر بن

(٣) مسلم حديث رقم ١٣٤

(٤) مسلم ١١٩/١

(٥) مشكل الآثار ٣٢٦/٢

القلب مع كراهته لها، وشعوره بالهم والغم منها، لا تدل على ضعف الإيمان، بل إن الخوف منها والحزن والقلق بسببها هو صريح الإيمان، كما أخبر النبي ﷺ، ولو كان الوسوسة من ضعف الإيمان لما وقعت لأصحاب رسول الله ﷺ، وهم خيار الأمة، فقد كان أحدهم يقول عما يقع في قلبه: لأن يكون أحدنا حُمة -أي فحما- أحب إليه من أن يتكلم به، وقال ﷺ للذي وجد في نفسه ما يتعاضم أن يتكلم به: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال فاك صريح الإيمان.

فالموسوس لا تضره الخواطر الرديئة التي ترد على قلبه كرها، ولا يجد لها مدفعا، ولا تفسد إيمانه، بل بمعاناته ومكابدته إياها يقوى إيمانه، ويعظم أجره، ولا يؤاخذ به الله -تعالى- عليها، لأنها ليست من فعل العبد ولا من كسبه أصلا، بل هي من فعل شيطان مريد جالس بجنبه، يتكلم بها عنه، ليغيظه ويحزنه، وهذا من رحمة الله -تعالى- بعباده ولطفه بهم، وتمايم عدله وحكمته، فإنه تجاوز لهذه الأمة عما حدثت به نفسها ما لم تفعل أو تتكلم، كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ.

ومن أنفع العلاج لخواطر النفس ووسواس الشيطان في العقيدة أن يفرح بها العبد، ويعتبرها علامة على قوة إيمانه، فإنه بذلك يغيظ الشيطان، ويقطع طمعه فيه.

شكا رجل إلى أبي سليمان الداراني الوسواس فقال: إذا أردت أن ينقطع عنك فأبغض إلى وقت أحسست به فافرح، فإنك إذا فرحت به انقطع عنك؛ لأنه ليس شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك، قال النووي: وهذا يؤيد ما قاله بعض الأئمة إنما الوسواس إما يتلى به من كمل إيمانه، فإنه اللص لا يقصد بيتا خراباً^(١).

وهذا كله في الخواطر والوسوسة الواردة غير المستقرة في القلب، أما شبه الإلحاد المستقرة في القلب، كشبه أهل البدع والزيف، المعتقدين للخرافات، المحدثين في الدين ما ليس منه، بعبادات باطلة، أو معتقدات فاسدة، يرون أنهم يؤجرون عليها، أو المعتقدين لمذاهب فلسفية أو كلامية خاطئة تقوم على التشكيك في المعتقدات أو معتنقين مذاهب علمانية، أو شيوعية، أو أي مذهب فيه زيف وانحراف، أو كفر وإلحاد، فهم مؤاخذون بما استقر في قلوبهم، فإن كان على اقتناع فالأمر واضح في

(١) الأذكار ص ١١٨.

مؤاخذتهم بما اعتنقوه، وإن كان شبهة، فعليهم أن يدفعوها بالنظر والاستدلال والاطلاع على حجج أهل الإسلام، وإلا كانوا من الضالين.

الوسوسة في العبادات:

وللوسوسة في العبادات صور في غاية العجب، قال الشعراني: وقد رأيت من يقفز في الهواء إذا نوى الصلاة، ثم يقبض يديه على صدره كأنه يخطف شيئا كان هاربا منه، ثم يقول: أستغفر الله، ثم يقول: الطلاق يلزمني ثلاثا لا أزيد على نية واحدة ثم يزيد، وكان ذلك في صلاة الجمعة، فما زال كذلك حتى قانت الجمعة^(١).

وذكر ابن الجوزي عن أبي الوفاء بن عقيل أن رجلا لقيه، فقال له: إني أغسل العضو وأقول: ما غسلته، وأكبر وأقول: ما كبرت، وأنغمس في الماء مرارا كثيرة، وأشك هل صح لي غسل أم لا، فما ترى؟ فقال ابن عقيل: دع الصلاة، فإنها ما تجب عليك، فقالوا له: كيف تقول ذلك؟ فقال لهم: قال النبي ﷺ: رفع القلم عن المجنون حتى يعقل، ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس يعاقل.

الوقاية من الوسوسة:

من أراد أن يجنبه الله -تعالى- الوسواس قبل وقوعه، فليأخذ بأسباب الوقاية منه، والوقاية منه تكون بالتفقه في الدين، وتعلم العلم الشرعي، ومصاحبة أهل العلم والفقهاء العاملين، فإن ذلك أجود ما يتوقى به وسواس الشيطان، وفي الأثر: فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد -أي جاهل-.

ومن أسباب الوقاية منه أيضا الحرص على أكل الحلال، وتطيب المطعم والمشرب، فإن ذلك ينور القلب، فلا يجعل الله للشيطان عليه سبيلا، هذا مع المحافظة على ذكر الله -تعالى-، وما كان يقوله رسول الله ﷺ ونقل عنه من الأذكار، وأدعية اليوم والليلة، وتلاوة القرآن، كل ذلك يجعل منه المسلم وردا لنفسه كل يوم، مع التدبر وحضور القلب، سواء في التلاوة أو في ذكر الله -تعالى-، والأدعية الماثورة، فإن حضور القلب، واستحضار معاني الذكر التي فيها تعظيم الله -تعالى- يتحقق معه النفع، ويتحقق مع حفظ الله -تعالى- الذي رتب عليه، ووعد به قائله، وهو حفظ الرب، الفعال لما يريد، الذي لا يقدر على اختراقه جان ولا مريد.

(١) انظر لطائف الحث ٥٥٥، وتبليس إبليس ص ١٣٤.

علاج الوسواس بعد وقوعه :

أما بعد الابتلاء بالوسواس وحصوله، فعلاجه يكون على الوجه الآتي :

١- الإعراض عنه، فإنه ليس لعلاج الوسواس بعد وقوعه كالإعراض عنه، وعدم المبالاة به، وترك الالتفات إليه، وإلى ذلك نبه النبي ﷺ بقوله في الحديث : «... فليستمد بالله وَلَيْتَهُ»^(١). خرج مالك في الموطأ عن سليمان بن يسار أنه سئل عن البلل يجده الإنسان -أي من أثر الوسوسة- فقال : «أَنْضَحَ مَا تَحْتَ ثَوْبِكَ بِالْمَاءِ وَاللَّهُ عَنْهُ»^(٢)، والمعنى في ذلك أن الموسوس إذا نضح بالماء فإنه إن أحس بللاً فدر أنه من أثر النضح بالماء، وسد الباب على الشيطان بالوسوسة.

ولا يقلق الموسوس ويضعف إذا رأى في بادئ الأمر مع الإعراض عن الوسوسة زيادة فيها، فإنه شائع في الموسوسين. يأتي الموسوس ويسأل، فيبين له أن الوسوسة لا تضر المؤمن، وهي ابتلاء يعظم له به أجره، وخوفه منه دليل على قوة إيمانه، والله ﷻ لا يعذب عباده بما لا قدرة لهم على دفعه، فإن الحاكم من البشر لا يؤاخذ بذلك إن كان معه شيء من العدل، فما بالك بعدل الله ورحمته وحكمته وعلمه؟. وتقول له : إن حجر الزاوية في التخلص من الوسوسة هو الإعراض عنها وعدم المبالاة بها، فيجد راحة لمثل هذا القول ينشرح به صدره، ثم لا يلبث أياماً قليلة حتى يعود للسؤال نفسه، وهو في حالة أسوأ من حاله الأول، ويقول : إنه لم ينفع معه الإعراض وأن الوسواس اشتد عليه أكثر من ذي قبل، ويعتقد أنه لم يبق له من الإيمان شعرة، وهو في يأس من حاله.

وقوع مثل ذلك متوقع من كل موسوس، فإن ذلك من تمام مكر عدو الله وكيدته، وهي علامة على أن الخناس أذن بالرحيل، فإن كل عدو إذا ما حاربه بما لا يطيق من سلاح، يقاوم أول الأمر كأشرس ما يكون، ثم تخمد قوته ويذهب ريجه.

٢- على المؤمن إذا ما ابتلى بشيء من الوسواس أن تكون ثقته بالله -تعالى- كبيرة، واعتصامه به لا يتزعزع، واعتماده وتوكله عليه في دفع الخواطر، يقينا

(١) البخاري حديث رقم ٣٢٧٦.

(٢) الموطأ حديث رقم ٩٠.

لا ارتياب فيه، فإن الموسوس إذا قويت نفسه على دفع الشيطان، وقال له: أنا أدرى بنفسي منك، انقطع طمعه فيه، ويثب منه، وليعلم العبد أن الشيطان ضعيف لا قدرة له، ولا حول ولا طول، فإنه لضعفه وتخاذله سماه الله -تعالى- الخناس، والخناس: الذي عادته الاختفاء، والتأخر بعد الظهور، مرة بعد مرة، وقد أخبر الباري أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

٣- الاستعاذة من الشيطان والاستعاذة عليه بذكر الله والاستغفار، وتلاوة القرآن، وأفضل الذكر بعد القرآن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، قال -تعالى-: ﴿وَلَمَّا يَرْزُقُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ قَاسِدٌ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقال ﷺ في جواب السائل عن الوسوسة: «... فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ»، وفي رواية: «فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(١)، وفي رواية: «إذا وجدت شيئاً من ذلك، قل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»^(٢). ومن صيغ الاستعاذة الواردة في السنة «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»^(٣). والاستعاذة معناها: الاستعاذة بالله وحده والالتجاء إليه والتوكل عليه، وهي أنفع لدفع الشيطان من سببه ولعنه، فإنه يتصاغر مع الاستعاذة، ويتعاطم عند السب، حتى يقول: بقوتي صرعته. ففي الحديث إن دابة عشرت بالنبي ﷺ، فقال رجل: تعس الشيطان، فقال: «لَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ النَّبِيِّ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»^(٤) وفي رواية: «حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُّبَابٍ»^(٥).

تم ما قصدت إليه والحمد لله أولاً وآخراً،
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(١) البخاري حديث رقم ٣٢٧٦.

(٢) مسلم حديث رقم ١٣٤.

(٣) مسلم ١/١١٩.

(٤) سنن الترمذي حديث رقم ٢٤٢.

(٥) أبو داود حديث رقم ٤٩٨٢.

(٦) مستد أحمد حديث رقم ٢٠٠٦٨.